

مركز الحضارة العربية
حرية
جنس
حسين عبد الواحد
Bibliotheca Alexandrina
0127563

امريكا
حرية..
جنس..
وبوليتيكا !!



★ مركز الحضارة العربية ، مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .

★ يتطلع مركز الحضارة العربية ، إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة

★ يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشرها وتوزيعها .

★ يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .

★ الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز
علي عبد الحميد علي

امريكا .. حرية . جنس وبوليتيكا!!

المؤلف : حسين عبد الواحد

الغلاف : هشام مصطفى

التصميم الداخلى : محمد الغليونى

الجمع والصف الالكترونى : مركز الحضارة العربية

الناشر : مركز الحضارة العربية

٤ شارع العلمين - ميدان الكيت كات - جيزة

تليفون وفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

الطبعة الأولى : أغسطس ١٩٩٧

رقم الإيداع : ٩٧/٨٣٩٦

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-031-4

حسين عبد الواحد

أمريكا

حرية ..
جنس ..
وبوليتيكا !!

الانهيار الأخلاقي والسقوط السياسي في عهد كلينتون



مقدمة الناشر

عزيزى القارئ ، لن تدهش إذا علمت أن أمريكا ، بلد الحريات ، والدولة الوحيدة العظمى فى العالم الآن ، هى أيضاً بلد الانهيار الأخلاقى والسقوط السياسى ، هذا الانهيار بدأ مع بداية أمريكا نفسها ، الدولة التى تكونت على أنقاض جثث فتيات الدعارة وتجار المخدرات وكل أنواع الشذوذ وتجارة الجنس ، نعم هى دولة عظمى ، لكن الثمن كان عظيماً أيضاً ، الثمن الذى دفعته عن طيب خاطر دون تردد ، هو الانهيار الأخلاقى الذى وصل إلى ذروته فى عهد الرئيس «بيل كلينتون» .

كانت أمريكا تبشر بالحرية والعدالة الاجتماعية والرفاهية ، وهى نفس القيم والمثل التى روجت لها بين مواطنيها والتى وصفها البعض بالحلم الأمريكى ، وباليد الأخرى كانت هناك محاولات مكثفة أيضاً لتحجيم المفاهيم الديمقراطية والسيطرة عليها وتوظيفها فى خدمة جماعات المصالح وقوى الاستغلال داخل المجتمع الأمريكى .

وكانت الخطوة الأولى لتحقيق هذه الأهداف هى تنمية الاهتمامات الذاتية للمواطن الأمريكى وحصاره فى حدود لا تتجاوز مصالحه الشخصية عن طريق الترويج للجنس والمخدرات والسلع الاستهلاكية باعلاناتها الباهرة .

وبإنهيار الاتحاد السوفيتى أصبحت أمريكا هى القوة الوحيدة والمهيمنة على العالم ، وبات عليها تصدير المفهوم الأمريكى لدول العالم بما فيهم العالم العربى ، وأصبح علينا أن نفهم - شئناً أم أبينا - طبيعة العلاقة الأزلية بين أمريكا وإسرائيل ، وعلى استحالة تغيير انحيازها الأعمى لإسرائيل على طول الخط مع محاولة لإفهام العرب أيضاً أن أوراق اللعبة كلها فى يد أمريكا !!

«إذا لم تستطع مقاومة الاغتصاب ، فعليك أن تسترخى ، وأن تستمتع به» هذا هو المفهوم أو الشعار الأمريكى اليوم للعلاقة بين أمريكا وإسرائيل من ناحية - وبين العرب من

ناحية أخرى ، وتعنى بالاسترخاء - استرخاء العرب بالطبع فى مواجهة الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية ، والذى يهدد الوجود العربى ذاته .

هذا هو ما يتحدث عنه كتاب «أمريكا .. حرية .. وجنس .. وبوليتيكا» لمؤلفه الكاتب الصحفى «حسين عبد الواحد» وليس هذا فحسب ، بل سوف تقرأ أيضاً ماذا يحدث فى البيت الأبيض والإدارة الجديدة بقيادة بيل كلينتون الرئيس الحالى ، إدارة معظم ما فيها من رجال ونساء شواذ جنسياً يمارسون الجنس فى أروقة ومكاتب البيت الأبيض على مرأى ومسمع من الرئيس الذى ينتظر بدوره المسئول أمام المحاكم للدفاع عن نفسه ضد قضايا التحرش الجنسى المرفوعة ضده .

باختصار .. هذا الكتاب يحكى أمريكا من الداخل .

تقديم

هناك الملايين في هذا العالم ..

ولدوا ونشأوا وترعرعوا وربما ماتوا على الطريقة الأمريكية ..

رضعوا في طفولتهم لبن الأطفال الأمريكي ..

وشاهدوا أفلام الكارتون والجنس الأمريكية ...

وتعلموا اللغة والعادات الأمريكية ..

غنوا الأغنيات الأمريكية .. ورقصوا الرقصات الأمريكية .

شربوا البيبسي والكوكاكولا الأمريكية .

والتهموا «الهوت دوج» وفراخ كنتاكي الأمريكية ..

ارتدوا «الجينز» الأمريكي .. ومضغوا اللبان الأمريكي ..

حاربوا الأسلحة الأمريكية .. أو بالأسلحة الأمريكية ...

كانت انتصاراتهم ذات ملامح أمريكية ..

وأيضاً هزائمهم ذات مرارة أمريكية ..

وكما كانت البداية أمريكية ، تأتي النهاية عادة أيضاً أمريكية .. !!

ويكتشف هؤلاء دائماً أن حياتهم كلها كانت أمريكية أو بالأحرى كانت «أمريكاني» ..

تماماً .. كالصورة الأمريكاني التي يصف بها المصريون عملية خادعة لأخذ لقطة بكاميرا لا يوجد بها فيلم !! فقط بريق الفلاش المبهر !!

ورغم هذا التشبع الشديد بكل ما هو أمريكي في أنحاء عديدة من العالم ، إلا أن أي ادعاء أو زعم بفهم أي شيء يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية يصبح نوعاً من المبالغة ، أو

حتي الخداع، دون الرؤية المباشرة للمجتمع الأمريكي والاحتكاك به والتفاعل معه وجهاً لوجه.. وعقلاً لعقل وروحاً لروح ..

هو مجتمع له ملامحه الخاصة جداً .. ولديه القدرة على أن يحتويك بل وأن يصيبك بالإبهار مهما كان موقفك منه ، لدرجة أنك قد تعتقد في بعض الأحيان أنه يشجعك على أن ترفضه .. أن تصفعه وتركله بقسوة بينما يتلذذ هو بكل العذاب محتفظاً بحقه في أن يمارس معك دور الجلاد وهو يطالبك بأن تتلذذ بالعذاب مثله !!

إنها لعبة الديمقراطية .. !!

مصدر قوة المجتمع الأمريكي ، ونقطة ضعفه أيضاً ، هي أنه مجتمع معاصر بكل ما تحمله كلمة «المعاصرة» من معان .. هو مجتمع يحاول أن يجد لنفسه جذوراً في الأرض والتاريخ .. وفي نفس اللحظة يحاول أن يقتلع أي جذور يمكن أن تقيد حركته أو تعرقل انطلاقه نحو غد مختلف ..

وقد أدرك الرئيس الأمريكي الحالي بيل كلينتون هذه الحقيقة بمنتهى الوضوح خلال حملته للفوز بفترة رئاسته الثانية ، لذلك اختار شعاراً انتخابياً يقول إنه الرئيس الذي يستطيع أن يقود أمريكا إلى القرن الحادي والعشرين .

وفي إطار هذا المفهوم ، كان كلينتون صادقاً كل الصدق في شعاره الانتخابي .. وباستثناء بعض الأسس المحدودة أو المحظورات التي لا يمكن لأمريكا أن تحيد عنها ، استطاع كلينتون أن يقدم للأمريكيين رئيساً غير تقليدي من كل النواحي .. فهو الرئيس الأمريكي الوحيد الذي شارك في مظاهرات ضد حرب فيتنام ، وهو الرئيس الأمريكي الوحيد الذي دفع بشباب جيل الستينيات المتمرد إلى مناصب كبار المساعدين في البيت الأبيض .. وهو أيضاً الرئيس الأمريكي الوحيد صاحب السجل الحافل بالجرائم والمغامرات الجنسية !!

لقد وصفت نجمة السينما الأمريكية الراحلة مارلين مونرو الولايات المتحدة ذات يوم بأنها «بلاد بيوريتانية» أي بلاد «حنبلية» في موقفها من الجنس .. وقالت إن الرقابة لا تسمح لها بالظهور عارية في الأفلام الأمريكية بينما تسمح بعرض الأفلام الأوروبية العارية التي تصور خصيصاً من أجل تصديرها لأمريكا !!

هذه الشكوى من جانب ممثلة الإغراء الأمريكية الراحلة ، كانت تعكس موقفاً أمريكياً عاماً من كل القضايا التي امتدت من السياسة إلى الجنس ..

ففي عصر مارلين مونرو ، كانت أمريكا هي القوة القادمة التي بدأت الانطلاق بحذر نحو المكانة التي وصلت إليها في التسعينيات باعتبارها القوة العظمى الوحيدة في العالم بعد سقوط القوة المنافسة الأخرى وهي الاتحاد السوفيتي ..

وفي بداية مرحلة الانطلاق ، كان الأمريكيون حريصين على مجموعة من القيم والمثل التي جذبت الكثيرين إلى القوة الناشئة الجديدة خاصة بعد أن تعاظمت الكراهية في كل مكان ضد القوى الاستعمارية القديمة والتقليدية ..

كانت أمريكا تبشر بالحرية والعدالة والرفاهية وهي نفس القيم التي روجت لها بين مواطنيها والتي وصفها البعض بالحلم الأمريكي .. وظل هذا الحلم يداعب خيال الكثيرين في داخل أمريكا وخارجها حتى تحول في النهاية إلى كابوس .

فالقوة العالمية الجديدة ، تحولت بعد سنوات إلى صورة أشد قبحاً من الامبراطوريات الاستعمارية الجديدة .. ودخلت الولايات المتحدة في سلسلة من الحروب والغزوات الاستعمارية من كوريا إلى فيتنام ومن جواتيمالا إلى الصومال وأخذت ملامح الوجه الأمريكي القبيح تتضح يوماً بعد يوم ، وأصبحت صورة إحراق العلم الأمريكي هي الصورة الشائعة في مختلف مناطق الأحداث بالعالم !!

وهكذا ، تحول التبشير الأمريكي بالحرية والاستقلال إلى نزعة رهيبة للهيمنة والسيطرة حتى وصلت الأمور في النهاية إلى حد أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية ، راعية الديمقراطية ، هي السند الأعظم للحكومات الدكتاتورية في العالم وصديقة النظم العسكرية الفاشية التي أطلق عليها اسم «جمهوريات الموز» !!

أما على الصعيد الداخلي ، فقد كانت هناك محاولات مكثفة لتحجيم المفاهيم الديمقراطية والسيطرة عليها وتوظيفها في خدمة جماعات المصالح وقوى الاستغلال داخل المجتمع الأمريكي ....

وكانت الخطوة الأولى نحو تحقيق هذا الهدف هي تنمية الاهتمامات الذاتية للمواطن

الأمريكي بمعنى حصره ، أو حصاره ، داخل جلده وفي حدود لا تجاوز مصالحه الشخصية المباشرة .

لذلك ، لم يكن من الغريب أن تؤكد كل الدراسات واستطلاعات الرأي العام في الولايات المتحدة عدم اهتمام رجل الشارع الأمريكي بالقضايا السياسية أو المشكلات العالمية.. ورويداً رويداً ، أصبح اهتمام المواطن الأمريكي يتركز على أسعار الوقود اللازم لسيارته ونسبة الضرائب التي يدفعها !!

وفي غياب المواطن الأمريكي عن ساحة السياسة الخارجية لبلاده ، كانت هناك فرصة ذهبية أمام البعض وخاصة جماعات المصالح لكي تنفرد بتوجيه السياسة الأمريكية إلى الناحية التي تخدم أهدافها بصرف النظر عن المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة أو للشعب الأمريكي..

ووصلت الأمور إلى درجة تشبه العبث .. ففي كثير من قضايا السياسة الخارجية الأمريكية يستحيل وصف المواقف الرسمية للمؤسسات المختلفة في الولايات المتحدة ، مثل الحكومة والكونجرس والإعلام ، إلا بأنها تتعارض مع المصالح الأمريكية العليا وتخدم ما يسمى بجماعات الضغط المنتشرة في كل مؤسسة هامة .

أما رجل الشارع الأمريكي ، فهو بلا شك ينقسم إلى فئتين .. الأولى تضم أولئك الذين مازالوا يبحثون عن الحلم الأمريكي وتستغرقهم دوامة الحياة في مرحلة البحث عن هذا الحلم . وبالتالي فلا وقت لديهم للاهتمام بما هو خارج الأبعاد المباشرة لهذا الحلم ومعظمها ذات طبيعة اقتصادية أو داخلية ..

والفئة الثانية فهي محدودة نسبياً وتتميز بأنها أكثر وعياً وتضم العناصر التي اكتشفت بالفعل زيف ما يسمى بالحلم الأمريكي واعتبرته نوعاً من الوهم أو السراب الذي تكمن كل قوته في مقدرته الفائقة على خداع الآخرين ..

هذه الفئة الواعية ، تدرك حجمها الحقيقي المحدود ولذلك فهي تحاول التأثير في قطاعات صغير من الحياة الأمريكية مثل البيئة وحقوق الإنسان وبالتالي فهي تترك القضايا الكبرى وخاصة في مجال السياسة الخارجية لجماعات المصالح وقوى الضغط التي تلجأ لكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لكي تستغل كل عضلة في جسم هذا العملاق الأمريكي لحسابها ...

وربما تكون منطقة الشرق الأوسط وقضية الصراع العربي الإسرائيلي هي أوضح مثال على هذه الحالة الفريدة .. فقد استطاع اللوبي الصهيوني المنتشر في جميع المؤسسات التشريعية والتنفيذية والاقتصادية والإعلامية أن يوظف كل تناقضات المجتمع الأميركي في خدمة الأهداف الصهيونية والإسرائيلية بشكل من المؤكد أنه يتعارض ، حتى ولو نظرياً ، مع المصالح الاستراتيجية الأمريكية .. والأكثر من ذلك أن النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة نجح ، بوسائل عديدة ، في اختراق الضمير الأمريكي بدليل أن رجل الشارع في أي مدينة أمريكية لا يتوقف للحظة واحدة أمام بعض الظواهر شديدة الغرابة في الحياة السياسة الأمريكية مثل العزلة عن بقية دول العالم في الأمم المتحدة عند التصويت على أي قرار بخصوص الاتهامات الإسرائيلية للقانون الدولي ..

ورجل الشارع الأمريكي ، يتقبل ببساطة أن يتخذ مجلس النواب بالكونجرس قراراً بنقل السفارة الأمريكية في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس رغم أن جميع القرارات الدولية بل ومواقف الحكومة الأمريكية ذاتها تؤكد أن القدس أرض محتلة يتقرر مستقبلها في ضوء مفاوضات المراحل النهائية من عملية السلام !!

وفي نقاشات عديدة مع الكثيرين من المسئولين الأمريكيين ، كان هناك ما يشبه الإجماع بينهم على استحالة تغيير انحيازهم الأعمى لإسرائيل ... وكانت نصيحتهم «المخلصة» للأصدقاء العرب هي تقبل هذا الموقف الأمريكي الظالم والتعايش معه على أساس تلك النصيحة الفاجرة التي تقول :

«إذا لم تستطع مقاومة الاغتصاب فعليك أن تسترخي .. وأن تستمتع به !!»

صحيح أن تغيير موقف الانحياز الأمريكي لإسرائيل يكاد يكون من المستحيلات . ولكن ليس معنى ذلك أن يستمتع العرب بهذا الموقف لسبب بسيط هو أن استرخاء الجانب العربي وقبوله لهذه العلاقة غير الطبيعية بين أمريكا وإسرائيل يهدد الوجود العربي ذاته ويدفع إسرائيل لمحاولة تكرار تجربة المهاجرين الأوربيين والهنود الحمر في القارة الأمريكية .

وإذا كنا بصدد البحث عن أهم ملامح السياسة الخارجية الأمريكية في عهد بيل كلينتون فسوف نجد أنفسنا في مواجهة ملمح أساسي لا يمكن تجاهله وهو ذلك الانحياز الذي لم يسبق له مثيل في إسرائيل وتبني واشنطن لأشد السياسات الإسرائيلية تطرفاً بالشكل الذي تجلى في مواقف عديدة مثل استخدام حق الفيتو الأمريكي بمجلس الأمن وقرار نقل السفارة

الأمريكية من تل أبيب إلى القدس وحتى الجهود المكثفة التي شهدها الكونجرس الأمريكي لإلغاء المساعدات الأمريكية لمصر !! كل ذلك بجانب التدليل المعتاد الذي تمارسه واشنطن تجاه إسرائيل والتجاهل الكامل لكل المطالب والحقوق والمواقف العربية .

لذلك ، فسوف يدخل بيل كلينتون تاريخ منطقة الشرق الأوسط باعتباره أشد الرؤساء الأمريكيين انحيازاً لإسرائيل وأيضاً أشدهم ابتعاداً عن الاعتبارات الشرعية بل والأخلاقية التي كانت تحكم بدرجة أو بأخرى مواقف غيره من الرؤساء بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي.

ولقد حرصت على أن يتضمن هذا الكتاب مقتطفات من كتاب أمريكي خطير بعنوان «حرية الدخول إلى البيت الأبيض» وضعه جاري ألدريتش عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي في حق الرئيس الأمريكي ..

وفي تقديري ، أن هذا الكتاب الذي كشف فيه المؤلف تفاصيل مروعة عن الفساد الأخلاقي في البيت الأبيض خلال عهد الرئيس بيل كلينتون يعد وثيقة شديدة الأهمية لأنها تقدم للقارئ تفسيراً واضحاً للكثير من علامات الاستفهام حول السياسة الخارجية في عهد كلينتون وأيضاً حول الانهيار الأخلاقي في عهد كلينتون ..

وبشهادة الكثيرين من المراقبين الأمريكيين ، شهد عهد كلينتون موجة عاتية من الاهتمام بالجنس ربما لم يسبق لها مثيل في التاريخ الأمريكي ..

يقول الأديب الأمريكي العظيم أرثر ميللر : إن الجنس تعبير عن اضطراب الحياة .. وبمعنى آخر ، فإن سيطرة المظاهر الجنسية على حياة أمة من الأمم تعني ببساطة أن هذه الأمة تمر بمرحلة من الاضطرابات ..

وقد يكون أديب أمريكا العظيم قد تأثر في هذه الفكرة بعالم النفس الشهير سيجموند فرويد وتفسيره الجنسي للتاريخ ولكن الحقيقة تبقى وهي رصد ميللر لظاهرة أمريكية بدأت في أعقاب الحرب العالمية الثانية على استحياء ثم أخذت تتطور حتى وصلت اليوم إلى أقصى درجات الوضوح وأصبحت الملمح الأساسي للثقافة الأمريكية المعاصرة ...

حسين عبد الواحد

١

أمريكا ..

بلاد الجنس ..

والبوليتيكا

ربما كان الجنس هو أقدم مهنة في التاريخ .. ولكنه بكل تأكيد أحدث صناعة في أمريكا.. هذا المجتمع الصناعى الجبار .. التهبت درجة حرارته بسبب حمى الجنس التي تجتاحه الآن .. إنه مجتمع يتنفس العرى .. ويأكل الخلاعة .. ويشرب الإباحية ..

فإذا كنت تبحث عن أحد الملامح الأساسية للثقافة الأمريكية المعاصرة .. فأنت بكل تأكيد تبحث عن الجنس ..

وإذا كنت تبحث عن الصناعة التي تنمو بكل قوة في أمريكا وتحقق مليارات الدولارات من الأرباح كل عام .. فأنت أيضاً تبحث عن صناعة الجنس .

هذا الغول أو الذئب ، باعتراف الأمريكيين أنفسهم ، تجاوزت شراسته كل الحدود .. وأصبح بمثابة معبود وثني لا ترضيه سوى آلاف القرابين من الفتيات والفتيان الذين يقدمونهم له كل يوم في معبده الملعون الذي تغطي مساحته أمريكا بأسرها !

□□□

بعد الحرب العالمية الثانية ، ازدهرت في الولايات المتحدة الأمريكية صناعة جديدة هي صناعة العري والجنس .. استغل الكثيرون من رجال الأعمال تلك الرغبة الجارفة التي اجتاحت العالم في ذلك الحين لنسيان ويلات الحرب وأهوالها من خلال الغرق في بحور المتعة .. وبدأت مصطلحات جديدة تظهر في دوائر المال لتعبرعن السلعة الجديدة مثل اقتصاد الدعارة وأرباح العري وغيرها .

وقد تعرضت صناعة الجنس في أمريكا إلى انتقادات مريرة في فترات مختلفة باعتبارها «صناعة غير أمريكية» رغم أنها كانت تحمل بالفعل العديد من ملامح الحياة في أمريكا مثل ذلك المزج بين الجنس والمال وسرعة تكوين الثروات والإدانة العلنية لأشياء يمارسها الجميع سراً.

ولا شك أن ازدهار صناعة الجنس في الولايات المتحدة يرجع في الأساس إلى اثنين من أهم ملامح الحياة الأمريكية هما شعور الفرد بالعزلة والوحدة إلى جانب إحساسه بالإحباط مما أدى إلى تحول هذه الصناعة خلال نصف قرن تقريباً من مجرد نشاط على هامش المجتمع إلى جزء أساسي وهائل من الثقافة الأمريكية المعاصرة . ومنذ أكثر من عشر سنوات ، قام النائب العام الأمريكي أدوين ميسمي بتشكيل لجنة حول صناعة الجنس والعري في الولايات المتحدة وأصدرت هذه اللجنة تقريراً يؤكد أن المواد الجنسية الفاضحة تشكل خطراً على المجتمع الأمريكي .. وطالب التقرير بتشديد القوانين الفيدرالية الخاصة بمكافحة الفجور .. وقد استند الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان على هذا التقرير لشن أكبر حملة في تاريخ أمريكا ضد تجارة الجنس واستمرت الحملة خلال حكم الرئيس السابق جورج بوش وأدين خلالها المئات من منتجي وموزعي وتجار الأفلام الفاضحة وحكم على بعضهم بالسجن بينما أشهر آخرون إفلاسهم بسبب تعرضهم لمطاردة السلطات .

ورغم ذلك فقد تزامنت حملة ريجان - بوش ضد صناعة الجنس في أمريكا مع تزايد رهيب في استهلاك الأمريكيين للمواد الفاضحة وإقبالهم على السلع الجنسية بكافة أشكالها وعلى سبيل المثال ارتفع عدد أفلام الفيديو الفاضحة التي يتم تأجيرها لعشاق هذا النوع من الأفلام في الولايات المتحدة من ٧٥ مليون فيلم فيديو في عام ١٩٨٥ إلى ٤٩٥ مليون فيلم في عام ١٩٩٢ ، وقد حقق توزيع أفلام الفيديو الفاضحة في أمريكا رقماً قياسياً رهيباً في عام ١٩٩٦ بلغ ٦٦٥ مليون فيلم !

وتشير الإحصائيات الرسمية الأمريكية إلى أن الأمريكيين أنفقوا ٨ آلاف مليون دولار في هذا العام - ١٩٩٦ - على الأفلام الفاضحة وعروض الرقص العاري «الاستربتيز» وقنوات التليفزيون الخاصة التي تذيع أفلام الكبار فقط بالإضافة إلى أحدث أشكال صناعة الجنس هو الجنس بالكمبيوتر والذي يتم من خلاله الحصول على مواد جنسية مختلفة عن طريق شبكات الكمبيوتر وأيضاً المجلات المتخصصة في نشر المواد الجنسية ...

ويلاحظ أن هذه الأرباح التي تحققها تجارة الجنس في أمريكا تتجاوز الأرباح التي تحققها أكبر أفلام هوليوود داخل أمريكا وأيضاً تتجاوز عائدات أشرطة واسطوانات الموسيقى التي يقبل عليها الأمريكيون .

ويعبر أحد النقاد الفنيين في نيويورك عن هذا الوضع بقوله إن أرباح ملاهي الاستربتيز وأندية الرقص الفاضح أصبحت أكبر من الأرباح التي تحققها المسرحيات الراقية في شارع برودواي ، الأوبرا والباليه وعروض الموسيقى الكلاسيكية وموسيقى الجاز معاً ، باختصار يمكن القول إن حمى الجنس والعري تجتاح الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الراهن بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخها .. وهذه الحالة لا يمكن ملاحظتها فقط من خلال الأفلام وأندية العري والمجلات الفاضحة بل من خلال كل شيء تقريباً في الحياة الأمريكية ، إعلانات التليفزيون .. الأفلام الروائية .. القصص .. الأزياء الخليعة التي ترتديها النساء والفتيات في كل مكان .. ناهيك عن مشاهد الجنس والغرام الشائعة في الشوارع والمتنزهات ووسائل المواصلات ومحطات مترو الأنفاق .

□□□

ويقول عالم الاجتماع الأمريكي تشارلز وينيك إن الجنس في الثقافة الأمريكية قد تطر خلال العقدين الماضيين بدرجة أكبر من تطوره خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ... فمنذ ٢٥ عاماً قدرت دراسة فيدرالية أمريكية عائدات صناعة الجنس في أمريكا بما لا يتجاوز ١٠ ملايين دولار بل ووصلت أرباح هذه التجارة في بعض سنوات السبعينيات إلى أقل من ٥ ملايين دولار . ولكن خلال الثمانينيات أدى التوسع في إنتاج أفلام الفيديو الفاضحة وانتشار ما يسمى بالخدمات الجنسية التليفونية إلى انتقال صناعة الجنس من الأندية الخاصة والمكتبات التي تبيع الكتب الجنسية إلى داخل بيوت الأمريكيين ونتيجة لذلك أصبح جزء كبير من عائدات صناعة الجنس في أمريكا يذهب إلى شركات ليس لها علاقة مباشرة بعالم الجنس مثل محطات التليفزيون الخاصة وشبكات الكمبيوتر وأيضاً إلى شركات الفنادق العالمية الكبرى التي أصبحت تكسب ملايين الدولارات من وراء تقديم الأفلام الفاضحة لنزلائها مقابل أجور إضافية يدفعها النزيل مع فاتورة إقامته في الفندق التي تشمل إيجار الغرفة والطعام وغسل الملابس والمكالمات التليفونية وأيضاً الأفلام الفاضحة !

ومع هذا النمو الرهيب لصناعة الجنس في أمريكا أصبح من الطبيعي أن يبحث عمالقة الصناعة الجديدة عن أسواق خارجية لمنتجاتهم .. وهكذا أصبحت الولايات المتحدة هي المصدر الأول لأفلام الفيديو الفاضحة ووصل إنتاجها من هذه الأفلام إلى معدل جنوني هو ١٥٠ فيلماً

فاضحاً جديداً كل أسبوع أي حوالي ٧٥٠٠ فيلماً كل عام .

□□□

وأكبر مركز لإنتاج أفلام البورنو أو الأفلام الفاضحة في الولايات المتحدة يقع في منطقة وادي سان فرناندو جنوبي ولاية كاليفورنيا بالقرب من استديوهات يونيفرسال واستديوهات وارنر .

في هذه المنطقة انتشرت استديوهات تصوير الأفلام الفاضحة ووكالات استخدام الممثلين والنجوم وخبرات اصطياد الفتيات الجميلات للعمل في هذه الصناعة الآثمة وتنتج هذه المنطقة وحدها خمسة وسبعين في المائة من إجمالي عدد الأفلام الجنسية التي تصنعها الولايات المتحدة.. وتضم منطقة وادي سان فرناندو أيضاً استديوهات الصوت ومنشآت متخصصة في الفن السينمائي ، ولكنها لا تعمل إلا في أفلام البورنو فقط ولذلك لم يكن من الغريب أن يطلق على هذه المنطقة اسم «عاصمة أفلام البورنو في العالم» .

ومن أغرب الأحداث التي تجري في هذا الوادي وبالتحديد في ضاحية «شيرمان أوكس» تلك المسابقات التي تقام كل أسبوع تقريباً لاختيار الشبان والفتيات الذين يرغبون في العمل بالأفلام الإباحية .. وخلال هذه المسابقات يقوم الشاب أو الفتاة بخلع الملابس بالكامل أمام المنتجين والمخرجين الذين يفحصون النجوم الجدد بكل عناية لاختيار العناصر التي تتميز بالجمال والإثارة .

ولا تقتصر صناعة الجنس في أمريكا على إنتاج الأفلام الفاضحة أو تقديم العروض الجنسية الحية . بل ظهرت أيضاً شركات ومصانع تقوم بصناعة سلعاً جنسية لأعضاء حساسة من الجسم البشري أو دمى من البلاستيك للرجل أو المرأة وتستخدم هذه الشركات أحدث ما في العصر من تكنولوجيا حيث تستطيع هذه الدمى أن تتكلم وتصدر أصواتاً بلغات مختلفة بل ويمكنها أيضاً أن تتحرك بالبطارية .

وهناك أيضاً شركات خاصة لإنتاج سلعاً ذات طابع جنسي مثل الملابس الغريبة الفاضحة وتتنافس في هذا المجال مئات الشركات .

ويشكو أصحاب أندية الرقص الخليع من انخفاض عدد زبائنهم بسبب إمكانية وصول

الزبون إلى السلعة الجنسية التي يريدها وهو في بيته سواء من خلال التليفزيون أو الفيديو أو الكبيوتر .. ففي مدينة واحدة مثل لوس أنجلوس كان هناك أكثر من ٣٠ مسرحاً للعروض العارية وتقلص هذا العدد إلى ٦ مسارح فقط ونفس الانخفاض حدث بالنسبة لمحال بيع الكتب الجنسية التي عجزت عن منافسة الأفلام الفاضحة .

وازدهار صناعة أفلام البورنو العارية في جنوب ولاية كاليفورنيا أدى إلى خلق شركات عملاقة في مجال توزيع هذه الأفلام نظراً للأرباح الهائلة التي تحققها .

واضطرت محال الفيديو الصغيرة إلى التحول نحو تأجير هذه النوعية من الأفلام بهدف جذب الزبائن الذين أصبحوا يفضلون التعامل مع المحال الكبرى المتخصصة في توزيع أفلام البورنو فقط !

ويشتري محل الفيديو الصغير شريط الفيلم السينمائي العادي بمبلغ ٦٠ دولاراً ثم يؤجره بمبلغ ٣ دولارات في الليلة الواحدة بالمقارنة مع أفلام البورنو التي يشتري محل الفيديو الواحد منها بعشرين دولاراً فقط ويؤجره بخمسية دولارات في الليلة وبالتالي يحقق أرباحاً هائلة من وراء هذا الشريط خلال شهور قليلة .

هذا الفارق في هامش الربح هو التفسير الوحيد لارتفاع عدد أندية الفيديو التي تقدم أفلام البورنو إلى ٢٥ ألف ناد في مختلف الولايات الأمريكية بخلاف المؤسسات والمحال الكبرى التي تتاجر في هذا النوع من الأفلام . وهذه الزيادة في عدد أندية الفيديو تبدو طبيعية في ضوء تزايد إنتاج الأفلام العارية بنسبة ٥٠٠ في المائة خلال السنوات الأخيرة .

وقد أدى انخفاض تكلفة فيلم «البورنو» إلى تشجيع الكثيرين من رجال المال والأعمال على دخول هذا المجال واستثمار أموالهم فيه بالإضافة إلى تحول الكثيرين من السينمائيين نحو الأفلام الفاضحة إما للحصول على فرصة عمل أو لزيادة الدخل .

وقد أنتجت أمريكا في العام الماضي فقط ٨ آلاف فيلم بورنو بعضها لم يتكلف أكثر من عدة آلاف من الدولارات وبلغت أرباحه أكثر من مليون دولار !!

□□□

باختصار لم تعد هناك عقبات أمام تحقيق أرباح طائلة من تجارة أو صناعة الجنس في

أمريكا الآن .. وهذه الصناعة أصبحت بحق تنافس صناعة وتجارة السلاح أو تجارة المخدرات.. والخطير في الأمر أنها تنمو بشكل مطرد وسط مناخ يتعرض فيه كل من ينتقد هذه الصناعة الآثمة لحملات شرسة بحجة أنه يتدخل في الحريات الفردية للآخرين . ورغم أن القضية ذات أبعاد اجتماعية وأخلاقية شديدة الخطورة إلا أن البعد الاقتصادي يسيطر على كل شيء ولديه القدرة على إغلاق جميع الأفواه التي قد يحاول أصحابها دق نواقيس الخطر !!

□□□

ويوصف رين ستورمان بأنه الرجل الذي لعب أبرز الأدوار في تطوير صناعة الجنس بالولايات المتحدة . وقد ظل ستورمان ، وهو رجل أعمال من ولاية كليفلاند بعيداً عن أضواء الشهرة حتى سنوات قليلة مضت .. ثم لمع نجمه فجأة بوصفه الشخصية المسيطرة على إنتاج وتوزيع الأفلام الفاضحة «البورنو» ليس في أمريكا فقط بل في جميع أنحاء العالم . وقد وصف أحد خبراء سوق الجنس ، روبن ستورمان ، بأنه لا يتحكم فقط في صناعة الجنس بل هو تجسيد حي لهذه الصناعة التي ربما لما كانت وجدت أصلاً بالشكل الذي هي عليه الآن بدون ستورمان !!

والحياة الخاصة لهذا الرجل الغريب تعد لغزاً كبيراً ، فهو يستخدم ٢٠ اسماً مستعاراً !! ونادراً ما يتحدث للصحفيين بل واعتاد على إخفاء وجهه دائماً وراء قناع خاصة عند مثوله أمام المحكمة في أي قضية تتعلق بنشاطه المريب . ورغم الانتقادات المريرة التي توجه إليه بإفساد الشباب وتخريب المجتمع الأمريكي إلا أن كثيرين يدافعون عنه ويصفونه بأنه «عبقري» ، بل وبأنه أحد أبطال حرية التعبير !! ويقولون عنه إنه رجل أعمال استطاع أن يحقق الثراء والنجاح بفضل «جديته» و«ذكائه» وثقته في نفسه بلا حدود !!

أما بالنسبة لدعاة الأخلاق وأيضاً للمسئولين في وزارة العدل الأمريكية ، فإن روبن ستورمان هو زعيم شبكة إجرامية كبرى تحظى بحماية شخصيات أمريكية مسئولة على أعلى مستوى .

ولد روبن ستورمان في عام ١٩٢٤ وتربى في كليفلاند حيث كان والده يمتلك محلاً للبقالة وبعد أن أدى الخدمة العسكرية والإلزامية في سلاح الطيران الأمريكي خلال الحرب العالمية الثانية التحق بجامعة «وسترن دسيوف» وتزوج بعد تخرجه من الجامعة ثم بدا حياته في مجال

الأعمال الخاصة ، واستخدم جراج السيارة في بيت أسرته كمخزن لتجارته حيث كان يقوم بزيارات ليعرض عليها أن يقوم بتوزيع منتجاتها باستخدام سيارته الخاصة ، وفي أواخر الخمسينيات عمل في توزيع الكتب الفكاهية وازدهرت تجارته وأصبح يمتلك شركة ضخمة لها ثمانية فروع في المدن الأمريكية الكبرى واقترح أحد الموظفين على ستورمان أن تقوم الشركة بتوزيع عدد من مجلات الجنس .. واكتشف صاحب الشركة أن أرباح هذه المجلات تصل إلى ٢٠ ضعف أرباح الكتب الكوميدية والفكاهية ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى كانت شركة روبن ستورمان تحصل على حقوق توزيع جميع المجلات الجنسية في أمريكا ثم أصبحت الشركات تصدر مجلات الجنس الخاصة بها وتفتتح مئات الأكشاك والمحال الصغيرة لتوزيع هذه المجلات.

والحقيقة أن روبن ستورمان لم يكن في يوم من الأيام رجلاً مهوساً بالجنس على حد تعبيره فقد أكد أن المسألة بالنسبة له لم تكن أكثر من تجارة رابحة وقد أصبح واحداً من أكبر الناشرين الأمريكيين في هذا المجال في نهاية الستينيات ثم أصبح هو أكبر موزع للصحف والمجلات الجنسية في أمريكا كلها .

وكان ستورمان هو مبتكر فكرة صناديق الجنس التي تعمل بالعملة حيث يكون بوسع الزبون مشاهدة المشاهد الجنسية بمجرد وضع العملة في مكانها المحدد بالصندوق والنظر عبر فتحة صغيرة .

وحقق هذا الابتكار له أرباحاً هائلة خاصة بعد أن وضع ستورمان هذه الصناديق في كل مكان وأخذ يتفق مع جميع محال بيع الكتب على وضع صندوق الجنس في أحد أركانها دون مقابل وبشرط واحد هو اقتسام الأرباح ، ونتيجة للإقبال الشديد ، أقام ستورمان مصنعاً لصناعة هذه الصناديق وأسس شركة للإشراف على صيانتها وتشغيلها وأصبحت صناديق الجنس تحتاج لأعداد كبيرة من أفلام العري وكان هذا هو السبب المباشر في ازدهار صناعة أفلام الجنس التي أصبحت تحقق أرباحاً خيالية تتجاوز حتي أرباح بيوت الدعارة وملاهي الرقص العاري .

وفي هدوء شديد ، نشط روبين ستورمان في إنتاج وصناعة آلاف الأفلام الجنسية خلال السبعينيات بالإضافة إلى افتتاح المئات من المنافذ اللازمة لتوزيعها ، وأسس شركات أخرى

تعمل في صناعة الجنس خارج أمريكا خاصة في فرنسا وبريطانيا وسويسرا وألمانيا وهولن
كما افتتح عدة مصانع في آسيا لصناعة الأدوات والأجهزة التي تحتاجها هذه الشركات ، وفي
عام ١٩٧٤ ، أدرك ستورمان أن مستقبل صناعة الجنس كلها يكمن في أفلام الفيديو فقف
بنقل كل الأفلام التي أنتجها من قبل على شرائط ١٦ ملليمتر إلى شرائط الفيديو وأخذ يرك
على افتتاح محال لتأجير هذه الأفلام في كل مكان داخل أمريكا وخارجها وأصبحت شركا
تبيع هذه الأفلام في ٥٠ ولاية أمريكية و ٤٠ دولة أجنبية وأصبح من المستحيل على أ
شخص أو شركة دخول هذا المجال دون التعاون مع ستورمان .

وتقول المصادر الأمريكية الرسمية إنه لم يسبق لشخص واحد أن سيطر بالكامل علم
صناعة معينة إلا في حالتين اثنتين فقط الأولي هو سيطرة روبن ستورمان على صناعة الجنس
والثانية هي سيطرة الملياردير بيل جيهنس على صناعة برامج الكمبيوتر .

ولا شك أن ستورمان واجه تهديدات عديدة لنجاحه المذهل ، ولكن الغريب أن مصدر هذ
التهديدات لم يكن هو شركات منافسة بل الحكومة الأمريكية ذاتها ، وقد بدأت الحرب بين
روبن ستورمان والحكومة الأمريكية في عام ١٩٦٤ عندما اقتحم رجال مكتب التحقيقات
الفيدرالية مخازنه واستولوا على ٥٩٠ نسخة من فيلم فاضح عنوانه «الحياة الجنسية» وقد
أدانته المحكمة بتهمة الإفساد الأخلاقي ، ولكنه رفع قضية على أدجار هوفر مدير مكتب
التحقيقات الفيدرالي اتهمه فيها باضطهاده وتلفيق التهم له وتمت المصالحة بينهما وأسقطت
الاتهامات ضده . وقد قدم روبن ستورمان للمحاكمة ٤ مرات بعد ذلك ، ولكنه كان يتمكن
في كل مرة من الحصول على البراءة ليخرج من الاتهامات الموجهة ضده كما تخرج الشعرة من
العجينة .

ويفسر روبن ستورمان ذلك صراحة قوله «إنه يعتبر المحامين في نفس درجة أهمية ممثلات
أفلام العري بالنسبة لمجال عمله» .

وكانت الثغرة التي ينفذ منها ستورمان دائماً هي الدفع بأن من حق المواطن الأمريكي أن
يسمع أو يشاهد أي شيء يريده وأنه لا حق لأحد ، بما في ذلك الدولة ، في فرض الوصاية
على المواطنين !!

وكان كل انتصار يحققه ستورمان على السلطات الأمريكية يدفع به إلى المزيد من السطوة

والنفوذ في عالم صناعة الجنس حتي تحول إلى غول كبير يلتهم كل من يحاول المساس بامبراطوريته .

وأخيراً استطاع ضابط شاب يدعى ريتشارد روزفيلدر أن يوقع به ، فقد بدأ ريتشارد عام ١٩٧٥ وكان عمره ٢٧ عاماً فقط في التحري عن أنشطة روبن ستورمان واستمر هذا الضابط يتابع ستورمان ١٩ سنة كاملة دون أن يدري أحد حتى أمسك برقبته أخيراً ليس بتهمة نشر الفسق والفجور بل بتهمة التهرب من الضرائب .. واستطاع الضابط ريتشارد روزفيلدر أن يثبت أن امبراطور صناعة الجنس هرب ملايين الدولارات من أرباح شركاته دون أن يدفع عنها أي ضرائب .

الغريب أن ستورمان نفسه أعلن أنه لا يحبذ أن يدفع ضرائب للحكمة لأنه يعتبرها نوعاً من الدعم للعدو الذي يحاربه في مجال عمله .

وفي خطوة نادرة الحدوث ، قدمت البنوك السويسرية للحكومة الأمريكية كل تفاصيل الحسابات السرية لروبن ستورمان الذي أدين بتهمة التهرب من الضرائب عام ١٩٨٥ ، ولكنه استطاع تأجيل المحاكمة لمدة ٤ سنوات أخرى وصدر الحكم أخيراً بسجنه في لاس فيجاس عام ١٩٨٩ ولكنه تمكن من الهروب من السجن عام ١٩٩٢ واختفى تماماً مما دفع السلطات الأمريكية إلى الاعتقاد بأنه هرب إلى خارج البلاد ولن يعود أبداً مرة أخرى .

ولكن الغريب أن ستورمان لم يغادر البلاد وتم القبض عليه في شقة متواضعة قرب ديزني لاند بعد ثمانية أسابيع فقط من هروبه ، وعند تقديمه للمحاكمة مرة أخرى حاول رشوة القاضي واستأجر بعض البلطجية لتحطيم شركة يمتلكها أحد مساعديه وكان هو الذي أبلغ عنه .

وطالبت الحكومة الأمريكية ستورمان بسداد مبلغ ٢٩ مليون دولار قيمة الضرائب التي حاول التهرب منها وتم التحفظ على ممتلكاته وأمواله في البنوك .

وفي النهاية ، بلغ مجموع الأحكام التي صدرت ضده ١٩ عاماً في السجن ، وهو يقضي فترة العقوبة الان بأحد السجون الفيدرالية في ولاية كنتاكي حيث بلغ من العمر ٧٢ عاماً رغم أنه يبدو أصغر بكثير من ذلك .

ويوصف ستورمان داخل السجن بأنه مثل الملوك أو الرؤساء السابقين فهو شديد الاعتزاز

بنفسه ولا يخفي كراهيته للمسئولين الحكوميين الأمريكيين الذين يصفهم بأنهم «حفنة من الأوغاد» .

وملك البورنو ، مستاء مما يصفه بتدهور مستوى صناعة الجنس في أمريكا ويقول إن المسيطرين على هذه الصناعة الآن يبحثون عن الإنتاج الرخيص وليس النوعية الراقية التي كان حريصاً على تقديمها عندما خلق صناعة الجنس في أمريكا في الستينيات .

□□□

وبعد دخول روين ستورمان السجن ، ظهر ملوك جدد على عرش صناعة العري أو «البورنو» ، في الولايات المتحدة .. ومن أبرز هؤلاء الملوك ستيفن هيرش صاحب ورئيس إحدى الشركات الكبرى العاملة في هذا المجال ، وهو شاب لا يتجاوز عمره ٢٦ عاماً طويل الشعر جاد الملامح ولديه سيارة فاخرة من طراز فيراري .. ويوجد مقر شركته لصناعة أفلام الجنس على مسافة عدة أميال جنوبي هوليوود عاصمة السينما الأمريكية والعالمية .

وقد بدأ هيرش نشاطه في هذا المجال عام ١٩٨٤ وكان عمره لا يتجاوز ٢٢ عاماً .. وهو يعتقد أن جميع أفلام الجنس تتشابه وأنه الوحيد القادر على صناعة أفلام متميزة لأنه يختار أفضل الممثلات ويدفع لهن بسخاء كما أنه يحرص على أن يكون جمهور أفلامه من الجنسين .

ورداً على سؤال حول ما إذا كان هيرش يعتقد أنه يصنع أفلاماً سينمائية حقيقية قال إن أفلامه لا تختلف عن تلك التي تنتجها هوليوود ويمنحونها الجوائز !!

ويضيف قائلاً : إن أفلامه بها ممثلات على أعلى درجات «الموهبة» وإنه يحرص على وجود سيناريو جيد وحوار متميز بالإضافة إلى مخرجين ومصورين وفنيين سينمائيين من الدرجة الأولى ، ولكنهم ربما لم يجدوا فرصتهم في «السينما التقليدية» لأسباب خارجة عن إرادتهم .

ويمتلك هيرش الآن حوالي ٥ شركات تعمل كلها في صناعة أفلام البورنو ويتم توزيعها عبر قنوات التليفزيون الخاصة وشبكات الكمبيوتر وأفلام الفيديو وقد أسس شركة أخرى مع مجلة بلاي بوي أطلق عليها اسم «سينما الكبار» تقدم الأفلام الفاضحة للمشاهدين في منازلهم مقابل أجر عن طريق محطة تليفزيون خاصة اشتركت فيها أيضاً معظم الفنادق في الولايات المتحدة وأوربا وتحقق هذه الشركات أرباحاً إضافية هائلة من وراء الإعلانات التي تعرضها بين

أحداث ومشاهد فيلم «البورنو» .

ويبيع هيرش أيضاً حقوق توزيع أفلامه في الأسواق الخارجية التي تكفي وحدها لتغطية نفقات إنتاج هذه الأفلام التي قد تصل إلى ١٠٠ ألف دولار للفيلم الواحد ..

وينفي هيرش بشدة اتهامه بأنه يعمل في مجال الإثارة ويقول إنه يعمل ٢٤ ساعة في اليوم ويتعامل مع فنانين ورؤساء شركات محترمه لأنه يعتقد أن صناعة أفلام العري ليس فيها ما يشين ، من وجهة نظره الخاصة ..

ويؤكد هيرش أنه ولد وسط هذه الصناعة ، فقد كان والده يعمل في إحدى شركات صناعة أفلام الكبار فقط وقد جعل ابناءه جميعاً يعملون معه في هذا المجال خلال الإجازة الصيفية من المدارس والجامعات ، وتعمل شقيقة هيرش الآن كمديرة إنتاج لإحدي شركاته التي تنتج أفلام الجنس ..

□□□

ومن أبرز ملوك صناعة الجنس في أمريكا أيضاً لاري فلينت الذي يمتلك واحدة من أكبر شركات إنتاج أفلام البورنو في ولاية كاليفورنيا .

ويتوقع فلينت ، الذي يحمل شهادة دكتوراه في الاقتصاد ، أن تزدهر صناعة الجنس خلال السنوات القادمة لسببين أساسيين :

الأول هو استخدام التقدم العلمي والتكنولوجي في تطوير الإنتاج ووسائل التوزيع . أما السبب الثاني فهو اتجاه إنسان العصر الحديث نحو البحث عن مصادر متجددة للترفيه بهدف التخلص من الضغوط النفسية الرهيبة التي يتعرض لها في العالم الصناعي المادي .

وينفرد فلينت بين ملوك البورنو الأمريكيين بتأييد منع الأطفال والمراهقين من مشاهدة أفلام الجنس وأيضاً أفلام العنف وخلاف ذلك .. فهو يطالب بإتاحة كل الحرية للبالغين والكبار لمشاهدة مايريدون ولذلك فهو يصف قوانين الرقابة على الأفلام بأنها إهانة لذكاء المواطن الأمريكي وقدراته على الاختيار وحقه في المعرفة ما دام ذلك لا يمس حقوق الآخرين .

ونتيجة لهذا المفهوم ، أصبحت المواد الفاضحة التي تنتجها شركات فلينت من أفلام وكتب وغيرها هي الأكثر استفزازاً للتيارات المحافظة ودعاة حماية الأخلاق . وبدأت السلطات

الأمريكية تتشدد ضده بعد أن أخذ ينتج أفلاماً تدور حول شخصيات حقيقية ارتبطت اسماؤها بفضائح وأضاف إلى هذه الفضائح قدراً هائلاً من الإثارة الخيالية .

وقد دخل لاري فلينت في معارك ضارية مع السلطات القانونية الأمريكية وهاجم المحكمة العليا وقال إن لديه الان ما يكفي من الأموال لكي يشن حرباً على المحكمة الدستورية العليا في أمريكا لتغيير جميع القوانين الرقابية التي يصفها بأنها تحاول «الحجر على الحريات» ..

ويتنبأ فلينت بأن إلغاء هذه القوانين سيكون من شأنه دفع صناعة أفلام الجنس في أمريكا إلى عنان السماء ، وبعد ذلك ستهدأ هذه الظاهرة مرة أخرى بعد أن تفقد بريق الممنوع وتصبح من الأمور العادية التي سرعان ما يملها الناس ، وعلى العكس من ذلك ، يؤكد بروس تايلور رئيس المركز الوطني الأمريكي لحماية الأسرة والطفل أن إلغاء القانين المقيدة لصناعة الجنس سيكون بمثابة الكارثة على المجتمع الأمريكي ويصف تايلور هذه الصناعة بأنها تمتهن كرامة المرأة وتشجع على جرائم مثل الاغتصاب والبغاء .

□□□

وسينما الجنس في أمريكا لها نجماتها ونجومها الذين لا يقلون بريقاً أو شهرة عن نجوم ونجمات هوليوود ، والأمريكيون بل والأوروبيون أيضاً ، يعرفون نجمات من أمثال سامنتا سترونج وبينا هارتلي عن طريق أفلام الجنس التي يتم توزيعها على أوسع نطاق .

وتعمل نينا هارتلي في هذا المجال منذ عشر سنوات وهي تعتبر نفسها من «المناضلات» من أجل تحرر المرأة وحصولها على كل حقوقها وتقول إن جدها كان مذيعاً بالراديو وكلاهما كان من أصحاب الآراء النقدية . وقد حصلت نينا هارتلي على شهادة في التمريض ، ولكنها كانت تهوى الرقص العاري الذي احترفته منذ أوائل الثمانينات . وقد مثلت نينا حوالي ٣٠٠ من أفلام الجنس وهي تعيش حياة زوجية مستقرة منذ ١٤ عاماً !

وتفجر نينا قنبلة ، عندما تؤكد أن غالبية المسيطرين على صناعة الجنس في أمريكا ينتمون للحزب الجمهوري أي أنهم من أصحاب الآراء التقليدية والمحافظة ولكنهم رغم ذلك يعملون في هذا المجال الذي يختلف عن قناعاتهم الشخصية باعتباره نوعاً من البيزنس لا أكثر ولا أقل .

أما سامنتا ستروينج فهي نجمة البورنو التي تكاد شهرتها تتفوق على شهرة نجمات هوليوود من أمثال شارون ستون وغيرها .

وسامنتا ستروينج حاصلة على شهادة جامعية في العلوم الإدارية وهي ذات جمال ساحر وفي نفس الوقت على قدر هائل من الذكاء الذي يتجلى بوضوح عندما تتحدث عن مهنتها .

فهي تؤكد أن تمثيل أفلام البورنو لا يقل صعوبة عن الأفلام التقليدية الأخرى ، بل ربما يحتاج لقدرات «فنية» أكبر لأن نجمة البورنو في رأيها تبذل جهداً أكبر لأنها تتعامل مع مشاهد من نوعية خاصة جداً . والأكثر من ذلك ، أن الظروف التي تعمل فيها نجمة البورنو أصعب بكثير من ظروف عمل الممثلات الأخريات حيث يتعين عليها أن تؤدي أصعب المواقف تحت الأضواء وأمام عدسات الكاميرات وعيون الفنيين العاملين في الفيلم .

وتعترف سامنتا بأن الكثيرات يعملن في سينما العري سعياً وراء المال أو بسبب عشقهن للنجومية وحب الاستعراض .

وفي نفس الوقت ، هناك العديد من الفتيات يسقطن في هاوية أفلام الجنس بسبب إدمانهن المخدرات حيث تصبح الفتاة في هذه الحالة مستعدة لعمل أي شيء ، وكل شيء ، لكن الواحدة منهن تحترق خلال عام واحد أو عامين ، بعد ذلك تتدهور إلى مرحلة أدنى في عالم البغاء .

ويتركز الطلب بالنسبة لممثلات هذه النوعية من الأفلام على الفتيات في سن المراهقة والعشرينيات ، وكلما كان الوجه جديداً والممثلة صغيرة السن ، كلما كان أجرها أكبر في عالم سينما البورنو .

وتتعرض الممثلة لأخطار مهنية عديدة ، منها الايدز ولذلك فإن جميع منتجي أفلام البورنو يحرصون على إجراء فحوص دورية للممثلين والممثلات بهدف التأكد من خلوهم من هذا المرض الخطير .

ويصل أجر ممثلة أفلام البورنو المتعاقدة مع إحدى شركات الإنتاج إلى ١٠٠ ألف دولار في العام تمثل خلالها حوالي ٢٠ فيلماً ، وفي بعض الأحيان تحصل الممثلة على جزء فقط من أجرها ولا تستطيع رفع دعوى للمطالبة ببقية الأجر أمام المحكمة لأنها لا تستطيع تحدي شركة الإنتاج بإمكانياتها الضخمة ونفوذها الهائل ، وكبار النجمات يتم التعامل معهن بطريقة

أخرى حيث تحصل الواحدة منهن على ألف دولار في المشهد الواحد وبالنسبة لممثلات
الثانية فإن أجر الواحدة منهن عن المشهد لا يتجاوز ٣٠٠ دولار .. وتستطيع الواح
تمثيل مشهدين في اليوم الواحد لمدة خمسة أيام في الأسبوع ومع تزايد عدد الفتيات ا
في الانضمام لهذه المهنة وصل أجر المشهد الواحد للممثلة الجديدة في أفلام البورنو إل
دولاراً فقط .

□□□

ورغم شراسة حرب الفساد والإفساد التي يشنها أباطرة الجنس وتجار الأعراض على
الأمريكي .. ورغم الانتصارات الضخمة والأرباح الهائلة التي تحققها صناعة الج
الولايات المتحدة .. ورغم سقوط الكثيرين من الشباب الأمريكي في مستنقع الرذيلة
استسلموا لإغاء شياطين الجسد ..

رغم كل ذلك ، ما زالت هناك مواقع للمقاومة داخل المجتمع الأمريكي ترفض أن
الإنسان إلى مخلوق لا تحكمه سوى غرائزه وتقاوم من أجل الحفاظ على المكاسب الح
التي حققها العلماء والأدباء والفنانون الأمريكيون . هذه المواقع عديدة في الولايات ا
الآن وفي مقدمتها الجامعات والمعاهد العلمية ومراكز الأبحاث والمنظمات الحكومية
الحكومية التي تحاول توصيل رسالة بسيطة للشباب الأمريكي . رسالة مؤداها أن هناك
تواجه الإنسان أهم من إرضاء غرائزه الحيوانية.. وأن كثيراً من الامبراطوريات والحد
التاريخية قد انهارت في لحظة واحدة هي اللحظة التي فقدت فيها الأخلاق وأصبحت
سيطرة غول رهيب اسمه الفسق !

□□□

في السوق الأمريكي ، هناك كل أشكال السلع الجنسية التي ترضي كل الأذواق ، .
الأمراض النفسية مثل السادية أي التلذذ بتعذيب الآخرين ، والمازوكية أي التلذذ بت
الذات بالإضافة إلى شرائط الفيديو التي تتضمن الألفاظ الخارجة وعبارات السباب ا
التي يهوى بعض المعقدين النفسيين سماعها .

ويقول الخبراء الأمريكيون أنفسهم إن صناعة الجنس في أمريكا الآن تقدم نموذجاً لـ

انجراف السوق الحر نحو توجيه الإنتاج إلى الاتجاه الذي يلبي احتياجات ومتطلبات السوق ، مهما كانت غريبة أو شاذة أو مرفوضة من الناحية الأخلاقية .

وتشير الدراسات الأمريكية إلى أن الرجال ما زالوا هم الشريحة الرئيسية الأكبر من مستهلكي السلع الجنسية مثل أفلام الفيديو وغيرها حيث يتم طرح الإثارة من وجهة نظر الرجل وبحيث يكون جسد المرأة مجرد وسيلة للتعبير عن هذه الإثارة . ورغم ذلك ، فهناك إحصائيات تؤكد أن المرأة الأمريكية أيضاً تلعب دوراً في مجال استهلاك السلع الجنسية . وقد أشارت إحصائية نشرتها مجلة «ريد بوك» وهي مجلة نسائية إلي أن حوالي نصف قارئات المجلة يشاهدن أفلام الفيديو الفاضحة في المنازل وقد أجريت هذه الإحصائية خلال فترة الثمانينات ومن المؤكد أن هذه النسبة قد تزايدت في الوقت الراهن .

ومن أهم الظواهر التي لفتت أنظار الباحثين وعلماء الاجتماع في الولايات المتحدة أن معقل أو وكر صناعة الأفلام الفاضحة في أمريكا الآن هو منطقة «فان تايزن» في وسط وادي سان فرناندو بولاية كاليفورنيا ، وهي مجتمع تعيش فيه طبقة متوسطة من البشر كانت تعاني من ضغوط اقتصادية هائلة ، ولكنها أصبحت تعيش في مستوى مرتفع نتيجة حالة ازدهار اقتصادي مرتبط بصناعة الجنس التي خلقت فرصاً للعمل في مجالات ليست لها أي علاقة مباشرة بهذه الصناعة . فعلى سبيل المثال انتعشت المطابع التجارية في وادي سان فرناندو لأنها أصبحت تعمل في مجال طبع صور الدعاية وأغلفة الأفلام العارية . نفس الشيء تكرر في صناعات أخرى مثل صناعات البلاستيك والكاوتشوك والأوراق وغيرها . رغم أن منطقة سان فرناندو في كاليفورنيا هي الآن معقل صناعة كبرى هي صناعة الجنس إلا أن الغرفة التجارية في هذه المنطقة ترفض الإشارة إلي صناعة الجنس في نشراتها حول الأنشطة الصناعية والاقتصادية في سان فرناندو .

□□□

وتعتبر قنوات التليفزيون الخاصة التي تبث إرسالها بنظام «الكابل» للمشتركين فيها أحد أهم جوانب التطور الذي شهدته صناعة الجنس في الولايات المتحدة خلال السنوات القليلة الماضية .. فمن خلال هذه القنوات ... يستطيع المشاهد أن يطلب الفيلم الذي يرغب في مشاهدته مقابل أجر معين .. وقد حققت هذه النوعية من الأفلام أرباحاً بلغت ١٥٠ مليون

دولار في العام الماضي فقط ، وكان نصيب شركات القنوات التليفزيونية الخاصة من هذه الأرباح هو ٧٠ في المائة . وهي تقدم «خدماتها» لمدة ٢٤ ساعة كل يوم وتعمل سبعة أيام في الأسبوع ولذلك وصفها أحد الخبراء بأنها «البقرة الحلوب» ، التي تدر أرباحاً هائلة كل يوم ومن أشهر الشركات الأمريكية التي تعمل في هذا المجال شركة «تايم وارنر» وشركة «كونتيننتال كابل فيجور» .... وآخر هذه القنوات الخاصة تطلق على نفسها اسم «سبايس تشانل» أي قناة التوابل أو القناة الحارة !!

وتشمل أرباح هذه القنوات عائدات الإعلانات التي يتم عرضها بين مشاهد الأفلام الفاضحة بالإضافة إلي الأدوية والمقويات الجنسية التي تقوم القنوات الخاصة بالدعاية لتوزيعها .

وهناك خدمات خاصة تقدمها قنوات الكابل للفنادق بلغت عائداتها في العام الماضي فقط ١٧٥ مليون دولار حيث تقدم خدماتها لنزلاء الفندق مقابل مبالغ معينة .

وتقوم شركات إنتاج الأفلام الفاضحة في الولايات المتحدة بتصدير منتجاتها إلى الأسواق الأجنبية وخاصة في أوروبا حيث تشتري القناة الفرنسية الخاصة «كانال بلاس» عشرة أفلام كل شهر من الإنتاج الأمريكي الفاضح . ونفس الشيء يحدث بالنسبة للقنوات الأوروبية الأخرى التي قد تحاول منافسة الأمريكيين في مجال العري ، ولكنها رغم ذلك تعترف بعجزها عن الاستغناء عن الواردات الأمريكية في هذا المجال .

□□□

ويقول الخبراء الأمريكيون إن صناعة الجنس في الولايات المتحدة أصبح من الصعب السيطرة عليها الآن خاصة بعد أن ظهرت في السوق السوداء سلع جنسية ينتجها الهواة ولا يعرف أحد مصدراً محدداً لها ، ووصلت نسبة أفلام العري التي ينتجها الهواة في أسواق أمريكا إلى الخمس . ورغم أن المسئولين عن صناعة هذه الأفلام ليسوا من المحترفين إلا أنها تحقق رواجاً لسببين أساسيين .. الأول هو رخص أسعارها والثاني هو تلقائيتها التي يشعر بها المشاهد منذ اللحظة الأولى خاصة من حيث الوجوه التي يشاهدها للمرة الأولى والتي يندر أن تتكرر بعد ذلك .

وتعـد أندية الرقص العـاري «الاسـتـر بتـيـز» من أهم جـوانب ظاهرة صناعـة الجنس في أمريكا.. فخلال الفترة من ١٩٨٧ وحتى ١٩٩٢ تضاعف عدد هذه الأندية ووصل في العام الماضي إلى ٢٥٠٠ ناد يحقق الواحد منها أرباحاً تتراوح بين ٥٠٠ ألف دولار و٥ ملايين دولار كل عـام . وقد ارتفعت أسعار راقصات الاستربتيز في الولايات المتحدة بشكل رهيب خلال السنوات الأخيرة . وهناك خمس أو ست راقصات على القمة في هذا المجال وتتقاضى الواحدة منهن مبلغاً يتراوح بين ١٥ ألف دولار وعشرين ألف دولار في الأسبوع مقابل الرقص كل ليلة في أحد أندية الاستربتيز لمدة ٢٠ دقيقة هو زمن الرقصة الواحدة ، وينخفض هذا المبلغ إلى عشرة آلاف دولار فقط بالنسبة لراقصات الصف الثاني ، ويتوقف أجر راقصة الاستربتيز على مدى شهرتها والأدوار التي أدتها في الأفلام الفاضحة وعدد المرات التي ظهرت فيها على أغلفة المجلات الجنسيـة الشهيرة مثل «البلاي بوي» و «البنت هاوس» وغيرها .. والغريب أنه كلما تزايد عدد الأفلام الفاضحة التي شاركت فيها الفتاة انخفض أجرها كراقصة استربتيز لأن راقصات الاستربتيز ينظرن بترفع وربما باحتقار إلى ممثلات الأفلام الفاضحة !!

وقد ظهرت شركات ، وخاصة في منطقة سان دييجو ، أعلنت أنها على استعداد لشراء أي شريط فيديو فاضح يمثله أشخاص عاديون بمعنى أفراد لا علاقة لهم بالتصوير أو الإخراج أو أي مجال من المجالات التي يسيطر عليها المحترفون في صناعة الجنس .

وتدفع هذه الشـركات ٢٠ دولاراً مقابل كل دقيقة صالحة للعرض في الفيلم ويعلق أحد النقـاد على هذا الوضع بقوله إن هذه الشـركات تطبق الديمقراطية في مجال صناعة الجنس بالولايات المتحدة ... فهي تعتبر الأفلام الفاضحة من الشعب وإلى الشعب بمعنى أنها تأخذ هذه الأفلام من عامة الناس وتعيدها مرة أخرى إلى عامة الناس أيضاً ويقتصر دورها فقط على موقع الوسيط بين الشعب المنتج والشعب المستهلك .

ولا شك أن هذا الدور شديد الخطورة لأنه لا يكتفي فقط بإفساد شريحة المشاهدين بل أيضاً يندفع بقوة نحو إفساد المجتمع كله وحثه لدخول تلك الدائرة الجهنمية بحيث يشارك في صناعة السم الذي يشربه هو نفسه في النهاية ..

وهذه النوعيـة «الشعبيـة» من أفلام الفيديو الفاضحة ، أي التي يصنعها الشعب ويستهلكها الشعب أيضاً ذات ملامح خاصة ، فالشخصيات التي تظهر فيها تختلف عن

الممثلين المحترفين .. وهي نماذج من نوعيات عديدة غير منتقاة بعناية فالأوزان مختلفة وألوان البشرة مختلفة وأطوال القامة وألوان الجسم مختلفة وأيضاً اللغات المستخدمة ربما تكون مختلفة .

وهكذا ، تأخذ صناعة الجنس في الولايات المتحدة أبعاداً شديدة الخطورة لأنها لا تكتفي بالضغط على المواطن الأمريكي بشتى السبل لكي ينضم إلى طوابير المستهلكين للسلع الآثمة التي تنتجها بل تسعى بكل قوة إلى ربطه بعملية إنتاج هذه السلع حتى تنعدم تماماً فرصته في الخلاص أو التحرر من قيود صناعة الجنس التي تحاصره في كل وقت وفي كل مكان .

وإلى جانب صحافة الجنس التقليدية مثل المجلات والصحف وأيضاً الكتب الفاضحة ، أصبحت التكنولوجيا العصرية ، إحدى الوسائل الحديثة التي بدأ رجال المال والأعمال الذين يسيطرون على هذه الصناعة في استغلالها بطريقة بشعة للترويج لمنتجاتهم .

فعلى سبيل المثال هناك شبكة الكمبيوتر «الانترنت» التي اقتحمها تجار الجنس لعرض المواد العارية والخليعة مستغلين الإقبال الرهيب في الولايات المتحدة على شراء واقتناء أجهزة الكمبيوتر .

ورغم ذلك ، يؤكد الخبراء أن شركات صناعة الجنس في أمريكا ما زالت غير راضية عن مستوى الأرباح التي تحققها من خلال «الجنس بالكمبيوتر» بالمقارنة مع مجال آخر مثل الفيديو ويتوقع الخبراء أن تزداد فاعلية شبكات الكمبيوتر كوسيلة لدعم تجارة وصناعة الجنس بمرور الوقت ويستشهد الخبراء على ذلك بالإقبال على المواقع الجنسية داخل شبكة الانتر نت ، فقد احتلت مجلة «بلاي بوي» مساحة معينة على هذه الشبكة لعرض الصور التي تحملها صفحات المجلة ، وتشير الإحصائيات إلي أن عدد من يدخلون إلي هذه المساحة بالكمبيوتر يصل إلى خمسة ملايين شخص في اليوم الواحد .. وغني عن القول إن هذا العدد يشمل الأشخاص داخل الولايات المتحدة وخارجها أيضاً الذين بوسعهم الدخول إلى «شبكة الانترنت» من خلال أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم .

وبالنسبة للمستقبل ، يتوقع الخبراء الأمريكيون المهتمون بهذه القضية أن يحدث نوع من التلاقي بين الكمبيوتر والتليفزيون من أجل خدمة هواة العري والمواد الفاضحة ، ويقول هؤلاء الخبراء إنه خلال سنوات سيكون بوسع المشاهد أن يستخدم الريموت كنترول في البحث عن هذه

المواد على شبكة الانترنت وبعد ذلك لن يكون عليه سوى مجرد الضغط على زر صغير في الريموت كنترول ليشاهد المادة التي اختارها على شاشة التليفزيون داخل غرفته .

والأكثر من ذلك ، أنه سيكون بوسع هذا المشاهد أن يرى أي فيلم يريده من محلات الفيديو الخاصة عن طريق شبكة الانترنت أيضاً مقابل أجر .

ومن المتوقع أن يؤدي ذلك إلي تطور رهيب وارتفاع هائل في مبيعات الأفلام الفاضحة حيث إن الكثيرين من هواة هذه الأفلام يترددون في الذهاب إلى محال الفيديو وطلبها وجهاً لوجه خجلاً من نظرات البائع التي تمنع الكثيرين من خوض هذه التجربة ، فبعد استخدام الكمبيوتر في توزيع هذه الأفلام ، سيكون بوسع هؤلاء الهواة طلبها ومشاهدتها دون كشف شخصيتهم ودون الظهور أمام العاملين في محال الفيديو في صورة المراهقين أو أصحاب النزوات غير المحترمة .

والدليل على أن عنصر الخجل ما زال حتى هذه اللحظة يلعب دوراً في ردع عشاق الفسق عن الدخول بشكل مباشر إلى سوق الفساد ، أن إعلانات الخدمة الجنسية غير المباشرة تنتشر بدرجة ملحوظة في كل وسائل الإعلام وخاصة ما يسمى «الجنس بالتليفون» الذي تختفي فيه تماماً شخصية الزبون الذي قد يكون شخصية هامة في المجتمع أو رب أسرة لا يقبل الظهور علناً وسط أسواق الجنس بكل ما تحفل به من شرور وموبقات .

ورغم أن المكالمات التليفونية ذات الطابع الجنسي تكون عادة عبارة عن رسائل مسجلة إلا أن بعض الشركات التي تعمل في هذا المجال أصبحت تقدم المحادثات الحية الفورية التي يعتبرها البعض أكثر إثارة .

ومن أخطر الأرقام التي توصلت إليها الإحصائيات الأمريكية في هذا المجال ما أعلن مؤخراً حول حجم الأرباح التي تحققها بعض الشركات حوالي مليار دولار في العام الماضي فقط.

وأشهر الشركات الأمريكية العاملة في هذا المجال اسمها (ايه تي أند تي A.T. &T) وقد أدخلت تطويراً حديثاً على «خدماتها» الصوتية هو توصيل المتكلم بإحدى الممثلات الشهيرات في عالم الأفلام الجنسية ويتم ذلك طبعاً مقابل رسوم باهظة يدفعها هواة هذا الشكل من أشكال الانحلال الأخلاقي .

كما بدأت بعض الشركات في توصيل خدماتها إلي خارج الولايات المتحدة عن طريق الاتفاق مع شركات التليفون الدولية التي تقوم بتحصيل ثمن المكالمة ، مضافاً إليه الرسوم الخاصة بالمحادثة الجنسية ، من العميل مباشرة وتقدم نصف الأرباح للشركة الأمريكية بينما تحتفظ لنفسها بالنصف الباقي .

وقد أدى هذا النظام إلى إنقاذ العديد من شركات الاتصالات التليفونية من الإفلاس ، بعد أن تضاعفت أسعار بعض المكالمات الدولية وهي بالتحديد تلك الخاصة بالمحادثات التليفونية الجنسية، والدليل على ذلك هو ارتفاع مدة المكالمات الدولية التي أجرتها دولة إفريقية صغيرة هي «ساوتومي» من ٤٠ ألف دقيقة في عام ١٩٩٥ إلى ١٣ مليون دقيقة في العام التالي ١٩٩٦ .

□□□

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة الآن ، هل استسلم المجتمع الأمريكي المعاصر لهذه الهجمة الجنسية الشرسة التي تهدد بانهيار هذا المجتمع وسقوطه كما حدث للكثير من الحضارات في مختلف مراحل التاريخ ؟

الإجابة هي لا.. فما زالت هناك مواقع للمقاومة تتصدى بكل بسالة لتجار الجنس ومليونيرات العري ، فهناك قوانين ما زالت تقيد هذه التجارة الوضيعة وتحاول حماية البيت الأمريكي من الهاوية التي يدفعه إليها تجار الغرائز وسماسرة الرقيق الأبيض .

بعض هذه القوانين يتعلق بنشر وتوزيع المواد الفاضحة والبعض الآخر يخضع ضوابط للمواد التي تنقلها وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية .. وقد ارتفعت مؤخراً الأصوات التي تطالب بفرض رقابة أسرية على المواد التي تعرضها محطات التليفزيون من خلال أجهزة الكترنية وامتدت هذه الأصوات لتشمل أندية الرقص العاري «الاستربتيز» بهدف منع الصغار والمراهقين من دخولها وهو ما يمثل الحد الأدنى من جهود التصدي للفساد والإفساد الأخلاقي ، فليس من المعقول فرض قيود على بيع السجائر وتقديم الخمور للمراهقين غير البالغين إذا كان مسموحاً لهم بحرية تداول المواد والمشاهد الفاضحة سواء المقروءة أو المسموعة أو المرئية .. وغيرها .

وهناك من يرفضون فرض المزيد من القيود على المواد الجنسية بحجة أن الممنوع مرغوب وأنه من الأفضل ترك السلعة مفتوحة أمام الجميع حتي يشعر الناس بالملل بعد فترة من هذه

المواد، ولكن عبقرية تجار الجنس في الابتكار والتطوير تؤكد أنهم يعرفون جيداً كيف يستطيعون التغلب على أي شعور بالملل لدي زبائنهم وبالتالي فإن تصدي المجتمع الأمريكي لظاهرة صناعة الجنس أصبح هو الحل الوحيد الممكن ..

ولابد من الإشارة إلي الدور الرائع الذي تلعبه الجامعات الأمريكية ومراكز الأبحاث والمنظمات غير الحكومية في مواجهة طوفان صناعة الجنس الحالي في أمريكا .

فهذه الجامعات لا تتوقف عن عمل الدراسات والتقارير والإحصائيات التي تحذر من خطورة الإباحية .. ومراكز الأبحاث تدق نواقيس الخطر طوال الليل والنهار لتنادي بضرورة تكاتف الجميع ، الأسرة والمدرسة والإعلام ، من أجل التصدي لتجار الأعراض وحماية الأجيال القادمة منهم ومن بضاعتهم المسمومة ، أما المنظمات غير الحكومية ، فهي تلعب دوراً شديد الأهمية في جذب اهتمام الشباب بقضايا أكثر أهمية من الغرائز مثل قضايا حقوق الإنسان وحماية البيئة وغيرها ..

وحتى تكون الصورة أكثر وضوحاً ، لابد من التأكيد على أن المعركة ما زالت مستمرة في الولايات المتحدة بين أباطرة الجنس الذين لا تعنيهم سوى الأرباح الهائلة مثل أباطرة المخدرات وبين القوى الشريفة في المجتمع الأمريكي التي قد تكون تراجعت لفترة أمام وحشية تجار الغرائز ولكنها بالتأكيد ما زالت في قلب المعركة المستمرة منذ فجر التاريخ . وأعني بها تلك المعركة الأبدية بين الخير والشر .. بين النور والظلام .

◘○◘



٢

الحلم .. والكابوس

في مواجهة كل عوامل الانهيار الأخلاقي

التي تجتاح المجتمع الأمريكي ، هناك

قوى شريفة تتصدى لنزعات الجشع

والهيمنة .. والاستغلال ..



مسرحية فتاة «سايجون» التي عرضت بنجاح كبير على مسارح برودواي في نيويورك ، دليل جديد على أن الفنان الأمريكي ما زال في موقعه المتقدم أمام المجتمع في الولايات المتحدة رغم كل الظروف الصعبة التي تدفع بالجميع إلى التفاهة والسطحية .. والأكثر من ذلك ، إن هذه المسرحية ، تعيد الأمل مرة أخرى في يقظة الرأي العام الأمريكي الذي يمثل الضمير .. حيث تشهد صالة المسرح كل ليلة مظاهرة رائعة ضد كل الملامح القبيحة في الحياة الأمريكية المعاصرة خاصة عندما تلتهب الأكف بالتصفيق عند نهاية العرض لتؤكد دعمها غير المحدود لقيم الحق والخير والجمال ..

ربما كانت الفنون هي أهم مجالات الحياة الأمريكية التي تأثرت بحرب فيتنام وتفاعلت بأقصى قدر ممكن من الإنسانية مع أبعاد الغزو الأمريكي لهذا البلد الأسيوي الصغير وما نتج عن ذلك من ويلات وكوارث ما زال الكثيرون يدفعون ثمنها حتى اليوم . وطوال ربع القرن الماضي تقريباً ، عالج الفنانون الأمريكيون في شتى مجالات الإبداع القضايا والأفكار والدروس التي خرج بها العالم من وراء الغزو الأمريكي لفيتنام وبينما كان الساسة والعسكريون يحاولون تبرير هذه الجريمة ، كان الفنانون يبحثون عن أدلة الإدانة ووسائل إقناع الضمير الإنساني بتلك البديهية الصغيرة وهي أن الحروب يدفع ثمنها الشجعان .. وأن الحروب هزيمة للمنتصر والمهزوم على المستوى الإنساني إذا كانت كتلك الحرب التي دارت رحاها في حقول وقرى الفلاحين الفيتناميين الذين واجهوا غزواً من آلة عسكرية كبرى لا ترحم طفلاً أو شيخاً أو امرأة .. في هذا الإطار قدمت السينما الأمريكية العديد من الأفلام الرائعة ربما كان أشهرها «نهاية العالم ليست الآن» وهي أفلام كشفت للعالم وحشية هذا الغزو وتعاطفت مع الضحايا الأبرياء .

والأهم من ذلك ، أن الضمير الأمريكي نفسه ما زال متيقظاً لما حدث في فيتنام واعياً

بأهمية عدم تكراره مهما كانت المبررات ، والدليل على ذلك ، النجاح الهائل الذي تحققه الآن على مسرح برودواي ، في الشارع الشهير الذي يحمل نفس الاسم بنيويورك ، مسرحية«مس سايجون» أو فتاة سايجون التي تقدم معالجة درامية رائعة لأحداث حرب فيتنام من خلال خيط إنساني رفيع .

□□□

وقصة فتاة «سايجون» مقتبسة أو مستوحاة من الواقع وكان أول من عالجها اثنان من الكتاب الفرنسيين هما كلود ميشيل شونبرج والان بوبليل عام ١٩٨٥ بعد أن نشرت صحيفة «فرانس سوار» مأساة سيدة فيتنامية تبحث عن والد طفلها الذي كان أحد الجنود الأمريكيين في حرب فيتنام !

وتحكي المعالجة المسرحية الغنائية «فتاة سايجون» قصة الفتاة الفيتنامية «كيم» التي كانت تعيش في إحدى قرى جنوب فيتنام وتعرضت لظروف عائلية قاسية دفعتها إلى الهروب من قريتها إلى سايجون عاصمة ما كان يسمى بفيتنام الجنوبية . وفي سايجون ، تقع الفتاة القروية «كيم» في براثن متعهد يطلق على نفسه اسم «المهندس» والذي يدفع بها إلى هاوية الرذيلة لتعمل كفتاة ليل تقوم كغيرها من الفتيات بالترفيه عن الجنود الأمريكيين الذين يدعمون الحكومة العميلة في جنوب فيتنام .

وفي هذا المكان المشبوه ، تتعرف كيم على الجندي الأمريكي الشاب كريس الذي يتوجه إلي هذا المكان مع رفاقه الجنود بحثاً عن المتعة .

وتنشأ علاقة حب قوية بين الجندي الأمريكي والفتاة الفيتنامي التي تعيش في مستنقع الرذيلة وتصل هذه العلاقة إلي حد الزواج وفقاً للتقاليد الفيتنامية ويحضر خطيب الفتاة كيم من القرية لإعادتها بعد أن انضم إلي قوات المقاومة ضد الأمريكيين ولكن الفتاة ترفض وتؤكد له أنها تحب الجندي الأمريكي كريس الذي يتصدى للخطيب ويجبره على الهرب إلى الأدغال..

ويبدأ الفصل الثاني من المسرحية وهو في تقديري أروع ما فيها حيث يتجلى خلاله الموقف الإنساني المستنير والرؤية الواعية للمؤلف والمخرج بل وفريق العمل في المسرحية بالكامل .

فعلى صعيد الأحداث ، يشهد هذا الفصل مرحلة انهيار العملية العسكرية الأمريكية في

فيتنام وسقوط سايجون عاصمة فيتنام الجنوبية في أيدي قوات الزعيم «هوشي منه» وقد استطاع مخرج المسرحية أن يلخص الفشل الأمريكي في قهر الشعب الفيتنامي من خلال لغة مسرحية شديدة الرقي . فقد حول خشبة المسرح إلى جزء من قاعدة عسكرية أمريكية في سايجون يفصلها عن المتفرجين سور من السلك الشائك في مقدمة المسرح في إشارة إلى عزلة الغزو العسكري عن الرأي العام العالمي بل والأمريكي أيضاً .

وظهر الجنود الأمريكيون في هذا الفصل وهم في حالة هلع يحاولون الهروب من فيتنام بأقصى سرعة بينما يتوسل إليهم عملاء الجنوب الفيتنامي لكي يأخذوهم معهم إلى أمريكا حتى لا يسقطوا في قبضة القوى الوطنية الفيتنامية التي وحدت البلاد وأطلقت على سايجون عاصمة الجنوب اسم مدينة «هوشي منه» العاصمة الموحدة لفيتنام كلها . وظهر الجندي الأمريكي كريس وهو يرفض الرحيل بدون حبيبته الفيتنامية كيم التي تحتضن أسوار القاعدة الأمريكية في مشهد مؤثر وهي تصرخ باسم حبيبها الجندي الأمريكي . ولكن زملاءه يدفعون به إلى داخل الطائرة الهليكوبتر لتقلع به بعيداً عن أراضي فيتنام تاركاً حبيبته خلفه دون أي أمل في اللقاء .

ويظهر القواد «المهندس» في مشهد شديد الروعة وهو يبكي خوفاً على مصيره بعد أن تركه أصدقاؤه الأمريكيون رغم أنه كان يقدم لهم المتعة ويقوم بخدمتهم وكأنه كلب مخلص ولكنه لم يجد منهم سوى الاحتقار وهو نفس الشعور الذي كان من الواضح أنه يعتمل في نفوس المتفرجين الأمريكيين داخل صالة المسرح إزاء مصير هذا القواد ..

أما على صعيد التكنيك ، فليس هناك شك في أن مخرج المسرحية نيكولاس هانيتر قد استفاد لأقصى درجة من التكنولوجيا الأمريكية المتقدمة التي وصلت إلى حد ظهور طائرة هليكوبتر وهي تهبط على خشبة المسرح لتنقل الجنود من القاعدة العسكرية الأمريكية في سايجون ثم تقلع مرة أخرى أمام عيون المتفرجين وترتفع في السماء لتختفي وراء الأفق دون أن يشك متفرج واحد في أنه يشاهد طائرة هليكوبتر حقيقية .

ولقد لعبت الإضاءة أبرز الأدوار في أحداث هذا الفصل حيث استطاع مصمم الإضاءة المسرحية الأمريكي ديفيد هيرسي أن يستوعب فكر المؤلف ورؤية المخرج خاصة في مشهد رحيل الجنود الأمريكيين عن القاعدة العسكرية والذي غطته الأضواء الحمراء المتحركة بسرعة

لكي يجسد إحساس الجنود الأمريكيين بالخطر في هذه اللحظات وحالة العجلة والتخبط التي اجتاحت الوجود الأمريكي بأسره في فيتنام بعد أن عجزت الآلة العسكرية الأمريكية عن وقف تقدم القوى الوطنية الفيتنامية أو عرقلة مسيرتها لتحرير الوطن وتوحيده .

وتنتقل الأحداث بعد ذلك إلى إلقاء الضوء على بعض جوانب الحياة في فيتنام بعد الاستقلال .. وفي هذا السياق لا يمكن إغفال هذا القدر الهائل من الموضوعية الذي التزم به مخرج المسرحية إزاء رموز النضال الوطني في فيتنام الذين تصدوا للغزو الأمريكي لبلادهم .

فقد حمل المثلون أصحاب الملامح الآسيوية صور الزعيم الفيتنامي هوشي منه على خشبة المسرح لمدة عشر دقائق كاملة وهم يرددون أناشيد النصر الفيتنامية مع إضاءة مكثفة تركزت علي صور الزعيم الفيتنامي .

والغريب أن المتفرجين الأمريكيين تجاوبوا مع المشهد بالتصفيق الحار تعبيراً عن تأييد الرأي العام الأمريكي للمناضلين من أجل حقوقهم الذين يرفضون المساومة على شبر واحد من تراب الوطن .

ونعود لأحداث المسرحية من خلال الموقف في فيتنام الموحدة حيث يصبح خطيب الفتاة كيم ضابطاً في الجيش الفيتنامي ويتم القبض على القواد «المهندس» الذي يحاول كسب تعاطف الثوار من خلال ترديد الشعارات الثورية بطريقة جوفاء ولكنهم يعاملونه بكل احتقار .

ويلتقي الضابط خطيب كيم بالقواد ويسأله عن مصيرها والمكان الذي تعيش فيه فيبلغه بأنها تعيش في كوخ حقير بعد أن ألغى النظام الثوري البغاء . ويذهب الضابط إلى كيم ليبلغها أن الموقف تغير ولم يعد هناك ما تخشاه بعد رحيل قوات الغزو الأمريكي ويطلب منها أن تعود إليه وأن تتزوجه .. وهنا ، تفجر كيم المفاجأة وتبلغ خطيبها أن المسألة ليست فقط هي أنها تزوجت من الجندي الأمريكي بل إن لديها الآن طفلا صغيراً أنجبته من هذا الجندي الأمريكي ويرفض الضابط الثوري الاعتراف بالهزيمة حتى بعد أن رأى الطفل ويؤكد أن حل المشكلة يكمن ببساطة في قتل هذا الطفل الأمريكي لأنه في حد رأيه طفل غير شرعي .

ويتقدم الضابط بالفعل ليقتل الطفل ولكن الأم كيم تطلق عليه الرصاص لإنقاذ ابنها من الموت .

وعندما يعرف القواد «المهندس» أن هذا الطفل الأمريكي بحكم جنسية والده يرى أن الفرصة قد حانت بالنسبة له للحصول على تأشيرة دخول لأمريكا وتحقيق حلمه في ممارسة مهنته الحقيرة في الولايات المتحدة ، ولذلك يساعد الفتاة كيم في الاتصال بإحدى المنظمات الإنسانية التي تعمل على معرفة آباء الأطفال اللقطاء في فيتنام وتايلاند من الجنود الأمريكيين .. وبالفعل ، تنجح جهود هذه المنظمة في الوصول إلى كريس حبيب كيم والذي أنجبت منه طفلها .

وتؤكد كيم للجميع أنها تعيش من أجل تحقيق وعدها للطفل بأن تعثر على أبيه وبعد ذلك لا يهمها شيء في الحياة .

وتدور أحداث الفصل الثالث والأخير من المسرحية الغنائية «فتاة سايجون» في الولايات المتحدة حيث يتضح أن كريس تزوج من فتاة أمريكية هي «إيلين» دون أن يدري شيئاً عن طفله الذي تركه في أحشاء الفتاة الفيتنامية كيم ودون أن يعرف إن كانت كيم على قيد الحياة أم سقطت مع القتلى في الأيام الأخيرة من حرب فيتنام .

وتبلغ المنظمة الإنسانية كريس بمكان طفله وزوجته الفيتنامية كيم فيتردد في الاعتراف بالطفل والاتصال بكيم ويقول لصديقه مندوب المنظمة أن لديه الآن زوجة أمريكية وهو يحبها ولكن في النهاية تتغلب عليه مشاعر الأبوة ويصطحب زوجته إلى آسيا لإحضار طفله دون أن يبلغها بشيء عن زوجته الفيتنامية كيم .

وتحدث مواجهة بين «فتاة سايجون» كيم والزوجة الأمريكية «إيلين» . وعندما تعرف كيم أن كريس قد تزوج في بلاده تقول إنها لا تريد منه شيئاً سوى أن يعترف بابنه ويأخذه ليقوم بتربيته بعيداً عن الحياة الصعبة التي تعيشها . وترفض الزوجة الأمريكية السماح لزوجها كريس بأخذ الطفل لأنه سيكون وسيلة لإحياء العلاقة بين زوجها وحبيبته الفيتنامية القديمة .. وتؤكد إيلين أن المشكلة ليست في الطفل بل في أمه كيم التي أصبحت خطراً يهدد حياتها مع زوجها كريس . وهنا تتخذ «فتاة سايجون» قرارها الخطير والأخير من أجل طفلها بعد أن أدركت أنها تمثل عقبة أمام حياته مع أبيه فتطلق على نفسها الرصاص لتتخلص من حياتها وتجعل الزوجة الأمريكية توافق على أن يعيش الطفل مع أبيه دون أي خوف من عودة علاقته بأمه .. وينتهي هذا المشهد بطريقة ميلودرامية ، عندما تبكي الزوجة الأمريكية والحبيب

كريس بين يدي كيم وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة وقد تعلقت عيناها بالطفل الصغير الذي أصبح رمزاً لمستقبل مختلف بلا دموع ولا أحزان .

ويكون مشهد القواد الفيتنامي «المهندس» هو ذروة الرؤية الفنية لمخرج المسرحية الغنائية «فتاة سايجون» .. فقد حصل القواد على تأشيرة دخول لأمريكا ليبحث عن الحلم الذهبي في أرض الدولارات ...

وهنا ، تدخل إلى خشبة المسرح سيارة كاديلاك فاخرة مليئة بالفتيات الجميلات كرمز للحلم الأمريكي بينما يظهر المهندس في صورة «قواد عصري» يرتدي الملابس الفاخرة وينام على مقدمة السيارة يتمسح بها وهو يحلم بالثراء ويغني للحلم الأمريكي .

وينتهي مشهد القواد «المهندس» نهاية غير متوقعة عندما يحكي هذا القواد قصة حياته فنعرف أنه بدا مهنته القذرة وهو طفل صغير أثناء الاحتلال الفرنسي لفيتنام حيث كان يحضر الجنود الفرنسيين لأمه بهدف الحصول على المال اللازم لإطعام إخوته الصغار !

وتنهمر دموع القواد وهو يكشف عن مدى السعادة التي أحس بها عندما لقى الفرنسيون الهزيمة أمام الفيتناميين في معركة «ديان بيان فو» الشهيرة وأيضاً هزيمة الغزو الأمريكي لفيتنام .

ويدرك المتفرجون في نهاية المسرحية أن الجميع كانوا ضحايا لمجرم كبير هو العدوان والغزو ونزعة الهيمنة على الضعفاء .

ويسدل الستار على المشهد الأخير بينما تلتهب أكف المتفرجين في مسرح برودواي بالتصفيق الحار لهذا العمل الرائع الذي حقق المعادلة الصعبة بين الإبهار والفكر في المسرح . ولا شك أن مخرج المسرحية نيكولاس هانتر قد نجح باقتدار في الإفلات من السقوط في هاوية الميلودراما رغم أن أحداث المسرحية يغلب عليها الطابع الميلودرامى الذي يغري أي مخرج بالسعي وراء استدرار عطف وشفقة ودموع المتفرجين .

وكان هانتر حريصاً علي التمسك بالقيم والأفكار الأساسية للمسرحية ، وخاصة كشف العدوان وإدانة القهر لدرجة جعلته يسعى للفوز بتعاطف المتفرجين مع الجندي الأمريكي الذي شارك في غزو فيتنام باعتباره مجرد أداة وليس صاحب قرار . وهكذا ، كان التركيز علي شخصية الجندي الأمريكي كريس من خلال البعد الإنساني وقصة الحب الرومانسية التي ربطته بالفتاة كيم .. وامتد هذا التركيز ليشمل بائعات الهوى من الفتيات الفيتناميات اللاتي

مارسن مهنة الترفيه عن الجنود الأمريكيين باعتبارهن مجرد ضحايا .. وأيضاً ، طبق المخرج نيكولاس هانتر هذا المفهوم على شخصية القواد الذي اتضح في النهاية أنه كان مجرد ضحية للغزو الفرنسي لفيتنام والذي كان المسئول الأول عن احترافه لهذه المهنة الحقيرة وهو مجرد طفل..

ولا شك أن إضاءة الخبير ديفيد هيرس كانت من أهم عوامل نجاح مسرحية «فتاة سايجون» فقد كان هيرس واعياً بأبعاد القضية التي تطرحها المسرحية وفاهماً لفكر المخرج مما أدى إلى هذا التكامل الرائع بين الإخراج والفكرة وحركة الممثلين علي خشبة المسرح والإضاءة التي عمقت إحساس المتفرجين بالحدث .. أما فريق الممثلين فقد كان على قدر رهيب من العبقرية في الأداء والإحساس بالأدوار المختلفة .. واستطاع هذا الفريق من شباب الممثلين أن يحمل عبء هذا العمل رغم عدم وجود اسماء ضخمة .

فقد أبدع ليويونج وانج في أداء شخصية القواد «المهندس» وهو الدور الذي لعبه لأول مرة في برودواي عام ١٩٩٥ .

وقد ولد وانج في الصين وبدأ التمثيل وهو في الحادية عشرة من عمره في بكين ثم حصل على بكالوريوس الآداب وماجستير في الدراما من جامعة بوسطن الأمريكية واحترف التمثيل على المسارح الأمريكية ليصبح الآن من أهم ممثلي المسرح في الولايات المتحدة التي حصل على جنسيتها .

أما دور كيم (فتاة سايجون) فقد لعبته باقتدار أيضاً الممثلة الرائعة جوان الميذيلا وهي من أصل فلبيني .. وتتميز هذه الفنانة بصوت قوي يرشحها لأداء أصعب الأدوار في المسرحيات الغنائية بجانب تميزها الواضح كممثلة مسرحية واعية .

وقد أبدع الممثل الأمريكي مات بوجارد في أداء دور الجندي الأمريكي كريس ، ويعتبر مات بوجارد الآن من أشهر ممثلي المسرح الأمريكي وقد لعب بطولة العديد من المسرحيات وحقق نجاحاً جعل النقاد يرشحونه لاحتلال مكانة النجم المسرحي الأول في الولايات المتحدة خلال سنوات . ولا يمكن إغفال الأداء المتميز لفريق الممثلين بالكامل بما في ذلك الأدوار الثانوية حيث كان كل ممثل أو ممثلة بطلاً بصرف النظر عن حجم الدور .



٣

كلينتون ..

إله الجنس الجديد

في البيت الأبيض

لقد جاء كلينتون إلى المكتب

البيضاوي ومعه مفاهيم وأفكار

وقيم تختلف كثيراً عن تلك التي

كان يتبناها أسلافه ..

وقد ربط الكثيرون بين موجة الجنس التي اجتاحت الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة وبين تولي الرئيس الحالي بيل كلينتون منصب الرئيس الأمريكي وقالوا إن كلينتون جاء إلى البيت الأبيض ومعه مفاهيم وقيم وأفكار تختلف تماماً عن تلك التي كان يتبناها أسلافه الذين جلسوا في المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض ..

ويتزعم هذا الرأي جاري ألدريتشي الذي قدم للرأي العام الأمريكي والعالمي كتاباً كان بمثابة الصدمة كشف فيه الكثير من الفضائح التي شهدها البيت الأبيض خلال سنوات حكم بيل كلينتون .

عمل جاري الدريتش مؤلف هذا الكتاب لمدة ٣٠ عاماً في واد من أخطر الأجهزة الأمنية الأمريكية وهو مكتب التحقيقات الفيدرالي منها ٢٥ عاماً كعميل خاص . وقد تخصص الدريتش في مكافة جرائم الفساد السياسي والاحتيال ، كما شارك في أنشطة التصدي لتجار المخدرات وعتاة المجرمين وخلال السنوات الخمس الأخيرة من حياته المهنية ، كان أحد اثنين من عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي في البيت الأبيض مقر الرئاسة الأمريكية .

وكان مسئولا بالتحديد عن مراجعة وفحص تاريخ حياة العاملين بالبيت الأبيض للتأكد من جدارتهم للعمل في هذا المكان الحساس . وقد تقاعد الدريتش في العام ١٩٩٥ وتفرغ لإعداد هذا الكتاب الذي وصف بأنه «ديناميت سياسي» وشهادة من عميل لمكتب التحقيقات الفيدرالي تعد بحق هي أول كتاب يكشف للعالم حقيقة ما يجري في البيت الأبيض منذ دخله الرئيس الحالي بيل كلينتون وزوجته هيلاري في يناير عام ١٩٩٢ . وقد أكد الكثيرون من المراقبين أن المعلومات التي تضمنها هذا الكتاب مروعة لدرجة تستدعي تدخل الكونجرس للتحقيق فيها ولكن المؤلف أكد أن الكونجرس الأمريكي يعرف عن إدارة كلينتون أكثر مما جاء في هذا الكتاب ولكنه لم يتحرك بل اتخذ موقفاً لا يمكن وصفه إلا بأنه يتسم بالجبن .

والعنوان الذي اختاره الدريتش لكتابه يعني حرفياً «حرية التواجد في مكان ما دون أي قيود » أو «حرية الدخول» وقد فهم الكثيرون هذا العنوان على أن المقصود به هو المؤلف الذي أتاح له عمله كمندوب لمكتب التحقيقات الفيدرالي في البيت الأبيض حرية الدخول إلى هذا المكان دون قيود ..

ورغم أن هذا الفهم لا غبار عليه ويتفق مع المنطق والترجمة أيضاً إلا أن القراءة المتأنية لهذا الكتاب تشير إلى معنى آخر ربما يكون المؤلف قد قصده من وراء اختياره لعنوان «حرية الدخول بلا حدود » أو « قيود » هذا المعنى هو أن البيت الأبيض في عهد كلينتون أصبح «تكية من غير بواب» ومكاناً يستطيع كل من هب ودب أن يدخل إليه بما في ذلك السوقة والرعاع والفاسدون .

يؤكد جاري الدريتش في كتابه أنه لا يهتم كثيراً بالسياسة وأن كل اهتمامه خلال عمله في البيت الأبيض يتركز على الدفاع عن شرف الرئاسة الأمريكية والأمن القومي للولايات المتحدة.. وقد كان هذا هو السبب الذي جعله يصاب بالهلع بسبب ما رآه خلال الشهور الأولى من رئاسة بيل كلينتون . وقد تحول هذا الشعور بالهلع رويداً رويداً إلى إحساس بالخطر ثم إلى غضب جعله يفكر في ترك عمله والابتعاد عن البيت الأبيض الذي عمل فيه خمس سنوات منها ٣٠ شهراً مع الرئيس السابق جورج بوش .

□□□

وقد جاء كتاب الدريتش ليكون بمثابة الصاعقة التي كشفت إدارة رئاسية لديها الكثير الذي تخفيه رغم ما يؤدي إليه ذلك من تعريض أمريكا للخطر ، لذلك وجه الدريتش انتقادات مريرة لكلينتون وزوجته هيلاري سيدة أمريكا الأولى وقال إنهما تعمدا تدمير النظام الأمني الشامل الذي ظل سارياً طوال حكم ستة رؤساء أمريكيين لسبب بسيط هو أن يصبح بوسعهما إدخال أصدقائهما إلى البيت الأبيض وهم نوعية من البشر لم يكن أي رئيس أمريكي سابق ليسمح لهم بدخول هذا المكان بسبب الاعتبارات الأخلاقية الخطيرة أو المشكلات القانونية وبعضها يستحق أن تنظر فيه المحاكم ، ويتهم الدريتش صراحة سيدة أمريكا الأولى هيلاري كلينتون بأنها القوة المحركة لكل التجاوزات التي شهدها البيت الأبيض خلال حكم زوجها .
وقال أن هيلاري اغتصبت السيطرة على السياسة الداخلية الأمريكية وهي التي قامت باختيار

فريق العاملين مع زوجها في مقر الرئاسة الذي تحول إلى مكان لتجمع أصدقاء أسرة كلينتون من ولاية أركنصو والذين أطلق عليهم الدريتش وصف «مافيا أركنصو» وقد داس هؤلاء العاملون الجدد بالبيت الأبيض بالأقدام على كل التقاليد والأعراف وحتى القوانين الفيدرالية لدرجة حولت مقر الرئيس الأمريكي إلى ملف خاص بهم أو فناء يمارسون فيه كل شيء دون رقيب أو حسيب .

وقد أصيب قدامى العاملين الدائمين بالبيت الأبيض بالصدمة وهم يكتشفون هذه الممارسات التي يقوم بها موظفو كلينتون التي شملت تعاطي المخدرات والسرقة والشذوذ الجنسي العلني بل والأخطر من كل ذلك وهو إمكانية اطلاع العاملين بالبيت الأبيض الذين حضروا مع كلينتون على جميع الأسرار والوثائق السرية دون أي احتياطات أمنية . باختصار ، كما يقول المؤلف ، لم يكن هناك أي شيء مقدس لدى كلينتون وهيلاري ومساعديهما بما في ذلك شجرة عيد الميلاد في البيت الأبيض التي تحولت بفضل السيدة الأولى في أمريكا إلى فرصة للتهريج والسخرية والعري الفاضح .

أما الرئيس كلينتون فقد كان على عكس زوجته غير مهتم بما يحدث داخل البيت الأبيض بل ولديه رغبة دائمة في الخروج منه خاصة أثناء الليل وفي الساعات المتأخرة حيث كان يغيب لساعات دون أن يرافقه حرسه الخاص ، ويتوجه إلى أماكن يمارس فيها نزواته مع النساء .

□□□

وإلى جانب كل ذلك ، يكشف الدريتش في كتابه بالتفصيل العديد من فضائح كلينتون التي حصل عليها خلال عمله في البيت الأبيض وعن طريق شهود العيان والوثائق التي ألقت الضوء لأول مرة على حقيقة ما حدث في البيت الأبيض عندما أصبح كلينتون رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية .

ولنترك جاري الدريتش يحكي هذه القصة الغريبة من البداية :

عدت إلى عملي في البيت الأبيض يوم الاثنين ٢٥ يناير حيث لم أشارك في احتفالات تنصيب الرئيس الجديد بيل كلينتون يوم ٣٠ يناير واكتفيت بمشاهدة هذه الاحتفالات على شاشة التليفزيون . ثم حصلت على إجازة عدة أيام استعداداً للعمل الشاق الذي ينتظرني ..

وبينما كنت أقود سيارتي في طريقي إلى البيت الأبيض ، فكرت في التغييرات التي ستطرأ على مقر الرئاسة الأمريكية .

وجوه جديدة .. أصدقاء جدد .. إدارة جديدة بأسرها تولت السلطة في واشنطن وستكون لها بلا شك ملامحها الخاصة .

لقد ظل مكتب التحقيقات الفيدرالي والمخابرات ومستشارو الرئيس لمدة تزيد على الثلاثين عاماً يعملون معاً كفريق لمراجعة كل ما يتعلق بمئات العاملين الذين يحضرون إلى البيت الأبيض مع كل رئيس جديد وذلك في إطار نظام أمني أثبت فعاليته مع ستة رؤساء في حماية الأمن القومي والرئيس ودافعي الضرائب والبيت الأبيض نفسه .

وتتم عملية المراجعة هذه من خلال بحث كل ما يتعلق بشخصية أحد العاملين مع الرئيس بدءاً من الوزراء وحتى أصغر موظف أو عامل في البيت الأبيض ، وهناك ٤ عناصر أساسية يجري بحثها منها الشخصية التي يتعين أن تتسم بالاستقامة والأمانة والخلق القويم والسلوك النزيه .. والعنصر الثاني هو الأقارب والمعارف حيث يتعين على كل من يعمل في البيت الأبيض أن يرتبط بشخصيات لا غبار عليها وألا تكون له حياة مزدوجة تتناقض مع حياته العملية بمعنى أن يكون أقاربه ومعارفه من الذين يحترمون القانون والأخلاق ومعايير السلوك المحترم . أما العنصر الثالث ، فهو السمعة الطيبة بمعنى ألا تتردد عنه حتى شائعات سيئة ، وحتى لو كان مصدر هذه الشائعات بعض الأعداء يتعين البحث عن سبب هذا العداء . والعنصر الرابع هو الولاء .. ومن الناحية النظرية .. فإن هذا الولاء يجب أن يكون للوطن وللدستور ولكن بكل أسف ، تغير هذ الوضع الآن وأصبح بعض العاملين يفسرونه على أنه ولاء للرئيس . كما يتم بحث مدى خطورة من يعمل في البيت الأبيض على أمن الرئيس ومدي ملاءمته لهذا الموقع الحساس من خلال بحث تاريخ حياته بكل دقة منذ طفولته وحتى لحظة ترشيحه للعمل في البيت الأبيض .

ومع وصول أي إدارة جديدة إلى السلطة ، كان عملي هو بحث كل ما يتعلق بالشخصيات الجديدة وإعداد تقرير لمستشار الرئيس الأمريكي من خلال وحدة التحقيقات الخاصة التي أنتمي إليها . وقد جرت العادة على أن يطلع الرئيس بنفسه على مثل هذه التقارير ..

كانت هناك مدة سبعين يوماً بين إعلان نتيجة انتخابات الرئاسة وتنصيب كلينتون رئيساً

فعلياً .. وهذه المدة كانت كافية لمراجعة كل ما يتعلق بشخصيات لم تهتم بتلبية طلبات الحضور التي وجهت إليها لانشغال معظمهم بأعياد الكريسماس وقضاء الإجازات بعيداً عن العاصمة .

وهكذا ، فوجئنا بأن علينا بحث هذه الحالات وإعداد كل التقارير الخاصة بها خلال ٤ أيام فقط .. وأدى ذلك إلى حدوث حالة من الفوضى في الإدارة الجديدة بعد أن عجز المسئولون فيها عن الالتزام بالقواعد الإجرائية الضرورية التي تتيح لهذه الإدارة القدرة على أداء مهامها بفعالية .. وربما كان ذلك يرجع إلى لا مبالاة هؤلاء المسئولين بالمسائل الأمنية أو عدم رغبتهم في كشف أشياء من الماضي الذي يحرصون على إخفائه .

لقد عشت خلال فترة الستينيات مثل الكثيرين من مساعدي كلينتون وأعرف أن هناك نسبة كبيرة من الأمريكيين ما زالت تعتقد أن إجبارها على ارتداء ربطة عنق يمثل نوعاً من القهر وأن التزامها بمواعيد العمل أو استخدام لغة مهذبة في الحديث أو حتى مجرد احترام القانون يعد اعتداء على حريتها ، وبحكم خبرتي الطويلة كعميل لمكتب التحقيقات الفيدرالي.. أدركت منذ الوهلة الأولى أن مثل هؤلاء الأشخاص المعارضين للقوانين والأعراف يكونون أيضاً من المناهضين للأخلاق والقيم والمثل وبكل أسف كانت هذه هي نوعية الأشخاص الذين أتى بهم كلينتون إلى البيت الأبيض .

ولقد تزامن تنصيب كلينتون للرئاسة مع قراره بسحب ترشيحه لزوبيرد لمنصب المدعي العام الأمريكي بعد أن ثبت أنها استخدمت مربية أجنبية تقيم بشكل غير مشروع في أمريكا وأنها تهربت من الضرائب .

ولم تكن هذه بداية طيبة بالنسبة لفريق معاوني كلينتون ولكن كانت هناك أيضاً إشارات أشد سوءاً وتوحي بأن هذا الفريق غير ملائم على الإطلاق .

فقبل حفل تنصيب كلينتون في يناير ١٩٩٣ ، توجه اثنان من مسئولي إدارة بوش وهما «توني بنداي» و «ميل لوكينز» إلى مبنى الكابيتول للقاء ممثلي إدارة الرئيس الجديد لتنسيق عملية نقل السلطة وبهذه المناسبة ارتدى توني وميل أفضل الملابس الرسمية وانتظرا لفترة في مكان الاجتماع دون أن يحضر أحد من ممثلي إدارة كلينتون ولم يكن هناك سوى ثلاثة أشخاص يرتدون ملابس رثة من الجينز الممزق ويتحدثون بطريقة سوقية . واعتقد توني وميل

أن هؤلاء الرجال من عمال البناء أو الصيانة الذين يقومون بإصلاح أي شيء في المبنى وتوجه توني إليهم ليسألهم إن كانوا يعرفون أين يوجد ممثلو الرئيس كلينتون وكانت المفاجأة عندما أكدوا أنهم أفراد المجموعة التي تمثل الإدارة الجديدة في عملية استلام السلطة !

وفي مناسبة أخرى لفت نظر أفراد الخدمة السرية أن أحد أفراد الفريق الانتقالي للرئيس كلينتون يضع على صدره دبوساً أحمر اللون عليه صورة الزعيم السوفييتي لينين .

والأكثر من ذلك أن كلينتون وأسرته تأخروا عن حفل تنصيبه رئيساً للولايات المتحدة مما أثار الأقاويل والشائعات خلال الحفل .

وقد علمت بعد ذلك أن سبب التأخير كان اكتشاف آل جور نائب الرئيس أن مكتب الجناح الغربي الذي يخصص عادة لنائب الرئيس قد خصص بدلاً من ذلك للسيدة الأولى هيلاري كلينتون وقد أكد الصحفيون في بلير هاوس أن كلينتون وزوجته كانا يتبادلان الصراخ صباح يوم التنصيب .

فقد أكد كلينتون لهيلاري أنها ما لم تتراجع عن خطتها للاستيلاء علي مكتب نائب الرئيس فإن آل جور سيعلن هذا الموقف وربما يقدم استقالته . وقد صرخت هيلاري في وجه زوجها الرئيس بأن كل ما يقوله آل جور هو مجرد تهويش لا طائل من ورائه .

وقد وصل كلينتون وزوجته هيلاري إلى البيت الأبيض متأخرين نصف ساعة للانضمام إلى بوش وزوجته بربارة وقد فعل كلينتون وزوجته سابقة لم يفعلها أي رئيس أمريكي من قبل عندما اصطحبا مجموعة من أصدقائهما للجلسة التقليدية لتناول الشاي مع الرئيس الذي سيغادر البيت الأبيض وزوجته في القاعة الزرقاء قبل أن يتحرك الركب إلى مبنى الكابيتول (الكونجرس) حيث يؤدي الرئيس الجديد اليمين الدستورية .

وبعد أداء اليمين توجه كلينتون وهيلاري إلى إحدى غرف الكونجرس وانتظر الجميع حضورهما حتى تبدأ مراسم التنصيب وصدرت الأوامر لأحد الضباط بإبلاغ الرئيس الجديد وزوجته بأن الجميع في انتظارهما وتوجه الضابط إلى الغرفة وخبط على الباب بأطراف أصابعه ثم فتح الباب ولكنه عاد وأغلقه بسرعة وانطلق بعيداً كان السبب في تصرف الضابط هو أنه شاهد هيلاري تصرخ في زوجها في غضب شديد .. وكان من الواضح أن مشكلة مكتب

السيدة الأولى لم تحسم بعد .

وعلى الفور ، تم عقد اجتماع لشرطة الكونجرس والمخابرات لبحث إمكانية التدخل في حالة تعرض حياة الرئيس للخطر من جانب السيدة الأولى . وكان السؤال الذي واجه سلطات الأمن .. ما هو مدى الاعتداء الذي يجب التدخل عنده ، أو ما هو حد الاعتداء على الرئيس المسموح به للسيدة الأولى ؟

عندما وصلت إلى البيت الأبيض يوم ٢٥ يناير ١٩٩٢ لاستئناف عملي وضعت سيارتي في البارك المخصص للعاملين وتوجهت إلى الباب بعد أن وضعت على صدري بطاقة تحقيق الشخصية الخاصة بمكتب التحقيقات الفيدرالي وتوجهت كعادتي إلى المطعم لتناول فنجان من القهوة قبل أن أخذ طريقي إلى الجزء الشمالي الغربي من المبنى دون أن الحظ أي تغير عما كان عليه الوضع خلال عملي مع الرئيس جورج بوش ، وبعد أن دخلت المطعم أصبت بصدمة شديدة فهذا المكان الذي كان نموذجاً للنظام والنظافة في عهد بوش أصبح أقرب لمقلب زبالة فالمناديل الورقية والعلب الفارغة في كل مكان ولاحظت أن بعضهم سكب القهوة على الأرض وبدلاً من مسحها كان الموجودون يمرون فوقها ببساطة تاركين خلفهم آثار أقدام من الوحل ونظرت حولي فرأيت شخصاً يرتدي بدلة رخيصة وحذاء قبيحاً .. أما المرأة التي كانت بجواري فكانت مثل عاملة في بار ترتدي بلوزة وجونلة قصيرة ولا تلبس أي نوع من الجوارب .

لم أصدق أني في مكان داخل البيت الأبيض مقر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وأخذت أجول ببصري في المكان فشاهدت فتاة ترتدي بلوزة ريفية وشاباً يرتدي الجينز .. وسألت نفسي .. هل هذه هي الملابس الرسمية التي يرتدونها خلال العمل في «اركنصو» التي جاء منها الرئيس كلينتون ؟

توجهت بعد ذلك إلى المصعد على أمل أن تكون الفوضى التى رأيتها في المطعم مجرد شيء شاذ لن يتكرر في مكان آخر . ولكن بمجرد وصولي إلى المصعد أدركت أن هذا الأمل مجرد سراب .. فقد كانت هناك مجموعة من العاملين الجدد الذين أحضرهم كلينتون تقف في الانتظار .. وكانوا جميعاً يرتدون ثياباً غير لائقة مثل الذين شاهدتهم في المطعم ، ولاحظت أنهم يحدقون في باعتباري غريباً عنهم .. وعندما وصل المصعد ، اندفع إليه هؤلاء الأشخاص كالحيوانات وقت تناول العليقة أو العلف دون إعطاء أي فرصة للاخرين .. لم يحترم الرجال

النساء أو يسمحوا لهن بالدخول أولاً ، وتدافع الجمع بالأيدي والأكتاف ، وانتظرت في الخلف حتى هدأ الغبار ثم دخلت إلى المصعد .

وفي الطريق لأعلى ، كان اثنان من فريق كلينتون يتبادلان الثرثرة في الأمور الخاصة بطريقة فجة ويتحدثان علانية بكل صراحة عن رؤسائهما بشكل سيئ .. وعطس الشخص الواقف خلفي بشدة مطلقاً تياراً من الرذاذ جعلني أحرص على فحص معطفي بعد مغادرة المصعد .

وفي الطابق الخامس نزلت .. وتوجهت إلى الغرفة ٥٣٢ حيث مقر وحدة الاتصال التابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي .. كنت أول من وصل من العاملين في هذا المكان الذي ارتحت إليه كثيراً طوال العامين ونصف الماضيين .. فمن الذي لا يحب العمل في البيت الأبيض ؟ صحيح أن هذا العمل لا يتضمن الإثارة الموجودة في مطاردة المافيا واللصوص ، وتجار المخدرات ، ولكنه بكل تأكيد كان به ما يكفي من الإثارة .

كنت وزميلي في المكتب دنيس قد أثثنا المكتب جيداً بمكاتب من خشب البلوط ومقاعد من الجلد ومنضدة للقهوة . باختصار ، كان المكان ظريفاً رغم أنه لا يرقى لمستوى المكتب في الجناح الغربي .

وبعد فترة قصيرة توجهت إلي مكتب ديفيد واتكنز رئيس مكتب الإدارة والميزانية في البيت الأبيض بالجناح الغربي لإقامة اتصال بين وحدة مكتب التحقيقات الفيدرالي وبينه ولإجراء مقابلة معه . وفي الطريق رأيت المزيد من أفراد إدارة كلينتون الجديدة وهم يرتدون الجينز والتيشيرت ويضع الرجال منهم القرط في أذانهم ويطيلون شعورهم بطريقة ذيل الحصان ولم يكن ذلك النوع من البشر مألوفاً من قبل على الإطلاق في البيت الأبيض ولا أنسى منظر إحدى العاملات حيث كانت ترتدي طاقماً أسود .. بنطلوناً أسود وقميصاً أسود وحتى أحمر الشفاه كان أسود أما حذاؤها فكان أسود أيضاً ولكنه حذاء رجالي !!

وعندما مررت على ساحة انتظار السيارات سعدت لأني وجدت شيئاً واحداً لم يتغير .. فخلال الحملة الانتخابية اعتاد كلينتون ومساعدوه على توجيه انتقادات مريرة لما أسموه بأساطيل سيارات الليموزين التابعة للبيت الأبيض . والواقع أن سيارات البيت الأبيض في عهدي ريجان وبوش لم تكن ليموزين بل كانت مجرد سيارات أمريكية سوداء اللون ..

والغريب أن كل ما فعله كلينتون بعد توليه الرئاسة كان هو تغيير هذه السيارات السوداء وشراء سيارات ليموزين حديثة بدلاً منها .. المهم ، وصلت إلى مكتب واتكنز رئيس الإدارة والميزانية بالبيت الأبيض ، وكان استقباله لي ودياً ولكن عندما بدأت في طرح الأسئلة عليه لاحظت أنه يحاول المراوغة ، وعندما ألححت في أسئلتي بدأ يفقد هدوءه وتظهر عليه العصبية فقررت الانصراف على أن أحضر إليه في وقت آخر لأنه كان يتعامل معي وكأنه مذنب لديه ما يخفيه ، لذلك فضلت أن أطلب من زميلي دنيس في وحدة مكتب التحقيقات بالبيت الأبيض أن يتولى لقاءه بدلاً مني .

كان زميلي دنيس خبيراً بالبيت الأبيض وقضى معظم سنوات عمله في واشنطن حيث أقام علاقات وطيدة مع كبار المسئولين نظراً لطول مدة خدمته (حوالي ١٥ عاما) مع ثلاثة من الرؤساء هم كارتر وريجان وبوش .

وعندما حضر دنيس إلى المكتب كان في حالة شديدة من الغضب بسبب عدم تعاون العاملين في إدارة كلينتون الجديدة معه ورفضهم لقاءه بحجة أنهم مشغولون رغم أن هذه اللقاءات ضرورية لأنهم لا يمكن أن يحصلوا على تصاريح دائمة لدخول البيت الأبيض بدونها .

رغم أن البيت الأبيض يمثل قيمة تاريخية وحضارية ويعبر عن الثقافة الأمريكية كمبنى وكموقع إلا أن مهمتي كعميل لمكتب التحقيقات الفيدرالي كانت هي التأكد من أهم حقيقة في البيت الأبيض وهي نوعية البشر الذين يعملون فيه بحيث يكونوا من أرقى وأعلى مستوى ممكن . إن كل إدارة لها موظفوها الذين يعملون في البيت الأبيض وهم يمثلون عدداً قليلاً بالمقارنة مع العاملين الدائمين الذين يحضرون مع كل رئيس جديد ويستمرون معه حتى تنتهي فترة رئاسته وهؤلاء يشملون صغار المعاونين الذين يحصل الواحد فيهم على ٢٥ ألف دولار سنوياً وحتى مساعدي الرئيس الذين يصل راتبهم إلى ١٠٠ ألف دولار سنوياً .

والعمل في البيت الأبيض شاق شديد القسوة ، ولكنه بالتأكيد يمثل ذروة طموح أي شخص يعمل في الحكومة الفيدرالية ، ورغم ذلك ، فمع تولي كلينتون الرئاسة ، حضر إلى البيت الأبيض مئات الأشخاص الذين لا يعرف أحد عنهم شيئاً لكي يعملوا في مواقع شديدة الحساسية ويسمح لهم بالاطلاع على أخطر الوثائق لا لشيء سوى أنهم تلقوا وعوداً خلال الحملة الانتخابية لكلينتون بالعمل معه في البيت الأبيض .

ووصلت الأمور إلي حد نفاذ التصاريح الموجودة لدى أجهزة الأمن لدخول البيت الأبيض وتم تسليم بعض العاملين الجدد بطاقات يعلقونها في رقابهم كحل مؤقت لحين توافر التصاريح الدائمة لهم .

والغريب أن هؤلاء الأشخاص الذين أحضرهم كلينتون معه من « أركنصو » كانوا يتصرفون وكأنهم « أصحاب البيت » منذ اللحظة الأولى .. فقد كان غضبهم ينفجر إذا حاول أي مسئول أمني تفتيشهم عند أبواب الدخول وكان ردهم على ذلك عادة هو الصراخ والسباب بأقذع الألفاظ والشتائم .

أما بالنسبة للعاملين مع الرئيسين رونالد ريجان وجورج بوش ، فقد كان يتم انتقاؤهم بعناية شديدة حتى قبل أن تبدأ جهات الأمن في فحص ملفاتهم .. وكان أقل خطأ يرتكبه الواحد منهم يواجه بحسم ودون أي تهاون .

□□□

وليس أدل على الإهمال والتخبط في اختيار العاملين في إدارة كلينتون الجديدة من حكاية كيميا وود ... ففي يوم ٤ فبراير ، أعلن الرئيس كلينتون اختياره لكيميا وود وهي قاض فيدرالي من نيويورك لشغل منصب المدعي العام الأمريكي (وزير العدل) .. وفي اليوم التالي سحب كلينتون ترشيحه لها بحجة أنها استخدمت مربية من المهاجرين غير الشرعيين وهي نفس التهمة التي وجهت للمرشحة التالية لنفس المنصب زوبيرد . وقد اتضح بعد ذلك أن مشكلة كيميا وود كانت أعمق من ذلك حيث تردد أنها تورطت في أعمال هي أبعد ما تكون عن طبيعة المدعي العام .. فقد ذكر رجل المال في نيويورك فرانك ريتشارد سون في مذكراته أنه كان عشيقاً لكيميا وود .. والأكثر من ذلك أن المرشحة لمنصب المدعي العام قد ظهرت في صورة وهي عارية في مجلة الفضائح المعروفة باسم بلاي بوي !!

ولقد قمت بنفسي بإجراء ١٢ تحقيقاً حول كبار العاملين في البيت الأبيض وحوالي ٦٠ مقابلة خلصت منها جميعاً إلى حقيقة أن كلينتون وإدارته الانتقالية لم يظهروا أدنى اهتمام بعملية اختيار العاملين في البيت الأبيض الذين رفضوا بدورهم إبداء أي تعاون مع جهات الأمن التي تراجع تاريخهم وسجل حياتهم ..

ويعد ديفيد واتكنز رئيس مكتب الإدارة والميزانية في البيت الأبيض نموذجاً للكيفية التي اختار بها كلينتون وزوجته هيلاري كبار المسئولين العاملين في البيت الأبيض فقد كان واتكنز صديقاً حميماً لآل كلينتون وكان مسئولاً عن حملة كلينتون الانتخابية .. وقد اتهم في قضية تحرش جنسي عام ١٩٩٢ وهو نفس التوقيت الذي تفجرت فيه قضية بيل كلينتون مع الفتاة جنيفر فلاورز وقد تردد أن الفتاة التي تعرضت للتحرش الجنسي من جانب واتكنز ، وكانت تعمل موظفة محاسبة بمنطقة لتيل روك في أركنصو ، قد حصلت على ٣٧ ألف دولار بشكل غير مشروع من أموال الحملة الانتخابية لكلينتون كثمن لسكوتها وإغلاق فمها !!

وقد أسهم واتكنز بعد ذلك في الإساءة بشدة لسمعة الرئيس كلينتون بسبب مواقفه وقراراته الفردية بما في ذلك القرار الذي أصدرته هيلاري كلينتون بإقالة العاملين في مكتب السفريات التابع للبيت الأبيض .

وقد فصل واتكنز نفسه بعد ذلك ، عندما استخدم الطائرة الهليكوبتر الخاصة بالرئيس في تنقلاته وقد توقعت مع زميلي دنيس منذ اللحظة الأولى حدوث كوارث من هذا القبيل بسبب نوعية الأشخاص الذين اختارهم بيل كلينتون وزوجته هيلاري للعمل في البيت الأبيض ولكننا بكل أسف لم يكن بوسعنا عمل شيء لمنع هذه الكوارث والفضائح .

□□□

ومثال آخر على النوعية الرديئة لهذا الاختيار هو أحد أقرب المستشارين أو المساعدين السياسيين للرئيس كلينتون والذي كان نموذجاً لهذه النوعية التي شملت الرجال والنساء والشباب وكبار السن . فقد لاحظت خلال الشهور الأولى أن ملابس هذا الشخص وسلوكه وتصرفاته لا يمكن أن توصف إلا بأنها غير مقبولة ، فقد كان يتسم بالغطرسة والاستفزاز .. وقد كان هذا الشخص ، مثله في ذلك بقية العاملين في إدارة كلينتون بما في ذلك الرئيس نفسه وبكل أسف السيدة الأولى ، لا يستطيع أن يعبر عن أفكاره أو توضيح ما يقصده دون استخدام لغة منحطة وألفاظ بذيئة وانفعال يصل إلى حد الغضب .

وقد كان هذا المسئول عنيفاً يستخدم لغة سوقية مع الآخرين رغم أن مكتبه في الجناح الغربي ولا يبعد كثيراً عن المكتب البيضاوي الخاص بالرئيس الأمريكي .

وقد تحدثت مع مسئول آخر بالبيت الأبيض عن هذا الشخص فكان رده أن استخدام الكلمات السوقية أو البذيئة ليس بدعة جديدة في البيت الأبيض ، فكثير من الرؤساء الأمريكيين أنفسهم اعتادوا استخدام هذه الألفاظ مثل كنيدي وجونسون ونيكسون وريجان وبوش !

وكان ردي عليه هو أني عملت مع الرئيس السابق جورج بوش لأكثر من عامين وأشهد أنه لم يستخدم أي لفظ بذيء أمامي ولم يزعم أي مخلوق أنه سمعه يستخدم لغة سوقية . وأعتقد أن نفس الشيء ينطبق على الرئيس كارتر .

والأكثر من ذلك ، أن هذا المسئول القريب من الرئيس كلينتون كان يحمل صفة غريبة لاحظتها على معظم أعضاء الفريق الذي حضر مع كلينتون إلى البيت الأبيض وهي أنهم ينتمون إلى جنس واحد بمعني أنه من الصعب التفرقة بين الذكر والأنثى بينهم فمواصفات الجسم عند الرجال تقترب من جسم الأنثى وملابس المرأة تميل إلى نوعية الملابس التي يرتديها الرجال .

وقبل وصول كلينتون إلى البيت الأبيض ، كان الرجال الذين يعملون مع الرئيس الأمريكي يهتمون بأجسامهم الرياضية والنساء حريصات على أنوثتهن . أما فريق كلينتون فقد كان أصدق وصف له هو ذلك الذي أطلقه الممثل أرنولد شوارزينجر خلال الحملة الانتخابية حيث كان يساند الرئيس بوش عندما قال إن كلينتون يحيط نفسه بمجموعة من الفتيات الرجال أو الرجال الإناث !!

ذات صباح توجهت لزيارة صديقي فرانك بوس الذي كان يعمل في خفر السواحل ثم تلقى تدريباً على حرفة النجارة وعمل بعد ذلك كمسئول عن ورشة البراويز الخاصة بصور ووثائق البيت الأبيض .

وشاهدت لدى فرانك عدداً كبيراً من صور الرئيس الجديد بيل كلينتون المطلوب عمل إطارات لها لتعليقها في مختلف أنحاء البيت الأبيض . وطلبت منه أن يخصص واحدة لفرع مكتب التحقيقات الفيدرالي في البيت الأبيض .

كان فرانك من مؤيدي الحزب الديمقراطي ... ورغم ذلك كان من أشد المعجبين بالرئيسين

الجمهوريين رونالد ريجان وجورج بوش .. ولقد أخذت أتفحص الصور الموجودة لديه ودهشت لعدم وجود أي صورة لنائب الرئيس الجديد آل جور .. وسألته عن السبب في ذلك فأشار إلى مجموعة ضخمة أخرى من الصور ، وعندما تفحصتها وجدت أنها خاصة بالسيدة الأولى هيلاري كلينتون وسألت فرانك صراحة ... ألا توجد لديك أي صورة لنائب الرئيس ؟ وكان رده ولا صورة واحدة !! فقط صور لكينتون وهيلاري سيتم عمل إطار لكل منها ثم تعلق صورة للرئيس وأخرى لزوجته في قاعات ومكاتب وغرف البيت الأبيض .

وخلال الأسابيع القليلة التي تلت تنصيب كلينتون رئيساً تسلم كل مكان في البيت الأبيض صورتين عملاقتين .. واحدة للرئيس والأخرى للسيدة الأولى .. أما في المكاتب التابعة للسيدة الأولى فلم تكن هناك سوى صورتها وحدها ولا توجد أي صورة للرئيس أما صور آل جور فكان الموقع الوحيد الذي علقت فيه هو مكتب نائب الرئيس الأمريكي .

ولا شك أن هذا الوضع كان يتناقض بشدة مع العرف السائد في البيت الأبيض من أيام الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون وهو تعليق صورة الرئيس وصورة نائبه جنباً إلى جنب في البيت الأبيض ، بل وحتى في السفارات الأمريكية بالخارج . أما بالنسبة للسيدة الأولى ، فكانت صورها تعلق في الجناح الشرقي المخصص لها كما كانت تفعل بربارة بوش باعتبار أن هذا الجناح هو المملكة الخاصة بزوجة الرئيس .

لذلك كان عدم وجود صور لنائب الرئيس ال جور يعني شيئاً واحداً هو أنه مجرد وجه جميل في البيت الأبيض .

لقد جلس آل جور في المكتب الخاص بنائب الرئيس وكانت هناك ثلاثة مكاتب أخرى مخصصة له منها واحد في مبنى الكابيتول حيث يوجد الكونجرس وحيث يشغل نائب الرئيس منصب رئيس مجلس الشيوخ .

وكان نائب الرئيس في الحكومات السابقة قد اعتاد السماح لمندوبي مكتب التحقيقات الفيدرالي بالتواجد في أحد المكاتب التابعة له ولكن بعد وصول كلينتون رفض نائبه آل جور استمرار هذا الوضع . وكان سبب ذلك هو أن العاملين مع الإدارة الجديدة رفضوا العمل في مكان يجمع بينهم وبين رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي ، ورغم دهشتي لهذا الموقف إلا أنني استرحت عندما عرفت السبب بعد ذلك .

فقد وجه آل جور وزوجته نيبر الدعوة للعاملين في مكتب نائب الرئيس لحضور حفل موسيقي امتناناً لجهودهم الشاقة في العمل على أن تقوم بإحياء الحفل فرقة موسيقية اسمها «الموتي الشاكرين أو الممتنين» وهي فرقة قال المتحدث باسم جور أن نائب الرئيس وزوجته من أشد المعجبين بها .

وباعتباري عميلاً لمكتب التحقيقات الفيدرالي كنت أعرف الكثير عن هذه الفرقة الموسيقية التي تقيم حفلاتها في الهواء الطلق في المناطق المشهورة بتجارة المخدرات .. كما أن أعضاء وعشاق هذه الفرقة بالتحديد يعدون جزءاً أساسياً من عالم المخدرات في الولايات المتحدة الأمريكية .

ولقد أصبت بالإحباط عندما اكتشفت أن فريق العاملين مع آل جور لا يختلف كثيراً عن نوعية فريق العاملين مع كلينتون ، فقد كان أفراد الفريقين ينتمون لما يسمى بالثقافة المضادة وهناك عيوب خطيرة في شخصية كل منهم بما في ذلك الموقف المتساهل إزاء المخدرات غير المشروعة . كذلك كان هناك الكثيرون في فريق مساعدي آل جور الذين يتخذون مواقف سياسية راديكالية ... وخير مثال على ذلك روبرت ليهرمان المسئول عن كتابة الخطب والكلمات التي يلقيها نائب الرئيس .

فقد كنت أتحدث مع ليهرمان ذات يوم ولاحظت وجود كتاب عن الجريمة على مكتبه وكان غلاف الكتاب يحمل اسم ليهرمان كأحد المؤلفين . وكان ليهرمان يعمل في نفس الوظيفة لدى السناتور لويد برنستين قبل انضمامه لفريق مساعدي آل جور ، وقد فصل من عمله مع السناتور برنستين بعد أن قام بتأليف رواية فاضحة عن العلاقات الجنسية بين المراهقين والمراهقات .

وعندما سألت ليهرمان عن هذه الرواية اعترف لي بأن هدفه منها كان هو تعليم المراهقين والمراهقات الجنس ، والغريب أن ليهرمان كان فخوراً للغاية بهذه الرواية التي فجرت موجة من الغضب في الدائرة الانتخابية للسناتور برنستين في تكساس ولم يكن هناك أي حل آخر سوى إقالته من العمل مع السناتور .

وقد أهداني ليهرمان كتابه عن الجريمة وعندما قرأته ، أصبت بصدمة لأن الكتاب يستعرض مختلف نظريات الجريمة والعقاب ثم يصل في النهاية إلى خلاصة غريبة هي ضرورة إطلاق

سراح جميع المذنبين المجرمين من السجون ، كوسيلة لخفض معدلات الجريمة !! وبعد قراءة هذا الكتاب أدركت أن الزمن يتغير بالفعل ، خاصة في البيت الأبيض .

كان مدير الأمن الجديد في البيت الأبيض والذي حضر مع إدارة كلينتون هو كريج ليفينجستون ، وهو رجل ليست لديه أي خبرة في المسائل الأمنية وكل مؤهلاته أنه صديق لأسرة كلينتون في حوالي الثلاثين من العمر وضخم الجسم .

في ذلك الحين كان المسئولون الفيدراليون يحاولون العثور على معدات وأجهزة تزيد قيمتها على ١٥٠ ألف دولار فقدت أو سرقت خلال احتفالات تنصيب كلينتون وكانت في عهدة كريج ليفينجستون .. وقد علمت أن سبب تولي كريج لهذا المنصب الحساس يرجع إلى أن هيلاري كلينتون تريده كما قال لي أحد المسئولين الكبار في البيت الأبيض .

ولقد طلب مني كريج ليفينجستون إعطاء محاضرة لمجموعة من العاملين الجدد في البيت الأبيض حول مسئوليات ومواصفات أي شخص يعمل في هذا المكان خاصة فيما يتعلق بطهارة اليد . وأبلغني كريج صراحة بأن هناك بعض المشكلات التي تتعلق بهؤلاء العاملين الجدد وهي كلها ذات طابع سري ولا يعلم بتفاصيلها سوى أربعة أشخاص هم مدير أمن البيت الأبيض والرئيس الأمريكي والسيدة الأولى وماك ماكلاري ووافقت على الفور على إعطاء هذه المحاضرة وعندما وصلت المجموعة الأولى من العاملين الجدد كان من الواضح أن لديهم مشكلات تتعلق بالتكيف مع العمل في البيت الأبيض .. فعلى سبيل المثال لم يكن لديهم أدنى التزام بنوعية الملابس التي تلائم العمل في هذا المكان .. وقد ظهرت أول مشكلة من هذا النوع بسبب إحدى الموظفات التي كانت ترتدي بلوزة مفتوحة بشكل فاضح وتكشف صدرها بالكامل لدرجة أنها أصبحت أسطورة في البيت الأبيض .. وتقدمت بعض زميلاتها بشكوى ضدها .

□□□

أما المشكلة أو الفضيحة الثانية ، فقد اكتشفتها السيدة الأولى هيلاري كلينتون بنفسها ، فبينما كانت هيلاري تستقل سيارتها من الجراج الغربي في البيت الأبيض شاهدت إحدى الموظفات في وضع فظيع فقد كانت هذه الموظفة تنحني لالتقاط شيء ما من على الأرض وهي ترتدي جيب قصيرة للغاية ميني ميني جيب ، وأصيبت هيلاري كلينتون بالدهشة الشديدة

عندما لاحظت أن هذه الفتاة لا ترتدي ملابس داخلية على الإطلاق والغريب أن هذه الفتاة ابتسمت ببراءة للسيدة الأمريكية الأولى عندما لاحظت أنها تنظر إليها بدهشة !

وقد أكد كريج ليفينجستون مدير أمن البيت الأبيض أن هيلاري كلينتون أصدرت أوامرها إليه بعد هذه الواقعة مباشرة بضرورة أن يتأكد بنفسه مستقبلاً من أن جميع العاملين والعاملات في البيت الأبيض يرتدون ملابس داخلية .

وقال كريج إنه كان في حيرة من أمره لعجزه عن معرفة كيفية تنفيذ هذا الأمر التأكد من ارتداء الجميع لملابسهم الداخلية . وقد طلب مني مدير أمن البيت الأبيض النصيحة في هذه المسألة باعتباري من عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي ولكن لم أستطع التوقف عن الضحك !!

وإلى جانب ذلك ، كانت هناك مشكلات أخرى جادة وخطيرة بالنسبة للعاملين الجدد في البيت الأبيض ، فقد اشتكت هيلاري كلينتون من أن العاملين الجدد في البيت الأبيض يتبعونها أينما ذهبت ويحدقون فيها ولذلك أصدرت أوامرها بمنع هؤلاء العاملين من السير خلفها والتطلع إليها أو محاولة الحديث معها خلال تحركاتها وجولاتها في البيت الأبيض .

لذلك ، كان ما يريده مدير أمن البيت الأبيض مني خلال المحاضرة هو أن أبلغ العاملين الجدد بضرورة الحفاظ على مظهرهم وارتداء الملابس الداخلية وعدم التحديق في السيدة الأولى عند مقابلتها بالصدفة في طرقات البيت الأبيض .

وقد أبلغت كريج بأن مسئوليتي كعميل لمكتب التحقيقات الفيدرالي لا تشمل مثل هذه المهمة فطلب مني الحديث إلى هؤلاء العاملين الجدد عن مستوى الانضباط المطلوب والصفات التي يتطلبها القانون والعرف بالنسبة للعاملين في البيت الأبيض .

وخلال المحاضرة الأولى لاحظت أن كريج يركز في كلمته الافتتاحية التي استغرقت حوالي نصف الساعة على أهمية أن يحصل العاملون في البيت الأبيض على حقهم من «المرح والانبساط» وكان ذلك مؤشراً علي افتقاد روح الجدية وهي المشكلة التي كان من المفروض أن أتحدث عنها .. وقد استغربت بشدة لذلك .. فهؤلاء الأشخاص لا يقضون فترة إجازة في البيت الأبيض بل هم موجودون في هذا المكان من أجل العمل والعرق .

وأصيبت بصدمة ، عندما اختتم مدير أمن البيت الأبيض كلمته بقوله : إنني أعرف ما تفعلونه أيها الشباب ، ولكن حذار من أن يضبطكم أحد .

كان من الواضح أن كريج يتحدث عن تعاطي المخدرات وغير ذلك من التجاوزات التي يرتكبها العاملون الجدد في البيت الأبيض لذلك حاولت خلال كلمتي أن أوجه تحذيراً لهؤلاء الشباب وقلت لهم إن ما تفعلونه سيظل عالقاً بكم إلى الأبد .

وقد ألقيت العديد من المحاضرات على العاملين في البيت الأبيض . وخلال المحاضرات الأخيرة ، لاحظت أن كريج أصبح أكثر تشدداً وكان يقول لهم «ابتعدوا عن أي مصدر للمشاكل» والأكثر من ذلك أن مدير أمن البيت الأبيض ظهر عليه التقدم في السن خلال فترة وجيزة وتوقعت أن يصبح قريباً واحداً منا نحن الملتزمين بالأعراف والتقاليد الذين عملوا مع بوش وغيره من رؤساء أمريكا السابقين .. وقد تأكدت في وقت لاحق أن مدير أمن البيت الأبيض في عهد كلينتون يعاني في عمله أكثر من أي مدير أمن آخر سبق له العمل في البيت الأبيض .

وإذا عقدنا مقارنة بين العاملين في البيت الأبيض خلال عهدي بوش وكلينتون سنجد أن كل فريق منهما جاء من فئة مختلفة تماماً عن الأخرى ، فقد كانت معظم مشكلات فريق العمل مع بوش تتعلق بتجاوزات معينة مثل استخدام أدوات معدات البيت الأبيض في أغراض شخصية أو عمل مكالمات تليفونية دولية دون وجه حق . أما بالنسبة لفريق العمل مع كلينتون فالوضع مختلف تماماً لأن مشكلاتهم تشمل سرقة أجهزة الكمبيوتر وقد تم ضبط واحد منهم على الأقل وهو يحاول الخروج من البيت الأبيض ومعه كاميرا فيديو من النوع المستخدم في المراقبة . وقد اعترف هذا الشخص في النهاية بمحاولة سرقة الكاميرا . ورغم ذلك ادعى أنهم ألقوا القبض عليه لأنه ينتمي إلى إحدي الأقليات الأمريكية .

ولقد كانت التغييرات في فريق المساعدين السياسيين بالبيت الأبيض رهيبة ومثيرة للإحباط .

فذات مساء كان زميلي في مكتب التحقيقات الفيدرالي دنيس في نوبة عمله ، عندما حضر إليه وودي ديجوسيبي المسئول عن الإشراف على أعمال النجارة بالبيت الأبيض وقال له إنه حضر لتقديم شكوى ضد إدارة كلينتون .

وقال وودي إن رجاله عاجزون عن القيام بعملهم بسبب فريق العمل مع كلينتون . وأضاف الرجل وهو يرتعد من الغضب أن اثنين من رجاله توجها لأداء عمل تم تكليفهما به في أحد المكاتب وعندما فتحا باب المكتب ، وجدا اثنين من العاملين في فريق كلينتون يمارسان الحب داخل المكتب !

وقال زميلي للمشرف على أعمال النجارة إن هذه الحادثة ليست جديدة وسبق وقوع حوادث مماثلة من قبل وسوف تقع حوادث أخرى مستقبلاً وفي مثل هذه الأحداث لا يستطيع مكتب التحقيقات الفيدرالي أن يتدخل ما لم يتقدم أحد بشكوى رسمية .

ورد المشرف علي ورشة النجارة قائلاً إن ما حدث لم يكن مجرد لقاء بين رجل وامرأة في أحد مكاتب البيت الأبيض بل كان ممارسة للشذوذ الجنسي بين رجلين !! ورد دنيس قائلاً .. هل أنت متأكد مما تقول ؟ ورد وودي بأنه متأكد تماماً لأن الرجلين اللذين ذهبا إلى المكتب للقيام ببعض أعمال النجارة من أفضل العاملين معه ويتميزان بالتدين الشديد لدرجة قد تدفعهما لإبلاغ الصحافة بهذه الواقعة الفاضحة .

وهنا قال دنيس أن مثل هذا الشيء لم يحدث من قبل في البيت الأبيض ورغم ذلك فإنه لا يدخل في اختصاص جهات الأمن ما لم يمس القضايا الأمنية وربما تكون التهمة الوحيدة التي يمكن توجيهها لهذين الشاذين هي إساءة استخدام معدات البيت الأبيض لأنهما كانا يمارسان فعلتهما الشنعاء علي منضدة داخل مكتب عمل رسمي .

وعندما سمعت إحدى السيدات من العاملات بفريق العمل الدائم في البيت الأبيض بهذه الواقعة قالت إنها شهدت بنفسها واقعة أخرى أشد غرابة ... فقبل أسبوع توجهت إلى حمام السيدات في الدور الأرضي شاهدت اثنتين من الموظفات تمارسان الشذوذ داخل الحمام .

وكان السؤال الذي يردده الجميع عند سماع مثل هذه الفضائح هو .. كيف يحدث ذلك في البيت الأبيض ؟! ألا يشعر هؤلاء الأشخاص بالخجل من أنفسهم .

وكانت هناك أسئلة أخرى حول مسئولية أجهزة الأمن ومكتب التحقيقات الفيدرالي والمخابرات عن مواجهة هذه الظواهر المؤسفة ومنع تكرارها .

وقد كانت لأفراد فريق العمل مع كلينتون عادات معينة أثناء قيامهم بعملهم مثل وضع

الأقدام فوق المكاتب وقراءة الصحفة والمجلات وإجراء المكالمات التليفونية الخاصة .. وتبادل الثرثرة بشكل جماعي لساعات وكأنهم في كافتيريا إحدى كليات الجامعة .

وقد شكت لي إحدى عاملات النظافة في البيت الأبيض وتدعى «ميليا» من فريق العاملين مع كلينتون ووصفته بأنه فريق فظيع ومروع وقالت إن أفراده لا يراعون اعتبارات النظافة ويلقون بالقمامة على الأرض وينشرون الفوضى والقذارة في كل مكان .

وقالت «ميليا» إن فريق العاملين مع الرئيس السابق بوش كان يضم أشخاصاً محترمين يتميزون بسلوكيات راقية .

وقد قدمت ميليا استقالتها بعد فترة قصيرة من العمل مع فريق كلينتون لأنها عجزت عن الاستمرار في رؤية البيت الأبيض يتدهور بهذا الشكل .

وقد كان جورج ستيفانوبوليس أحد مساعدي كلينتون هو الذي دفع ميليا إلى التقاعد المبكر فقد احتل ستيفانوبوليس مكتب السكرتير الصحفي للبيت الأبيض في عهد بوش مارلين فيتزووتر .. وكانت ديدي مايرز هي السكرتير الصحفي لكلينتون ولكنها نقلت إلى مكتب صغير درجة ثالثة . وقد اتضح أن السبب في ذلك كان هيلاري كلينتون التي أصرت على ضم أحد مكاتب الجناح الغربي لها مما أدي إلى تغيير شامل لخطة شغل المكاتب في البيت الأبيض وتحولت المسألة إلي ما يشبه لعبة الكراسي الموسيقية وعندما توقفت الموسيقى كانت ديدي مايرز خارج مكتب المتحدث الصحفي باسم الرئيس .

وقد قابلت ستيفانوبوليس ذات مرة في مكتبه ولاحظت وجود صينية على المكتب وفوقها نصف سندوتش وقد تناثرت شرائح البطاطس الشيبسي على سجادة الغرفة ، وكانت الأوراق مكدسة وملقاة في كل مكان والأكثر من ذلك كان وجود بقايا تورتة قدمت له بمناسبة عيد ميلاده قبل تسعة أيام من مقابلتي له . وكانت هناك أيضاً عدة صناديق للقمامة في منتصف الغرفة وكان ستيفانوبوليس يضطر للدوران حول هذه الصناديق للوصول من الباب إلى مكتبه أو العكس والغريب أن كل هذه الفوضى كانت موجودة في مكتب أحد كبار مساعدي كلينتون بعد حوالي شهر من دخول كلينتون إلى البيت الأبيض ، كان ستيفانوبوليس في الثانية والثلاثين من العمر وكان من الواضح أنه شديد العناية بشعره ويقضي وقتاً طويلاً كل صباح في تسريحه وعمله بالسيشوار ورشه بالاسبراي المثبت للشعر .

وكان ستيفانوبوليس مشهوراً بفقاعات اللبان التي كان ينفخها بفمه لتغطي وجهه وهي عادة غريبة بالنسبة لمدير الاتصالات ومسئول الإعلام في البيت الأبيض وكان يمارسها حتى في المؤتمرات الصحفية . وقد كان ذلك هو السبب الذي جعل الصحف تصف إدارة كلينتون بأنها مجموعة من الصبية . لقد ضمت إدارة ريجان وإدارة كلينتون الكثير من الشباب في العشرينات والثلاثينات ولكن أحداً منهم لم يكن يفعل شيئاً مثل عمل فقاعات اللبان بفمه .. فالمسألة ليست بسنوات العمر بل النضج والإحساس بالمسئولية .

ويكفي أن تستقيل عاملة نظافة من البيت الأبيض بسبب قذارة مكتب مسئول كبير مثل ستيفانوبوليس مدير الاتصالات في إدارة كلينتون .

□□□

ولا يجد مؤلف هذا الكتاب والعميل السابق لمكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي جاري الدريتش وصفاً لما حدث في البيت الأبيض بعد تولي بيل كلينتون الرئاسة الأمريكية أفضل من كلمة الانهيار أو التردي ....

هذا الانهيار كما يقول الدريتش لم يقتصر على مجال بعينه أو اتجاه محدد بل كان انهياراً شاملاً على كل المستويات وصل إلى درجة تسلل رئيس أقوى وأكبر دولة في العالم من البيت الأبيض بعد منتصف الليل للقيام بمغامرات غرامية وممارسة نزوات عاطفية من ذلك النوع الذي يثير خيال المراهقين المتهورين !!

خلال حكم الرئيس الأمريكي الأسبق لندون جونسون كان رئيس العاملين في البيت الأبيض هو والتر جنكينز .... وهذا الرجل بالتحديد هو المسئول عن قرار فتح وحدة خاصة لمكتب التحقيقات الفيدرالي في البيت الأبيض لعمل تحريات عن جميع العاملين المحيطين بالرئيس الأمريكي فقد ضبط والتر جنكينز وهو يمارس الشذوذ مع أحد الأشخاص في دورة مياه ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يضبط فيها ولكن الرئيس جونسون أكد أنه لم يكن يعرف بشذوذه عندما اختاره ليكون من أكبر وأقرب مساعديه في البيت الأبيض ويسند له منصب رئيس هيئة العاملين بالبيت الأبيض .

كان ذلك في عام ١٩٦٤ وكانت حكومة جونسون تواجه العديد من الفضائح والمشكلات بما

في ذلك حرب فيتنام ولم يكن من الممكن أن يتحمل جونسون فضيحة أخلاقية أخرى تتعلق برئيس العاملين في البيت الأبيض المصاب بالشذوذ خاصة وأن جينكنز هذا كان صديقاً شخصياً وثيق الصلة بالرئيس جونسون .

لقد كان الرئيس جونسون معروفاً بالتجاوزات خاصة علي صعيد حياته الشخصية .. ولذلك عقد العزم على التخلص من كل المشبوهين حوله حتى تستعيد حكومته ثقة الرأي العام.. واستدعي جونسون مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي في ذلك الحين أدجار هوفر وأمره بوضع نظام محدد للتحري عن أي شخص يرشح للعمل في البيت الأبيض وكان ذلك إيذاناً بمولد وحدة التحريات الخاصة في البيت الأبيض والتابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي .

وقد كان إيجاد وحدة تحريات خاصة في البيت الأبيض مجرد حيلة ذكية لجأ إليها الرئيس جونسون لإيهام الرأي العام بأن جميع العاملين في البيت الأبيض من أصحاب الأيدي النظيفة والتاريخ الناصع ، والحقيقة أن عمل هذه الوحدة لم تكن له أي قيمة لسبب بسيط هو أن المسئولين فيها كان محظوراً عليهم التقدم بأي قرار أو توصية أو اقتراح مهما كانت نتيجة التحريات التي يقومون بها ..

ورغم ذلك فقد قمت بنفسي بعمل تحريات وتحقيقات دقيقة عن بيل كلينتون وزوجته هيلاري .. وأستطيع أن أؤكد أن هذه التحريات تدمغ كلينتون بأنه «رئيس غير مسئول» وبأنه لا يهتم بالأمن القومي الأمريكي .

ومن أهم الحقائق والمعلومات التي توصلت إليها خلال بحثي وراء كلينتون وهيلاري أن الرئيس كلينتون زعيم العالم الحر وقائد أقوى دولة في العالم كان كثيراً ما يختفي في ظروف غامضة ولا يعرف أحد المكان الذي يتواجد فيه !! وكان اختفاء الرئيس كلينتون يستمر عدة ساعات في المرة الواحدة دون أن تكون هناك أي وسيلة للاتصال به .

وقد اعتاد الرؤساء الأمريكيون السابقون على أن يكون الاتصال بينهم وبين كبار مستشاريهم مستمراً لمدة ٢٤ ساعة في اليوم بمعنى أن هؤلاء المستشارين بوسعهم أن يتصلوا بالرئيس في أي لحظة من الليل أو النهار كانت جميع تحركات الرئيس تبلغ أولاً بأول لكبار المسئولين خاصة في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) .

أما بالنسبة لكلينتون فالوضع مختلف تماماً لأن مساعديه يعجزون عن الوصول إليه في أحيان كثيرة ولا يكون أمامهم سوى ترك رسالة صوتية على جهاز الأنسر ماشين في تليفون الرئيس رغم أن مثل هذه الرسالة ربما لا تكون لها أي قيمة في أوقات الطوارئ والأزمات العاجلة .

وفي مرات عديدة كان كلينتون يحمل العاملين في سويتش البيت الأبيض مسئولية عجز مستشاريه عن الاتصال به . وكان يؤكد أنه لم يغادر مقره وأن عامل السويتش لم يبذل الجهد الكافي لتوصيل المكالمة إليه .

والمفروض أن أفراد الخدمة السرية والحرس الخاص يعرفون مكان الرئيس في أي وقت ولكن الوضع مختلف بالنسبة للرئيس كلينتون لأن السيدة الأولى هيلاري طردت أفراد الحراسة خارج منزل الرئيس والأكثر من ذلك أنها شخصياً لم تكن تعرف في أحيان كثيرة أين الرئيس خاصة أثناء الليل لأنهما ينامان في غرفتين منفصلتين ..

□□□

ومع تكرار حالات الغياب الغامضة للرئيس كلينتون كان لابد أن يتردد سؤال على جانب كبير من الأهمية وهو أين يذهب الرئيس في الليل ؟!

وقد قدم لي مصدر هام إحدى الإجابات على هذا السؤال حيث أكد أن الرئيس كلينتون يقوم بزيارات متتالية في ساعات متأخرة من الليل لفندق «ماريوت» في وسط واشنطن !! وهذا الفندق ملحق به موقف للسيارات (جراج) تحت الأرض وبه أسانسير يستطيع نزلاء الفندق استخدامه في الصعود إلي غرفهم دون الحاجة للمرور على موظف الاستقبال بالمدخل الرئيسي .

والرئيس كلينتون لا يحجز أي غرفة باسمه في هذا الفندق .. أما الزبون الذي يستأجر الغرفة التي يتوجه إليها كلينتون فلا يعرف اسمه سوى مدير الفندق رغم أن بعض المعلومات تسربت لتؤكد أن هذه الغرفة محجوزة باسم سيدة أو فتاة ربما تكون من بين الشخصيات الشهيرة .

والشخص الوحيد الذي يصطحبه الرئيس كلينتون في هذه الزيارات الليلية هو سائقه

الخاص بروس ليندساي وهو صديق قديم لكلينتون .. وتقف السيارة دائماً بالقرب من باب مصعد الفندق حيث ينتظر السائق بداخلها إلى أن يعود الرئيس بعد عدة ساعات .

وقد علمت من المصادر الموثوق بها أن سيارة كلينتون تصل دائماً إلى جراج الفندق بعد منتصف الليل وتعود مرة أخري من حيث أتت في حوالي الساعة الرابعة صباحاً أي قبل الفجر مباشرة .

وقد سألت هذه المصادر عن دور الخدمة السرية والحرس المخصص لحماية الرئيس كلينتون في هذه الرحلات الليلية الغامضة وصعقت عندما علمت أن كلينتون يكون بدون أي حراسة أو حماية خلال هذه الرحلات الليلية التي لا يرافقه فيها أي حارس لحمايته حتى ولو من مسافة بعيدة !! وقد اتضح أن كلينتون يهرب من أفراد حرسه عندما يتوجه في هذه الرحلات ليلاً .

ورغم وجود حراسة علي جميع أبواب وبوابات البيت الأبيض إلا أن أفراد هذه الحراسة يفتحون هذه البوابات أوتوماتيكياً خاصة في الليل من أجل دخول أو خروج السيارات وهم يهتمون كثيراص بفحص شخصيات ركاب أي سيارة في طريقها للدخول أما السيارات الخارجة أو التي تغادر البيت الأبيض فلا يكون هناك اهتمام كبير بمعرفة الشخصية الموجودة بداخلها بل إن العادة جرت على فتح البوابة أمام أي سيارة تظهر من بعيد وهي في طريقها للخروج من البيت الأبيض ولا يحاول أي حارس معرفة من بداخل السيارة إلا في أحوال نادرة للغاية .

وإلى جانب ذلك فإن السيارة التي يختارها كلينتون للخروج بها ليلاً تكون مزودة بستائر على نوافذها بحيث يكون من المستحيل التعرف علي ركابها .

وقد كشف مصدر يشغل موقعاً حساساً في البيت الأبيض خطة كلينتون السرية للتسلل إلى خارج مقر الرئيس الأمريكي .

وقال المصدر إن كلينتون يختار وقتاً يكون فيه الظلام حالكاً بعد منتصف الليل لكي يبدأ مغامراته فيخرج من غرفة نومه دون أن تدري زوجته هيلاري التي تنام في غرفة أخرى . ويغادر كلينتون بوابة المنزل أمام أفراد الحراسة بطريقة طبيعية توحي بأنه متوجه إلى جناح آخر في البيت الأبيض وبمجرد أن يختفي عن عيون هؤلاء الحراس ينحرف كلينتون يساراً ليدخل إلى سيارة سوداء تكون في انتظاره وبداخلها سائقه الخاص بروس ليندساي ويستلقي الرئيس

كلينتون على المعقد الخلفي حيث يغطي نفسه ببطانية موجودة خصيصاً لهذا الغرض في السيارة التي تنطلق لتعبر البوابة الرئيسية ومنها إلى شارع بنسلفانيا ثم فندق ماريوت .

وقد سألت أحد كبار المسئولين في جهاز حماية الرئيس الأمريكي عن مدي مسئولية هذا الجهاز في حالة تعرض الرئيس كلينتون لأي اعتداء أو خطر خلال هذه الرحلات الليلية المريبة والغريبة .

وقال لي هذا المسئول إن جهاز أمن الرئاسة يحتاط لنفسه جيداً في مثل هذه الظروف ويقوم أفراد الحرس بإعداد مذكرة رسمية في حالة تهرب أحد أفراد أسرة الرئيس منهم ورفضه أن يرافقوه لحمايته ويتم وضع هذه المذكرات في ملف خاص الهدف منه الرد على أي انتقاد قد يوجه لحرس الرئاسة في حالة حدوث أي طارئ للرئيس أو أحد أفراد أسرته وهم بعيدون عن الحماية والحراسة الأمنية اللازمة .

والغريب أن هذا الملف يحمل ثلاثة حروف هي (سي واي ايه C.I.A) وهي الحروف الأولى من عبارة «احرص على تغطية عورتك» .

ويؤكد أحد المسئولين بجهاز حرس الرئاسة أن هيلاري كلينتون لا تقل سوءاً عن زوجها بالنسبة للموقف من أفراد الحرس فقد أصدرت تعليمات مشددة لحراسها بالابتعاد عنها لمسافة لا تقل عن عشر ياردات . وعندما حاول الحراس أن يلفتوا نظر هيلاري إلى أن ابتعادهم عنها يصعب من مهمة حمايتها كان ردها عليهم : فقط نفذوا ما أمرتكم به .. هل هذا واضح ؟!

وقد اعترفت هيلاري صراحة أكثر من مرة بأنها هربت من أفراد حرسها الخاص لكي تتخلص منهم وتستمتع بوقت طيب أو رحلة قصيرة بعيداً عنهم .

وربما يفسر هذا السلوك السبب الذي يجعل عائلة كلينتون تعتبر حرس الرئاسة عدواً لها وبنفس الطريقة التي ينظر بها تجار المخدرات إلي شرطة مكافحة المخدرات .

وقد اتهم مساعدو كلينتون أفراد حرس الرئاسة والأمن في البيت الأبيض بتسريب المعلومات حول التجاوزات والأخطاء التي تحدث في مقر الرئيس إلى الكونجرس والصحافة الأمر الذي يؤكد أن جهاز الحراسة والخدمة السرية في البيت الأبيض لا يحظى بثقة الرئيس أو أسرته أو مساعديه .

وفي مواجهة هذا الموقف العدواني من جانب آل كلينتون تجاه أفراد الخدمة السرية المكلفين بحمايتهم كان كبار المسئولين في هذا الجهاز الخطير لا يبدون أي ود تجاه الرئيس الأمريكي والحقيقة أن هذا الود كان مفقوداً منذ اللحظة الأولى لدخول كلينتون إلى البيت الأبيض حيث لم يبادر جون ماجيو رئيس جهاز الخدمة السرية بالتوجه إلى الرئيس الجديد لتهنئته رغم أن ماكجيو من الأشخاص المعروفين بدماثة الخلق والانضباط والالتزام ولكنه أيضاً كان وثيق الصلة بالرئيس السابق جورج بوش ورافقه في إحدى رحلاته إلى الكويت بعد تولي كلينتون الرئاسة وقد وصف ذلك بأنه بمثابة إهانة للرئيس كلينتون .

ووصل تدهور العلاقة بين كلينتون والجهاز الخاص المكلف بحراسته إلى حد أن أحد كبار مستشاري الرئيس الأمريكي اقترح رسمياً نقل مسئولية حماية الرئيس وأمنه إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي بدلاً من الخدمة السرية .

وقد أدى ذلك إلى إصابة أفراد الخدمة السرية والحرس الخاص بإحباط شديد لأنهم تدربوا جيداً على التضحية بحياتهم من أجل الرئيس وتلقى أي رصاصة قد تكون موجهة إليه في صدورهم .

وفي لحظة من اللحظات ... قرر المسئولون في جهاز الخدمة السرية كشف ملف التجاوزات التي ارتكبها كلينتون وأفراد أسرته خاصة تلك المتعلقة بالهروب من الحراسة وعرقلة عمل أفراد الخدمة الخاصة في حماية أمن الرئيس الأمريكي وأسرته . وقد أصبح هذا الملف الآن إحدى الوثائق المهمة المتعلقة بالأمن القومي للولايات المتحدة . وقد أتاح هذا الملف للكونجرس الاطلاع على بعض السلوكيات غير المسئولة بل والخطيرة التى تمثل بحق أخطر انتهاك للأمن القومي في التاريخ الأمريكي .

والواقع أن معاملة آل كلينتون السيئة لم تقتصر على أفراد الخدمة الخاصة فقط بل اتسع نظامها لتشمل الكثيرين من العاملين الدائمين في البيت الأبيض والذين لم يكن لكلينتون أو هيلاري أي دور في تعيينهم .

وقد وصلت الأمور إلى حد تقديم استقالة جماعية من فريق المضيفين والمضيفات العاملين بالبيت الأبيض ومعظمهم من أصول فليبينية بسبب سوء المعاملة . وقد رد المضيفون والمضيفات على سوء معاملة كلينتون لهم بطريقتهم الخاصة حيث كانوا يتلكأون في خدمته ويدعون

عجزهم عن فهم ما يقصده أو ما يطلبه وإذا طلب منهم كوبا من عصير البرتقال أحضروا له عصير ليمون والمستردة من صلصة الطماطم وغير ذلك من الأشياء الصغيرة التي يلجأ إليها صغار الموظفين لمضايقة المسئول المتغطرس الذي يسيء معاملتهم .

ولقد لفت أحد مستشاري كلينتون نظره إلى استياء أفراد فريق المضيفات بالبيت الأبيض من سوء معاملته لهم . ولم يتردد كلينتون في تقديم اعتذاره للمضيفين والمضيفات مبرراً أسلوبه السيئ في التعامل معهم بكثرة مشاغله والقضايا المهمة والخطيرة التي تسيطر على تفكيره في كل وقت . ورغم ذلك كان من الواضح أن أفراد فريق الضيافة رفضا اعتذار كلينتون لسبب بسيط هو أنهم عملوا مع العديد من الرؤساء ويعرفون جيداً أن انشغال الرئيس بالقضايا الخطيرة لا يعني معاملتهم كعبيد أو أشخاص بلا كرامة .

ولا شك أن كلينتون لم يكن على نفس الدرجة من السوء مثل هيلاري بالنسبة لهذه النقطة.. فقد كان كلينتون مثلاً ، يمر بمجموعة من العاملين فينظر إليهم ويتجاهلهم تماماً وكأنهم غير موجودين وبشكل يمثل قمة الغطرسة والغرور .. وعندما كان يتحدث إليهم كان يفعل ذلك بطريقة مهينة . أما هيلاري فلم تكن حتى تسمح لهم بالاقتراب منها أو النظر إليها .. وكانت هذه المعاملة السيئة دائماً من نصيب العاملين الدائمين بالبيت الأبيض .

ولقد تعرضت بنفسي لتجربة شخصية مع بيل كلينتون في هذا الإطار .

ففي يوم ١٩ أبريل ١٩٩٣ ، اتصلت بي زوجتي تليفونياً في مقر عملي بالبيت الأبيض وطلبت مني فتح جهاز التليفزيون لمشاهدة حدث مهم على جميع القنوات .

كانت هناك مشاهد اقتحام رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي الملحين لمقر جماعة «الداوديين» في مدينة واكو بولاية تكساس .. كانت طلقات الرصاص تدوي والنيران تشتعل في كل مكان بهدف القضاء على أفراد هذه الجماعة التي كان يتزعمها ديفيد كروش رغم وجود عدد كبير من الأطفال ... وهلك العشرات في هذا الهجوم ولكن حكومة كلينتون أصدرت بياناً زعمت فيه أن ما حدث في واكو كان عملية انتحار جماعي لأفراد طائفة الداوديين .

وبعد أيام من هذه الواقعة ، كنت أجلس في مكتب زميلة لي بالبيت الأبيض تدعى ديبورا

كويل .. وفوجئت بالرئيس كلينتون يقف علي باب المكتب قائلاً «هاللو ديبورا .. من هذا ؟» ونهضت على الفور قائلاً : أهلاً يا سيدي الرئيس ... أنا جاري الدريتش من وحدة مكتب التحقيقات الفيدرالي بالبيت الأبيض .

ونظر إلى كلينتون قائلاً : مكتب التحقيقات الفيدرالي .. هل سمعت دفاعي عنكم في المؤتمر الصحفي بخصوص الهجوم على الداوديين في واكو ؟

والحقيقة أنني سمعت ما قاله كلينتون في هذا المؤتمر الصحفي حيث تنصل تماماً من عملية الهجوم على مقر جماعة الداوديين الذي أسفر عن مصرع العشرات من المدنيين ... وألقى بالمسئولية كلها على عاتق مكتب التحقيقات الفيدرالي رغم أنه هو شخصياً أقر خطة الهجوم على هذا المقر !!

وقلت لكلينتون : سيدي الرئيس .. ما دمت قد سألتني فلابد أن أؤكد لك أنني في حيرة مما تردد عن حدوث انتحار جماعي لداوديين فكيف يمكن للأطفال الذين كانوا مع هذه الجماعة أن ينتحروا ؟

وقال كلينتون : لقد كان هؤلاء الأطفال ضحايا ومثل هذه الأحداث تقع بين وقت وآخر .. حسناً يا الدريتش لقد سعدت بلقائك .. إن أفراد مكتب التحقيقات الفيدرالي يقومون بعمل جيد .. استمروا » وغادر كلينتون المكتب .

وسألت ديبورا :

هل يحدث كثيراً أن يأتي الرئيس إلى مكتبك ؟ وهل لديه الوقت لذلك فقالت إنها عملت معه لسنوات طوال حتى قبل أن يصبح رئيساً .. وهو الذي أتى بها للبيت الأبيض وكان ذلك كافياً للرد على سؤالي وتفسير كل شيء .

لم تكن الأخطاء التي شهدها البيت الأبيض في عهد الرئيس الأمريكي بيل كلينتون مجرد تجاوزات من النوع الذي يحدث في كل زمان ومكان بل كانت خطايا وجرائم خطيرة من النوع الذي يعاقب عليه القانون .

□○□



٤

شـذوذ وجـنـس ومـخـدرات فـي الـبيت الأبيض ..

لقد أحضر كلينتون معه فريقاً من
المساعدين يدمنون المخدرات
ويمارسون الشذوذ الجنسي في
المكاتب ودورات المياه
بمقر رئيس الولايات المتحدة



يقول جاري الدريتش عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي في كتابه «حرية الدخول» إن البيت الأبيض افتقد شيئاً هاماً في عهد كلينتون هو «الأخلاق» التي وصلت إلى مستوى لم يسبق له مثيل من التدهور والانهيار .

خلال عهد الرئيس السابق جورج بوش ، كانت الطريقة المتبعة في تعيين العاملين بالبيت الأبيض هي أن يقوم جون شميتز نائب مستشار البيت الأبيض في ذلك الحين بمراجعة التحريات الأمنية عن الشخص المطلوب تعيينه ثم يكتب رأيه لمستشار الرئيس الذي يوقع بالموافقة إذا لم يكن لديه اعتراض ..

أما لو حدث وأشارت التحريات إلى وجود أي نقطة كسلبية خطيرة في شخصية المرشح للعمل بالبيت الأبيض فإنها تبلغ لمستشار الرئيس الذي يحيط الرئيس علماً بوجود عقبه تحول دون تعيين هذا المرشح للعمل في البيت الأبيض . وإذا سأله الرئيس عن السبب وعلم أن تحريات مكتب التحقيقات الفيدرالي توصي باستبعاده فإنه يقر هذه التوصية .

ولم يسبق للرئيس بوش ، مثلاً ، أن طلب تجاهل التحريات الأمنية أو الالتفاف حولها من أجل تعيين شخص يريده في البيت الأبيض .

ولقد قمت بنفسي بإجراء التحريات حول أشخاص كان بوش يريد إلحاقهم بالعمل في مناصب هامة وعندما علم أن هناك نقاطاً سلبية أمنية في سجل حياتهم أسقطهم على الفور من اعتباره .

أما في إدارة كلينتون فكانت الأوضاع مختلفة تماماً . حيث لم يكن هناك أي اعتبار أو اهتمام بالتحريات الأمنية للمرشحين للعمل في البيت الأبيض ، بل إن قرارات التعيين في المناصب الحساسة كانت تصدر بدون إخطار مكتب التحقيقات الفيدرالي والجهات الأمنية الأخرى لتقوم بعمل التحريات اللازمة حول هؤلاء الأشخاص .

والغريب أنهم كانوا يطلبون عمل هذه التحريات والإجراءات الأمنية بعد أن يتسلم العاملون الجدد في البيت الأبيض مواقع عملهم .

والأخطر من ذلك أن مسئولية منح تصاريح دخول البيت الأبيض نقلت من برنارد ناوسبوم مستشار الرئيس إلى نائبه فينس هوستر ومساعده بيل كيندي ثم إلى كريج ليفنجستون مدير مكتب الأمن الذي لم تكن لديه أي خبرات قانونية أو أمنية .. وكان ذلك هو اختيار هيلاري كلينتون وأيضاً هو التنفيذ الأمين لتعليماتها وأوامرها .

ومع مجيء إدارة كلينتون ، حدثت تغييرات هامة في قواعد تعيين العاملين بالبيت الأبيض حيث لم تعد المقومات الشخصية ، أحد العوامل التي تحدد مدى ملائمة الشخص للوظيفة ، ولم يكن من الممكن التراجع عن تعيين أي شخص مهما كان السبب ما دامت هيلاري كلينتون أو زوجها بيل كلينتون قد وافقا عليه .

وقد عبر جورج ستيفانو بوليس مدير الاتصالات بالبيت الأبيض عن ذلك بقوله : «إننا نعرف مدى قوة صوت الرئيس فعندما يقول شيئاً فإنه يلغي أي اعتبار آخر يتناقض معه .

وقد كان هذا هو التفسير الذي قدمه ستيفانو بوليس للأخطاء التي حدثت في بعض التعيينات والتي ثبت بعد ذلك أنها لم تكن موفقة مثل حالة زوبيرد التي رشحت لمنصب المدير العام ثم ثبت تورطها في تجاوزات قانونية ونفس الشيء حدث بالنسبة لخليفتها في نفس المنصب كيميا وود .

وما لم يقله ستيفانو بوليس هو أن هيلاري كلينتون كانت هي المسئولة عن مثل هذه التعيينات غير الموفقة وأنها لم تهتم عندما أبلغت بوجود بعض السلبيات التي تتعارض مع اختياراتها .

وإذا كان هناك مستشار حقيقي يفهم عمله في البيت الأبيض لما كان من الممكن ترشيح أمثال زوبيرد أو كيميا وود لمنصب المدعي العام ولذلك فعندما تفجرت فضيحة بيرد وبعدها فضيحة كيميا وود لم يكن بوسع أحد توجيه اللوم لمكتب مستشار الرئيس لسبب بسيط هو أن هيلاري كلينتون بالتحديد كانت هي المسئولة بشكل مباشر عن هذه التعيينات .

□□□

إن كلينتون وزوجته وفريق العمل التابع لهما لم تكن لديهم موهبة حسن الإصغاء وكانت كل مواهبهم تنحصر في العصبية والنرفزة وأن يفقد الواحد منهم صوابه لأتفه الأسباب .

وقد حدث كثيراً أن انفجر غضب الرئيس كلينتون في وجه زوجته أو العكس ، وكان هذا الغضب كثيراً ما ينفجر في العاملين مع الرئيس والسيدة الأولى .

والغريب أنهما اعتبرا أن هذه وسيلة صحية وبناءة لإعلان الخلاف ولكن الحقيقة أن مثل هذه الانفجارات الغاضبة كانت تؤدي إلى حالة من الفوضى ونشر الخوف والجبن بين العاملين ، كما أن كل هذا الصراخ والصياح من جانب كلينتون وزوجته كان يعني أن سوء اختيار العاملين بالبيت الأبيض كان يبدأ من القمة !!

وقد جعلني ذلك أتساءل عن مناخ العمل الذي كان سائداً في شركة «روز» القانونية التابعة لهيلاري كلينتون وشريكيها فينس فوستر ووليام كيندي . ولكن مما لا شك فيه أن هذا المناخ قد انعكس بكل وضوح في واشنطن وبالتحديد في البيت الأبيض . وكانت أهم ملامحه هي تلك السيطرة الرهيبة لهيلاري كلينتون التي وصلت إلى حد استيلائها على السلطة في واشنطن .

لقد كانت هناك كلمة واحدة تعبر عما افتقده البيت الأبيض بعد وصول كلينتون وزوجته هيلاري . هذه الكلمة هي «الأخلاق» التي بذلت إدارة الرئيس السابق جورج بوش جهوداً هائلة من أجل دعمها والحفاظ عليها ، والغريب أن ضياع الأخلاق في البيت الأبيض جاءت على يد الرئيس كلينتون والرئيسة هيلاري وكلاهما من أهل القانون .

وبالنسبة للجانب الاجتماعي أو جانب الشئون الداخلية في البيت الأبيض ، كان هناك اختلاف واضح في عهد كلينتون عما كان عليه الوضع في عهد الرؤساء السابقين .

فقد كانت الأنشطة الداخلية تستهلك الجزء الأكبر من جهد السيدة الأولى ومعها حوالي ٢٥ شخصاً من العاملين بالإضافة لمجموعة كبيرة من المتطوعين والمساعدين الذين يمكنهم الحضور إلى البيت الأبيض لتقديم المساعدة في أي وقت .

ورغم وجود مسئولين عن كل شئون العمل في البيت الأبيض خاصة مقر إقامة الرئيس وزوجته إلا أن السيدة الأولى هي المسئولة عن بعض القرارات الهامة مثل تعيين وإقامة وترقية

العاملين في منزل الرئيس ونوعية الطعام الذي يقدم للأسرة أو للضيوف .

أما بالنسبة لهيلاري كلينتون وطريقتها الخاصة ، فإن تربية طفل واحد قد تحتاج لجيش من العاملين ، ولكن إدارة حكومة بأسرها مثل الحكومة الأمريكية فإنها لا تحتاج إلا لحفنة من الأصدقاء وزملاء العمل في شركة «روز» للاستشارات القانونية الخاصة بها !!

ولقد بات من الواضح خلال فترة قصيرة أن الواجبات التقليدية للسيدة الأولى أكبر من هيلاري كلينتون .

□□□

وفي صباح يوم الأحد ٤ ديسمبر ١٩٩٤ ، كنت أتناول فنجاناً من القهوة وأشاهد برنامج «واجه الصحافة» التليفزيوني الذي كان يستضيف عضو الكونجرس البارز نيوت جنجريتش الذي كان من أبرز المرشحين في ذلك الحين لرئاسة مجلس النواب .

وقد أومأت برأسي موافقاً عندما قال جنجريتش إن كلينتون وأفراد إدارته ينتمون لما يسمى بالثقافة المضادة التي اجتاحت المجتمع الأمريكي في الستينيات . وحتى يؤكد جنجريتش وجهة نظره قال إن له صديقاً في أحد أجهزة الأمن أكد له أن أفراد فريق العمل مع كلينتون في البيت الأبيض يتعاطون المخدرات غير المشروعة منذ فترة لا تقل عن السنوات الخمس الماضية، وصدمت ، عندما سمعت هذه الكلمات لدرجة أن القهوة اندفعت خارج فمي وكان سبب ذلك هو أن عدد كبار مسئولي الأمن الذين يمكن أن يبلغوا جنجريتش بهذه المعلومة لا يتجاوز ٢٤ شخصاً وأنا واحد منهم ولذلك أكون قد فقدت عملي في البيت الأبيض بكل تأكيد ، صحيح أني لم أكن مسئولاً كبيراً ولكني مسئول أمني في البيت الأبيض ولم أكن أيضاً مسئولاً صغيراً .. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان عملي مرتبطاً بالكونجرس سواء في مجلس الشيوخ أو النواب .

وكان كريج لفينجستون مدير الأمن في البيت الأبيض قد تحدث معي من قبل عن الشخص الذي يمكن أن يكون مسئولاً عن نقل التجاوزات التي تحدث في البيت الأبيض إلى الكونجرس، باختصار كنت لأسباب عديدة أحد المشكوك في قيامهم بهذا العمل . رغم أني لم أفعل شيئاً من ذلك طوال فترة خدمتي ولكن في كل الأحوال أصبح هناك مبرر كاف لطردي من

العمل في البيت الأبيض .

وبينما كان البرنامج التليفزيوني ما زال مستمراً ، دق جرس التليفون وكان المتحدث هو أحد الأصدقاء الذي سألني هل سمعت ما قاله جنجريتش ؟ واستمر رنين التليفون طوال يوم الأحد والاثنين وكان المتحدثون زملاء وأصدقاء وأقارب يشعرون بالقلق عليّ ويدركون الخطر الذي أتعرض له بسبب الاشتباه في أنني الشخص الذي سرب موضع تعاطي العاملين مع كلينتون للمخدرات .

وقد أكدت للجميع أني لست المسئول الأمني الذي أشار إليه جنجريتش في حديثه ولكني أحسست أنهم لا يصدقوني .

لقد كانت هناك عمليات عديدة لتسريب المعلومات من البيت الأبيض وشارك في هذه العمليات أفراد من الأمن والمخابرات اشتكوا لمسئولين في الكونجرس من العاملين مع كلينتون في البيت الأبيض .

وقد مر يوم الاثنين بسلام ولم يحدث شيء ولكن في صباح يوم الثلاثاء ، اتصل بي لفينجستون مدير الأمن في البيت الأبيض وطلب مني الحضور إلى مكتبه بأسرع ما يمكن ، وعندما ذهبت إليه أبلغني بأنه اتصل برئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي وأكد له أني لا يمكن أن أكون المسئول الذي سرب معلومات من البيت الأبيض إلى الكونجرس ، وسألني ليفنجستون : ألا تعرف يا جاري من الذي سرب تلك الأنباء عن المخدرات والعاملين مع كلينتون في البيت الأبيض ؟ وأجبته بأني لا أعرف شيئاً عن هذا الموضوع وقلت إنه لا يمكن إخفاء أي شيء إلى الأبد خاصة إذا كان يحدث في مكان مثل البيت الأبيض حيث يوجد عشرات الأشخاص الذين يمكن أن يكشفوا موضوع تعاطي الموظفين للمخدرات .

وأكدت لمدير الأمن أني لست مهتماً بموضوع المخدرات في البيت الأبيض ، وفوجئت به يقول لي ماذا تنوي أن تفعل بعد تقاعدك عن العمل ؟ هل لديك أي خطط أو مشروعات معينة ؟ لقد علمت أنك تنوي التقاعد قريباً .

وقلت له إني لم أضع أي خطط لحياتي بعد التقاعد وربما أمكنني العمل كمخبر خاص وأعتقد أن الوقت قد حان لكي أفكر بجدية في هذا الأمر .

وفجأة تحولت محادثتنا إلى اتجاه محيرفقد قال ليفنجستون : ما رأيك في تو
مستشار الأمن بالبيت الأبيض ؟

وسيطرت علي الدهشة .. فقد تحولت من شخص مشكوك فيه إلى مرشح لمن
وخطير في البيت الأبيض خلال دقائق قليلة !

لذلك كان ردي هو أني سأفكر في الأمر ثم سألت مدير أمن البيت الأبيض ق
تشاورت مع «الكبار» بشأن هذا المنصب الذي تعرضه علي ؟! وكنت أقصد بالتحدي
كلينتون التي لا يمكن تعيين أي شخص في أي منصب بدون موافقتها .

ورد ليفنجستون قائلاً : نعم إن كل شيء على ما يرام .. الموضوع منتهي تما
شخص من أهل الثقة لذلك ليس عليك سوى التفكير في الأمر .

وسألته عن المكان الذي سيذهب إليه مستشار الأمن الحالي وهل يعتزم التقاعد من
وكان رده أن المستشار الحالي لا يعلم أي شيء عن هذا الموضوع ولكنه تقدم في الس
أن يستريح الآن .

وبدأت أفكر في هذا العرض الذي قدم لي وسرعان ما أدركت أن الهدف منه هو د
الصمت وإغلاق فمي لأنهم يشكون في أني الشخص الذي سرب موضوع المخدرات في
الأبيض إلى الكونجرس ..

كان من الواضح تماماً أنها محاولة لشرائي وقد سبق لآل كلينتون أن فعلوا نفس الـ
مجموعة من الأشخاص الذين عملوا معهم في ليتل روك بولاية أركنصو عندما بدأوا يـ
إلى الصحافة ويثرثرون عن المسائل الشخصية والمشكلات المهنية التي عاشوها بأنفسهـ
كان كلينتون يشغل منصب حاكم الولاية .

وقد وصلت الأمور إلى حد اتصال الرئيس الأمريكي كلينتون شخصياً بأحـ
الأشخاص لكي يغلق فمه مقابل العمل في منصب فيدرالي بمرتب ١٠٠ ألف دولار في ا

والحقيقة أن العرض الخاص بالعمل كمستشار للأمن في البيت الأبيض بدلاً من
سوندرز قد جذب اهتمامي خاصة أني كنت أفكر في هذا المنصب إذا تقاعد سوندرز .

وقد كان لهذا المنصب بريقه وأهميته في عهد حكومة بوش أما في عهد كلينتون فقد

بلا قيمة حقيقية .. كما أن احتمال أن يكون هذا المنصب رشوة لي مقابل إغلاق فمي جعلني أتردد في القبول .

وفي نفس الوقت كان رفض هذا العرض من جانبي سيعني أني لست من الموالين لكلينتون وزوجته على الأقل من وجهة نظرهما ورغم ذلك ، كان قراري الحاسم هو عدم الاستمرار في العمل بعد موعد تقاعدي الذي سيحل بعد ستة شهور وكان سبب هذا الحسم في اتخاذ القرار هو أني هربت إلى العمل في البيت الأبيض أساساً حتى أبتعد عن التعامل مع اللصوص والنصابين وتجار المخدرات ولكن بعد مجيء كلينتون أصبحت محاطاً بفريق العمل الجديد في البيت الأبيض والذي يتكون من أشخاص يتعاطون المخدرات وربما ما هو أسوأ من ذلك .

وتكفي نظرة سريعة إلى مساعدي كلينتون للتأكد من هذه الحقيقة ، فأحد هؤلاء المساعدين وهو دان لاساتر أدين بتهمة توزيع الهيروين ... وقد أصدر كلينتون قراراً بالعفو عنه .. وكان شريك دان لاساتر في هذه التجارة غير المشروعة هو باتسي توماسون مدير مكتب الإدارة والميزانية بالبيت الأبيض .. وكان هناك أيضاً الأخ غير الشقيق لكلينتون الذي أدين أيضاً بتهمة توزيع الكوكايين .

وبالنسبة لعهد الرئيس السابق جورج بوش ، كان نسبة ١٠ في المائة فقط من المرتبطين بالبيت الأبيض قد جربت المخدرات غير المشروعة ، وكان ذلك يمثل ثلث المعدل العام لتعاطي المخدرات في الولايات المتحدة ، وكانت المخدرات في هذه الحالات هي الماريجوانا غالباً ولمرة واحدة لا تصل إلى حد الإدمان . أما تعاطي الكوكايين فكان نادراً جداً بين العاملين بالبيت الأبيض في ذلك الحين .

وعلى الجانب الآخر ، كان تعاطي المخدرات بين العاملين بالبيت الأبيض في عهد كلينتون بنسبة أعلى بكثير ولم يقتصر على المخدرات البسيطة مثل الماريجوانا كما لم يتوقف الأمر عند حد التعاطي خلال أيام الدراسة الجامعية . وقد ثبت أن بعض العاملين بالبيت الأبيض ظلوا يتعاطون المخدرات لعشرات السنين مما وصل بهم إلى مرحلة الإدمان .

وهناك فارق هام آخر بين العاملين مع بوش .. والعاملين مع كلينتون .. فقد كان معظم العاملين مع بوش قد عبروا مرحلة الدراسة الجامعية دون أن تكون لهم أي تجربة مع المخدرات ، وكان ذلك انعكاساً للتيار العام في المجتمع الأمريكي نحو الحد من تعاطي المخدرات . الذي

يرجع الفضل فيه للحملة الكبري التي قادتها نانسي ريجان زوجة الرئيس الأسبق رونالد ريجان وهي الحملة التي كان شعارها «قولوا لا للمخدرات» .

أما بالنسبة للعاملين مع كلينتون ، فقد كان من الصعب العثورعلى شخص واحد لم يجرب الماريجوانا والكوكايين وغير ذلك من المواد المخدرة القوية وشديدة الخطورة . وكان من الواضح تماماً أن العاملين في البيت الأبيض مع كلينتون لم يستطيعوا أن يقولوا «لا للمخدرات» .

□□□

وهكذا ، كشف جاري الدريتش في كتابه الهام والخطير «حرية الدخول» العديد من الأسرار والفضائح التي شهدها البيت الأبيض منذ تولي بيل كلينتون الرئاسة الأمريكية في عام ١٩٩٢ .. ويواصل الدريتش ، وهو مسئول سابق بمكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي في البيض الأبيض ، كشف المزيد من هذه الأسرار ، خاصة الدور الخطير الذي تلعبه سيدة أمريكيا الأولى هيلاري كلينتون ، التي يصفها بأنها الرئيسة الثانية لأمريكا بجانب زوجها الرئيس بيل كلينتون .. ويصف الدريتش هيلاري بأنها الرجل القوي أو صاحبة السلطة والنفوذ الحقيقيين في مقر الرئاسة الأمريكية ... كما يرسم صورة غريبة تماماً لا يعرفها العالم عن سيدة أمريكا الأولى هي صورة المرأة الشرسة .. المتسلطة التي يخشاها الجميع في واشنطن ..

في ٢ فبراير عام ١٩٩٦ ، حضر رئيس الولايات المتحدة مناسبة هامة هي حفل الإفطار والصلاة القومي في فندق هيلتون واشنطن .. قالت وسائل الإعلام الأمريكية أن عدد من حضروا هذا الحفل بلغ ألف شخص من كبار المسئولين في الحكومة ودنيا المال والأعمال والنفوذ..

وكان أغرب ما شهده هذا الحفل هو تكليف السيناتور كارول موسلي براون وهي عضو بمجلس الشيوخ بإلقاء كلمة الحفل التي يغلب عليه الطابع الديني بدلاً من الأب بيل جراهام ، الذي منعه المرض من الحضور رغم أن كارول موسلي اتهمت بارتكاب تجاوزات مالية عديدة من بينها سرقة أمها .

وخلال الكلمة ، قالت كارول موسلي براون أنها ترحب بوجود السيد الرئيس والسيدة الرئيسة في الحفل ! ولا شك أنه إذا كانت هناك «زلة لسان» يمكن أن توصف بإنها «فرويدية»

نسبة إلى عالم النفس الشهير فرويد ، فهي بالتأكيد هذه الغلطة التي وقعت فيها براون دون قصد ، عندما قالت «السيدة الرئيسة» ولقد كان ما قالته براون تعبيراً عبقرياً عن واقع الرئاسة الأمريكية حيث ولدت مع تولي كلينتون ظاهرة جديدة بالنسبة للسلطة التنفيذية في واشنطن وهي الرئاسة المشتركة أو وجود رئيسين في البيت الأبيض بدلاً من رئيس واحد .

وخلال الفترة التي أعقبت تنصيب كلينتون مباشرة ، تحدثت وسائل الإعلام كثيراً عن (أصدقاء كلينتون) الذين تم تعيينهم في الإدارة الجديدة ، ولكن التجربة أثبتت أن غالبية هؤلاء المعينين كانوا من «أصدقاء هيلاري» وقد ظهرت بصمات هيلاري بمنتهى الوضوح في (اللجنة الخاصة للرعاية الصحية) وهي أهم مشروع داخلي خلال فترة الرئاسة الأولى لكلينتون.

وقد كان الحوار حول الرعاية الصحية يدور داخل البيت الأبيض بشكل مختلف تماماً عما يحدث في المناقشات العلنية ، فبينما كان يتم إغراق الشعب الأمريكي بالقصص المأساوية حول معاناة الفقراء الذين لا يتمتعون بالتأمينات ، كان كلينتون وزوجته يتهمان بالقسوة إزاء هذه المشكلة ويقللان من أهميتها أو خطورتها ، وكان كلينتون قد تعهد خلال حملته الانتخابية بتخفيض عدد العاملين في البيت الأبيض بنسبة ٢٥ في المائة وهو هدف لم تصل إليه الإدارة الأمريكية ، ولذلك تم طرد الكثيرين من قدامي العاملين الفيدراليين مما أحدث عجزاً في عدد العاملين وجرت تغطية العجز عن طريق طوفان من المتطوعين والعاملين المؤقتين الذين عملوا ليس فقط بدون تأمينات بل أيضاً بدون أجور أو مرتبات والأهم من ذلك أنهم كانوا أيضاً بدون مستويات مهنية أو سلوكية محترمة ..

وقد حاولت إدارة كلينتون إخفاء حقيقة أن الكثيرين من العاملين في البيت الأبيض عملوا بعقود مؤقتة بحيث يحصلون على أجر العمل ٣٩ ساعة فقط أو أقل كل أسبوع رغم وجود الكثير من العمل ورغم رغبتهم في التحول إلى موظفين دائمين وقد أدى ذلك الوضع إلى حرمانهم من حقوق وامتيازات عديدة ربما كان أهمها التأمينات الصحية والاجتماعية .

وخلال الأزمة التي عرفت باسم (أزمة الرعاية الصحية) اتصلت بي صديقة تدعى كارين وكانت تعمل في البيت الأبيض خلال رئاسة بوش وقالت كارين : إن صديقة لها تعمل لحساب إحدى الشركات الخاصة للتأمين الصحي توجهت إلى البيت الأبيض مع عدد من مسئولي

الشركة لعرض مقترحات على اللجنة الصحية المشكلة لهذا الغرض برئاسة هيلاري كلينتون . وقد حصلوا علي موعد للقاء السيدة الأولى وأخذوهم إلى قاعة روزفلت بالجناح الغربي وطلبوا منهم الانتظار حتى تحضر إليهم هيلاري كلينتون .

وسألت كارين : كيف نجحت صديقتها في الحصول على موعد للقاء هيلاري ؟ فردت بأن شقيقة هذه الصديقة كانت زميلة دراسة للسيدة الأولى وقد نجحت في أن ترتب لها هذا اللقاء.

ومضت كارين تحكي قصة صديقتها فقالت إنهم انتظروا لمدة ساعة في قاعة روزفلت . ثم حضرت هيلاري كلينتون ومعها نسخة من المقترحات التي تقدمت بها شركة التأمين الصحي الخاصة وقالت السيدة الأولي «أيها السادة ، لقد اطلعت على مقترحاتكم وهي مجرد هراء» .

وقالت هيلاري : والآن انتهت المقابلة وعليكم مغادرة هذا المكان فوراً ؟!

وصفت كارين هذا السلوك من جانب هيلاري كلينتون بأنه غريب وأن صديقتها أحست بالمهانة والإذلال وغضبت بشدة لدرجة أنها نهضت واقفة ونظرت إلى هيلاري قائلة : «لقد حذرتني شقيقتي منك عندما رتبت لي هذا اللقاء معك يا مستر هيلاري . وقالت لي إني سأندم على لقائي بك لأنك داعرة حقيقية والحقيقة أنك «داعرة منحطة» .

وبهذه الكلمات العنيفة ، نهض الجميع وغادروا البيت الأبيض .

امرأة شرسة ....

وسألتني كارين .. هل يمكن أن يكون ذلك صحيحاً .. وهل هيلاري كلينتون على هذه الدرجة من السوء ؟!

وكان ردي عليها هو أن ذلك مجرد رأي ولكني أستطيع أن أقول أن هيلاري كلينتون مستعدة دائماً للانقضاض على أي عدو حقيقي أو وهمي وتتعامل بفظاظة مع موظفي البيت الأبيض ، وهناك الكثير الذي يمكن أن يُحكى في هذا السياق .. فقد أبلغني أحد هؤلاء الموظفين قصة تكشف تماماً حقيقة هيلاري كلينتون .

ففي منتصف إحدى الليالي وقبل ساعات من قيامها برحلة خارجية ، اتصلت هيلاري كلينتون بمكتب الخدمة في البيت الأبيض وطلبت ثلاث أنابيب من عقار اسمه «بليستيكس» ورد المسئول عن المكتب على السيدة الأولى بمنتهى الرقة قائلاً إن إدارة المخازن بالبيت الأبيض

لا توجد بها صيدلية .

لم ينطق الرجل حرفاً بعد ذلك.. فقد سمع ما لم يكن يتخيله وتكفي الإشارة إلى أنه هرع ليستقل سيارته الخاصة ويجوب أنحاء وشنطن بحثاً عن صيدلية خدمة ليلية ليشتري العقار المطلوب من ماله الخاص ورغم ذلك لم تشكره هيلاري ولم تدفع له ثمن العقار الذي اشتراه لها.

□□□

ويقول مؤلف الكتاب جاري الدريتش أن السيدة الرئيسة لا تستطيع السيطرة على سلوكها حتى وهي بين الأصدقاء . فقد كان أحد كبار الموظفين الدائمين في البيت الأبيض وهو من أقوى مؤيدي كلينتون يتمنى لقاءها وكان ذلك طبيعياً بحكم منصبه وذات يوم شاهد هيلاري تسير في أحد أروقة البيت الأبيض دون أن يبدو عليها أنها في عجلة من أمرها واعتقد الرجل أن الفرصة مواتية لكي يقوم بتحية السيدة الأولى .. وعندما اقتربت منه وخلفها أفراد الحرس ابتسم وقال لها : عمت صباحاً يا مستر كلينتون ، ولكن هيلاري نظرت إليه بازدراء أو من فوق لتحت كما يقولون مما جعله يشعر بالخجل الشديد خاصة وأنه عمل من قبل مع بربارة بوش ولم يتعرض أبداً لمثل هذا الموقف ... واكتفى الرجل بتأكيد حقيقة أن هيلاري كلينتون مختلفة تماماً عن بربارة بوش وغيرها من زوجات رؤساء أمريكا السابقين .

وبعد التعرض لهذا الموقف المحرج ، اقتربت زميلة من العاملات في البيت الأبيض من الرجل وقالت له أعتقد أنك لم تبلغ بالتعليمات الجديدة . وسألها أي تعليمات ؟! فقالت : لقد أصدرت الملكة هيلاري فرماناً بمنع أي شخص من النظر إليها أثناء سيرها داخل البيت الأبيض .

وقد أبلغني أحد المسئولين بالخدمة السرية في البيت الأبيض أن هيلاري كلينتون أمرتهم بعدم الاقتراب منها أثناء مرافقتها للحراسة وبألا تقل المسافة بينها وبين الحرس عن ١٢ ياردة أي حوالي عشرة أمتار . وكان تنفيذ هذه الأوامر صعباً بالنسبة لأفراد الحرس المكلفين بحماية السيدة الأولى ولكنها رفضت أي مناقشة لهذا الأمر وكان من الواضح أنها أيضاً تكن كراهية لرجال الحراسة . ومما يؤكد ذلك أن اثنين من أفراد الحرس سمعا تشيلس ابنة كلينتون تصف حرس الرئاسة الأمريكية بانهم «مجموعة من الخنازير المدربة» أثناء حديثها مع صديق لها .

وعندما انصرف هذا الصديق حاول أحد الحراس لوم تشيلس على هذا الوصف الذي أطلقته عليهم وقال لها إنه مستعد للتضحية بحياته من أجل حمايتها وأن والدها الرئيس كلينتون سيصاب بصدمة إذا علم بما قالته عن أفراد حرس الرئاسة .

وردت تشيلس قائلة «لا أعتقد ذلك لأن هذا هو الوصف الذي يطلقه أبي وأمي على أفراد الحراسة» !! والحقيقة أن ما ذكرته تشيلس لم يكن مفاجأة بالنسبة لي لأن جذور هيلاري كلينتون كانت عميقة وترجع إلى ما يسمى بفترة الثقافة المضادة في الستينيات حيث كان من الشائع وصف رجال الأمن بأنهم خنازير وقد علمت أن صورة هيلاري وهي طالبة جامعية ، قد ظهرت على غلاف مجلة تايم كنموذج للطالبة الراديكالية وفي عام ١٩٦٨ شاركت هيلاري في المؤتمر الوطني الديمقراطي بشيكاغو حيث قام «الطلبة الراديكاليون من أجل المجتمع الديمقراطي» «اس دي اس .S.D.S» وغيره من التنظيمات الطلابية بحملة أطلقوا عليها اسم «أيام الغضب» ورددوا خلالها هتافات تقول «الموت للخنازير» وألقوا أكياس القاذورات على رجال الشرطة .

وبعد أن تخرجت هيلاري رودهام من جامعة «ييل» الأمريكية عملت في اللجنة القضائية بمجلس الشيوخ الأمريكي مع برنارد ناوسيوم وكانت مهمتهما هي إعداد الاتهامات وأدلة الاتهام ضد الرئيس ريتشارد نيكسون .

وكان قائد هذه المهمة هو عضو الكونجرس توماس أونيل «تيب» الذي أصبح بعد ذلك رئيساً لمجلس النواب الأمريكي وقد أعد أونيل تقريراً من ٧١٨ صفحة لكي يؤكد الاتهامات ضد نيكسون وقد بني هذا التقرير علي الأبحاث والدراسات والتحقيقات التي كتبها الجهاز القضائي باللجنة التشريعية لمجلس النواب ، وقد ساعدت هذه الوثيقة على تقديم الأساس القانوني لكي تواصل اللجنة عملها وتصل في النهاية إلى شرائط التسجيل الخاصة بنيكسون ثم تفجر قضية «ووتر جيت» التي أطاحت بنيكسون من الرئاسة بتهمة التجسس على الحزب الديمقراطي الأمريكي .

وقد أكد توماس أونيل في مذكراته بعنوان «رجل مجلس النواب» أنه بدون هذا التقرير لكان مصير كل جهود إدانة نيكسون هو الانهيار وكان الفضل الأول والأخير في هذا العمل الهام لهيلاري رودهام وأستاذها وصديقها الشخصي برنارد ناوسيوم حيث بذلا جهوداً رهيبة

لإثبات إدانة نيكسون وكانت هيلاري تشير إلي نيكسون باسم «الشيطان» خاصة بالنسبة لسياساته رغم أنها أقسمت اليمين كمحامية في اللجنة التشريعية على أن تلتزم بالموضوعية ولا تلجأ للتجريح الشخصي .. ولكن السؤال الهام كان هو إلى أي مدى تستطيع هيلاري الالتزام بالموضوعية ؟ لقد عملت هيلاري قبل التخرج في مدرسة القانون بجامعة بيل مع صديقها بيل كلينتون في خدمة الحملة الانتخابية للسناتور ماكجفرن الذي كان مرشحاً للرئاسة وعندما انتصر نيكسون على ماكجفرن في الانتخابات كان هناك إصرار من جانب هيلاري على الانتقام ولذلك انتهزت الفرصة عندما لاحت لها بعد سنوات وعملت في اللجنة القانونية التي كانت مهمتها إدانة نيكسون .

وعندما وصلت هيلاري مع زوجها بيل كلينتون إلى البيت الأبيض أحضرت معها صديقها ومعلمها القديم برنارد ناوسبوم الذي شاركها في إعداد فضيحة ووترجيت لنيكسون لكي يكون أحد مستشاري البيت الأبيض . وقد ثبت أنهما تعلما شيئاً هاماً من تجربتهما السابقة وهو ما أكده توماس أونيل في قصة حياته عندما قال إن شرائط التسجيل التي احتفظ بها نيكسون كانت هي السكين التي ذبحته ولو كان نيكسون قد دمر هذه الشرائط لما استطاع أحد أن يثبت عليه أي تهمة ولظل رئيساً لأمريكا حتي نهاية فترة الرئاسة الثانية .

وقد بذلت هيلاري وناوسبوم جهداً هائلاً في عام ١٩٧٣ للحصول على تلك الشرائط . وبعد عشرين عاماً أي في عام ١٩٩٣ استخدم ناوسبوم خبرته عندما منع عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي من تفتيش مكتب فنسنت فوستر نائب مستشار الرئيس الأمريكي بعد انتحاره وتم إخفاء كل المستندات والوثائق من المكتب قبل أن تصل إليها سلطات الأمن حيث تم تكليف محام شاب من نيويورك بإخفاء هذه المستندات .

وربما كانت هذه الخبرة القانونية والعملية لدى هيلاري هي التي جعلت زوجها الرئيس كلينتون يترك لها حرية اختيار مجموعة المحامين التي تعمل معه ولم يكن لدي كلينتون أي شك في أن هيلاري قادرة على أداء هذه المهمة بل وقادرة أيضاً على إدارة الكثير من شئون الحكم نيابة عنه .

وذات يوم بينما كان زميلي دنيس ينتظر مقابلة ماك ماكلارتي رئيس هيئة العاملين في البيت الأبيض سمع اثنين من مساعديه يتحدثان عن هيلاري وسأل أحدهما زميله عن السبب

الذي يجعل السيدة الأولى تطلب أن تمر كل مراسلات ماكلارتي (الصادر والوارد) على مكتبها ؟

ورد عليه الآخر قائلاً : إنها تريد أن تعرف كل شيء عن ماكلارتي ما يكتبه وما يقرأه ومن يقابلهم حتي تسيطر تماماً على مكتب هيئة العاملين في البيت الأبيض .. إنها باختصار تحاول أن تكون زوجة الرئيس أيضاً رئيسة هيئة العاملين بالبيت الأبيض في نفس الوقت واختتم المساعدان حديثهما بتأكيد حقيقة أن هيلاري اعتادت الحصول على كل ما تريد ولم تتعود أبداً على الخسارة أو أن يجرؤ أحد على رفض طلب لها .

لقد جرى العرف على أن يكون أهم أدوار السيدة الأولى هو إدارة الشئون الداخلية في البيت الأبيض . ولكن مع تحولها إلى رئيسة لهيئة العاملين أو بمعنى أدق إلى شريك في الرئاسة لم تعد هيلاري كلينتون تدير فقط الشئون الداخلية للبيت الأبيض بل أصبحت أيضاً تدير شئون السياسة الداخلية للدولة كلها !

وقد تحقق ذلك لهيلاري من خلال بعض كبار المسئولين الذين عينتهم في البيت الأبيض مثل شريكيها في الشركة القانونية الخاصة بها وهما فنيس فوستر وبيل كيندي اللذين عينتهما في مكتب مستشار الرئيس الأمريكي وصديقتها الحميمة كارول راسكو التي أصبحت مديراً لمكتب السياسة الداخلية .

وإلى جانب ذلك ، كانت هيلاري كلينتون أيضاً هي المستشار الحقيقي للبيت الأبيض من الناحية العملية وكانت هي مدير شئون الأفراد بمؤسسة الرئاسة الأمريكية تختار من تشاء وتطيح بمن تشاء .

ولقد كان هناك بعض العاملين في البيت الأبيض الذين ارتبطوا بعلاقة مع الرئيس كلينتون مثل كاترين كرونليوس وفتاة أخرى من العاملات بالجناح الغربي وكلتاهما من ذوات البشرة الشقراء والشعر الأصفر ولكن بوجه عام ، كان الرئيس كلينتون حريصاً على عدم التدخل بشكل واضح في اختيار هيئة العمل والإدارة بالبيت الأبيض .

ولم يحدث أن لاحظت أي بوادر لوجود صراع على السلطة بين الرئيس الأمريكي والسيدة الأولى لسبب بسيط هو أنها احتفظت بكل السلطة والنفوذ ولم تترك لكلينتون سوى تلقي

اللوم على أي أخطاء تحدث .

لقد كان معظم العاملين بالبيت الأبيض مرتبطين بهيلاري كلينتون وفي أحيان كثيرة كانت هيلاري توافق على تعيين شخص جديد بعد أن تقابله بنفسها .

وقد ذكرت «المؤلفة اليزابيث درون» في كتابها بعنوان : «على الحافة» أن هيلاري كانت تحضر اختبارات اختيار العاملين الجدد وبنسبة وصلت إلى ٨٠ في المائة من هذه الاختبارات كما كانت هيلاري كلينتون أيضاً مسئولة عن القرارات المتعلقة بشئون العاملين والتي اتخذها فريق العمل الانتقالي عند استلام السلطة من إدارة الرئيس السابق جورج بوش .

وقد كانت هناك موافقة ضرورية يتعين على أي شخص الحصول عليها قبل أن يعمل في البيت الأبيض وهي موافقة هيلاري كلينتون وكانت هيلاري تفضل نوعية محددة من الأشخاص في مقدمتهم نساء الأقليات من صاحبات الشخصيات القوية والمصابات بالشذوذ الجنسي . أما بالنسبة للرجال فإن خياراتها تؤكد أيضاً ميلها لأفراد الأقليات ذوي الشخصيات الضعيفة وأيضاً المصابين الشذوذ الجنسي .

وكان من الواضح أن هيلاري عندما تريد تعيين شخص ما فإن الاعتبارات الشخصية لا تهمها كثيراً بمعنى أنها لا تتوقف عند أي عيب أو خلل في الشخصية حتى ولو كان يتعارض مع تولي هذا الشخص مسئولية خطيرة في مكان حساس مثل البيت الأبيض .

يقضي القانون الأمريكي بعمل تحريات موسعة وإعداد سجل شامل بواسطة مكتب التحقيقات الفيدرالي حول حياة أي شخص يعمل في البيت الأبيض باستثناء الرئيس الأمريكي ونائبه وأفراد أسرتيهما ..

ورغم ذلك فإن هذه الفئة المستثناة ربما تكون في بعض الأحيان هي التي تحتاج أكثر من غيرها لمثل هذا الإجراء .. لذلك ، قمت بإعداد سجل حول الرئيس كلينتون وزوجته هيلاري وهو السجل الذي كنت لن أتردد في تقديمه للرأي العام لو كان ذلك جزءاً من عملي في البيت الأبيض .

وقد جمعت كل المعلومات الواردة في هذا السجل أو الملف من الوثائق والكتب والصحف المجلات ومن خلال التحريات الشخصية التي قمت بها بعد تقاعدي من مكتب التحقيقات

الفيدرالي .. وأي إشارة إلى رفض كلينتون وزوجته الرد على أي سؤال أو الامتناع عن تقديم مستندات معناها أن وسائل الإعلام والأجهزة الشعبية الأخرى طالبت الرئيس بالرد على هذه النقطة ولكنه امتنع لسبب أو لاخر .

هذا التقرير يتناول بيل وهيلاري كلينتون اللذين يرغبان في العمل لحساب الحكومة الفيدرالية ويعتقدان أن لديهما المؤهلات اللازمة للعمل في البيت الأبيض ويستهدف التقرير وضع كل الحقائق أمام من بيده القرار بخصوص البت في هذه الرغبة .

□□□

الاسم الكامل لبيل كلينتون هو وليام جيفرسون بلايث كلينتون وهو ذكر أبيض اللون عمره ٤٩ عاماً ولد بولاية أركنصو وتخرج في المدرسة العليا في هوت سبرنجز عام ١٩٦٤ .. وفي عام ١٩٦٨ ، تخرج في جامعة جورج تاون ، وقد رفض تقديم أي معلومات حول فترة دراسته الجامعية التي قال إنه أكملها ولكنه رفض أن يقدم الشهادة التي تؤكد ذلك . وقد حصل على منحة للدراسة في جامعة أوكسفورد بانجلترا وتجدر الإشارة إلى أن هذه المنحة لا تعد دليلا على التفوق الدراسي حيث لم يكن هناك من ينافسه للحصول عليها . وقد درس في اكسفورد لمدة عام واحد ولم يحصل على أي شهادة ، وخلال هذه الفترة ، شارك كلينتون في مظاهرات احتجاج ضد بلاده الولايات المتحدة وضد حرب فيتنام ... ويقال إنه طرد من المدينة الجامعية في اكسفورد ، وقال زملاؤه إنه كان يستجدي منهم النقود ولم يكن يدفع نصيبه من الحساب في أي مكان يذهب إليه مع زملائه .. وقد سافر بعد ذلك إلى بعض بلدان أوروبا وآسيا دون أن يكون لديه أي مصدر معروف للدخل ولكنه كان يوصف بأنه شبه سفير لمنظمة يسارية في واشنطن . وكان هدفه من التواجد في اكسفورد هو حشد الطلاب للاحتجاج ضد السياسة الأمريكية .

وقد عاد كلينتون بعد ذلك إلى بيت والدته في أركنصو ثم درس القانون في جامعة «بيل» خلال الفترة من ١٩٧٠ وحتى ١٩٧٣ .

ويقال إن كلينتون يتمتع بذكاء خارق ولكن ليس هناك ما يؤكد ذلك كما أن التحريات تشير إلى وجود أساتذة ومعلمين سياسيين ساعدوه على مواجهة أي صعوبات ودخول المعاهد والجامعات المحترمة .

وبالنسبة للسلوك الشخصي ، فليست هناك وثائق متاحة توضح سلوك كلينتون خلال دراسته في جامعات جورج تاون وأوكسفورد وبيل ، ولكن المؤكد أنه كان طالباً محدود الموارد المالية ومن أسرة متواضعة .

ويصف جيران أسرة كلينتون الشاب بيل خلال إقامته مع والدته في أركنصو بأنه اجتماعي رغم إنه عانى من التفكك الأسري ووصف زوج أمه بأنه كان عدوانياً قاسياً ومدمناً للكحول وزير نساء .. ووصلت الأمور إلى حد أنه أطلق الرصاص ذات يوم على زوجته أم كلينتون ولكن الرصاصة أصابت السقف .

وبعد أن تزوج بيل كلينتون من هيلاري رودهام ، عاش معها فترة في شقة بالإيجار ، وبعد ذلك قضى معظم سنوات حياته حتى الآن في بيوت تقدمها له الحكومة حيث عمل كحاكم لولاية أركنصو لمدة ١٢ عاماً ، وانتقل بعد ذلك ليسكن في البيت الأبيض باعتباره رئيساً للولايات المتحدة حيث يتمتع مع أسرته أيضاً بالعديد من الخدمات المجانية الأخرى مثل الطعام والانتقالات .

□□□

أما بالنسبة لسيدة أمريكا الأولى هيلاري رودهام كلينتون فقد ولدت في ٢٦ أكتوبر ١٩٤٧ بشيكاغو حيث ظلت هناك حتى انتهت من المدرسة العليا وعرفت بذكائها الشديد وأيضاً بأسلوبها غير الملائم في الحديث وسلوكياتها التي كانت تدفع بمدرسيها إلى عقابها .

وذات يوم ، كان أحد المدرسين يذيع على الطلبة تسجيلاً للجنرال دوجلاس ماك أرثر فإذا بهيلاري كلينتون تسخر من الجنرال بطريقة غير مهذبة مما دفع المدرس إلى إنهاء الحصة ، وخلال دراستها الجامعية كانت هيلاري كلينتون طالبة مجدة رغم عدم وجود ما يؤكد أنها كانت نابغة أو متفوقة .. وقد رفضت هيلاري بشدة أن يرى أحد الشهادات أو التقارير الدراسية الخاصة بها وكانت هيلاري أيضاً زعيمة طلابية تقود التحركات الرامية للحصول على المزيد من الحقوق للطلبة دون أن يؤثر ذلك بالسلب على دراستها .

وخلال مظاهرات الطلبة الأمريكيين في الستينيات ، شاركت هيلاري في أعمال الشغب وتدمير الممتلكات واتهمت بأنها تعاملت بعنف مع رئيسة جامعة ويلسلي وقامت

يلوي ذراعها !!

وقد سخرت هيلاري بشدة من أحد أعضاء مجلس الشيوخ وهو سيناتور جمهوري أسـ أثناء إلقائه لخطاب وقاطعته بحدة فتدعمت شهرتها كطالبة مشاكسة وظهرت صورتها ع غلاف مجلة لايف الأمريكية التي وصفتها بأنها زعيمة الراديكالية والتطرف في الجامعة .

والتحقت هيلاري بعد ذلك بمدرسة القانون في جامعة «ييل» وشاركت في حملة الرئا الخاصة بالسيناتور جورج ماكجفرن وحصلت مقابل ذلك على امتيازات عديدة .

ويؤكد الكثيرون أن هيلاري كانت أكثر تفوقاً من كلينتون في هذه المرحلة . أما بالنسـ لأوضاعها المالية ، فقد كان من الواضح أن أسرتها مقتدرة مالياً .

وبالنسبة لطفولة هيلاري كلينتون ، يؤكد جيران الأسرة أنها لم تكن طفلة محبوبة فقـ كانت دائمة الشجار مع غيرها من الأطفال وكانت تشكو من أنهم يهاجمونها ويعتدون عليها وحتى هذه اللحظة ، ما زالت هيلاري كلينتون تتذكر طفولتها بغضب واستياء .

ولا شك أن كل ما يتردد عن ثورات غضب هيلاري وانفجاراتها المتعددة في وجوه م يتعاملون معها حتى الآن وشخصيتها المسيطرة المستبدة ترجع كلها إلى مرحلة طفولتها يستدعي إجراء المزيد من الدراسة لشخصيتها بواسطة طبيب نفسي .

□□□

لقد عمل كلينتون بالسياسة لسنوات طوال ومنذ شبابه المبكر ، وحتى قبل أن يعمل فـ حملة انتخابات الرئاسة للسيناتور جورج ماكجفرن والتي وصفت بأنها كانت حملة ضعيـ وقيل إن كلينتون شخصياً مسئول عن خسارة السيناتور ماكجفرن للكثير من الأصوات . و عمل كلينتون في مرحلة من حياته سائقاً لسيارة في إحدى الحملات الانتخابية ، ولكنه طـ من عمله لعدم مهارته في القيادة وعدم انتظام مواعيده وركنه للسيارة في الممنوع بشكـ متكرر مما سبب الكثير من المتاعب للمرشح الذي كان يعمل معه .

وخلال عمله بالسياسة ، دعى كلينتون ذات يوم لحضور حفل غداء مع السيناتور ولـ فولبرايت ولكنه ذهب إلى الحفل بملابس غير لائقة لدرجة أن السيناتور رفض السماح له بتنا الطعام معه ومنعه من الدخول .

وقد انتخب كلينتون لمنصب المدعي العام لولاية أركنصو في عام ١٩٧٦ ثم انتخب حاكماً
ِلاية في عام ١٩٧٨ حيث تضاربت الآراء في قدراته بين الإشادة والإدانة .

وتشير الوثائق وأقوال الشهود إلى أن كلينتون استغل منصبه لتحقيق أغراض شخصية كما
تخدم الموظفين الحكوميين لمساعدته في ترتيب علاقاته الجنسية غير المشروعة .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد تردد أن كلينتون كان يكافئ عشيقاته على خدماتهن بمنحهن
اصب حكومية ومن أكبر القضايا التي أثيرت بهذا الشأن ما تردد من أن كلينتون قد تحرش
يدة شابة ، وعندما رفضت الاستجابة له عرى نفسه أمامها !! وقد رفعت هذه السيدة قضية
ده واتهمته بالتحرش بها جنسياً .

وقد ترددت شائعات عديدة حاولت أن تربط بين كلينتون والمخدرات ليس فقط من خلال
عاطي بل أيضاً من خلال عمليات الاتجار في ولاية أركنصو والدليل الوحيد المتاح حتى الآن
ى هذه الشائعات هو أصدقاء ومساعدو كلينتون الذين انتحروا أو قتلوا في حوادث خلال
١ عاماً قضاها كحاكم لأركنصو . وهناك دليل آخر على ذلك هو الأخ غير الشقيق لكلينتون
يضاً دان لازاتار وهو من أقرب أصدقاء كلينتون . وقد اتهم الاثنان بالتورط في قضايا
فدرات وهيروين ... وقد ترك كلينتون وراءه عداوات لا حصر لها في أركنصو .. وعندما
ب منه تفسير ذلك قال إنه لا يعرف وإن موقف الآخرين منه لا يخرج عن أحد خيارين فهم
ا يكرهونه أو يحبونه ورغم عدم توجيه أي اتهام رسمي لكلينتون خلال فترة عمله كحاكم
لاية أركنصو إلا أن هناك مؤشرات عديدة تشير إلى تورطه في تجاوزات مالية .. ولكن
قيقة أنها كانت كلها من خلال زوجته هيلاري حيث كان خطأ كلينتون الأساسي هو الموقف
سلبي الذي اتخذه إزاء تجاوزات زوجته .

□□□

أما بالنسبة لهيلاري ، فإن أبرز نقطة في حياتها العملية السابقة هي عضويتها للجنة التي
انت الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون .. بعد ذلك انتقلت إلى ليتل روك حيث تزوجت من
ل كلينتون وعملت في إحدى شركات الاستشارات القانونية ، وعندما انتخب زوجها حاكماً
لاية أركنصو أصبحت شريكة في هذه الشركة التي ارتبط اسمها بالفضيحة الشهيرة المعروفة
سم «وايت وتر» وقد اختيرت هيلاري كواحدة من أحسن مائة محام في الولايات المتحدة

حيث اشتهرت بمواهبها القانونية ومهاراتها الشخصية في الفوز بالقضايا ولكن تردد اسمها في الفضائح المالية جعل الشكوك تحيط بها وبشركتها ... وقد عين الرئيس الأسبق جيمي كارتر هيلاري مديرة لشركة الخدمات القانونية في عام ١٩٧٨ وهي الشركة التي اتهمت بتقديم منح غير مشروعة والقيام بأنشطة مريبة لدعم قضايا سياسية معينة باستخدام أموال دافعي الضرائب .

وبالإضافة إلى كل ذلك ، هناك اتهامات عديدة لهيلاري بسوء الإدارة وانعدام الكفاءة خاصة بعد تولي زوجها منصب الرئيس الأمريكي وهي اتهامات لا تقل خطورة عن التجاوزات الأخلاقية والأمنية التي ارتكبها آل كلينتون في البيت الأبيض .

□□□

ومن وجهة نظر عميل محترف لمكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي ، فإن الاتهامات التي يمكن توجيهها للرئيس الأمريكي بيل كلينتون وزوجته هيلاري تشمل :

١ - تهديد الأمن القومي الأمريكي وذلك من خلال :

- تفكيك نظام الأمن في البيت الأبيض للسماح للمئات من الأصدقاء والمحاسيب ذوي الماضي غير المشرف بالعمل في مقر الرئاسة الأمريكية .
- التآمر لتخريب فعالية أجهزة الأمن والخدمة السرية بشكل يعرض حياة الرئيس الأمريكي والعاملين معه للخطر .
- إساءة استغلال بعض الوكالات الفيدرالية من خلال تكليفها بأعمال بعيدة عن مهامها .
- تهديد الأمن القومي الأمريكي من خلال السماح للأصدقاء والمساعدين بالاطلاع على أخطر الوثائق والمستندات .
- الارتباط في علاقات مع منظمات إرهابية عالمية من خلال صداقة كلينتون وهيلاري لأشخاص مثل جيري أدمز زعيم الجناح السياسي لمنظمة الجيش الجمهوري الأيرلندي..

٢ - إساءة استغلال السلطة وعرقلة سير العدالة وانتهاك قواعد الأخلاق وذلك من خلال :

- التستر على الفضائح الجنسية للمساعدين واستخدام الأموال الحكومية في ترضية الضحايا .
- عرقلة سير العدالة بمنع أجهزة الأمن من التحقيق في ظروف موت فينس فوستر أحد كبار مساعدي كلينتون .
- إجبار الوكالات الحكومية الأمريكية على تعيين الأصدقاء في مناصب مهمة .
- تقديم بيانات كاذبة عن موقفهما المالي وعدم سداد الضرائب الفيدرالية الحقيقية .
- عدم محاسبة نائب الرئيس الأمريكي على قبوله هدايا شخصية من إحدى الشركات قيمتها ٨٣٦٥ دولاراً .
- محاولة التدخل والتأثير على التحقيقات في قضية وايت ووتر .
- سوء السلوك واستغلال السلطة .

٣ - سوء الإدارة والأخطاء التنفيذية في البيت الأبيض وتشمل :

- تآمر كلينتون وهيلاري لاقتسام الرئاسة الأمريكية بينهما بطريقة غير دستورية ، فقد تولت هيلاري سلطات رئاسية رغم أنها لم تنتخب لأي منصب .
- عجز كلينتون وزوجته هيلاري عن السيطرة على سلوكيات معاونيهما على كل المستويات في البيت الأبيض مما أدى إلى انتشار الفوضى وسوء السلوك كما تم اضطهاد العاملين الدائمين في البيت الأبيض رغم كفاءتهم بهدف إيجاد مناصب شاغرة لأصدقاء ومعارف عائلة كلينتون ..

□□□

ولقد كشف جاري الدريتش عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي في البيت الأبيض الكثير من الأخطاء والتجاوزات التي شهدها «مقر الرئاسة الأمريكية» بعد تولي بيل كلينتون السلطة في واشنطن ، ودخوله إلى البيت الأبيض مع زوجته هيلاري .. وتناول الدريتش في كتابه «حرية الدخول» السلبيات التي عايشها بنفسه في البيت الأبيض قبل أن يتقاعد ، وخاصة

اعتماد كلينتون على أهل الثقة من أصدقائه الذين عينهم في أهم المناصب بدلاً من أهل الخبرة.. ما أدى إلى تدهور الأوضاع في مؤسسة الرئاسة الأمريكية بشكل لم يسبق له مثيل .

وفي هذا ، يعقد جاري الدريتش مقارنة ذات مغزى بين كلينتون ومن سبقوه من الرؤساء الأمريكيين .. وهي مقارنة لم تكن في صالح كلينتون بأية حال من الأحوال ..

أثناء فترة تدريبي في الأكاديمية التابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي بولاية فرجينيا ، كان جميع المدرسين والمعلمين يحذروننا من إساءة استغلال السلطة الممنوحة لنا .. فقد كان من سلطتنا أن نعتقل وأن نطلق الرصاص ومعنا تصريح بالقتل بالإضافة إلى سلطة بلا حدود لعمل تحريات حول ماضي وحاضر أي شخص رغم أن مجرد قيام مكتب التحقيقات الفيدرالي بعمل تحريات حول شخص ما قد يكون كافياً لتدميره على المستويات الشخصية والمهنية والمالية .

ولا شك أن رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي يدركون حجم وخطورة السلطات الهائلة الممنوحة لهم ولذلك فهم يستخدمونها بحرص شديد وحكمة .

وإذا تخطينا أن الرئيس الأمريكي بنفسه اتهم شخصياً بارتكاب جريمة وطلب من مكتب التحقيقات الفيدرالي أن يحقق في هذه الجريمة ، فمن المؤكد أن مجرد هذا التحقيق سيكون كارثة على المتهم حتى ولو ثبتت براءته وقد كان هذا هو ما حدث مع سبعة أبرياء في مكتب الاتصالات والسفريات بالبيت الأبيض ، حيث تعرضوا لاتهامات من جانب كلينتون وزوجته بهدف إقالتهم وتعيين المحاسيب والأصدقاء في أماكنهم ومن بين هؤلاء كان بيل دال الذي كان يعمل لضمان تسهيل خروج الأمتعة والحقائب الخاصة بالوفد الإعلامي المرافق بسرعة ودون أي تأخير .

وكان بيل دال يخشى من احتمال أن تتأخر معدات وأجهزة رجال الإعلام في جمارك الدول الأجنبية بالشكل الذي يحول دون تمكنهم من تسجيل لحظة توقيع الرئيس الأمريكي على اتفاق تاريخي أو استقباله لشخصية مهمة .

والحقيقة أني لا أعرف لماذا لم تترك مسئولية هذا الأمر لرجال الإعلام ليقوموا بحلها بأنفسهم بدلاً من تدخل مسئولي مكتب الاتصال بالبيت الأبيض !! وربما كان هذا هو السبب

الذي دفع الكثيرين من الصحفيين ورجال الإعلام إلى الإدلاء بشهادتهم لصالح بيلي دال لأنهم كانوا يعرفون حقيقة ما يفعله ويشعرون بالأسف من أجله . وقد كان هذا هو شعور الكثيرين الذي كانوا على ثقة من أن كلينتون وزوجته هيلاري يوجهان الاتهامات للعاملين في بعض مكاتب البيت الزبيض لأنهما بحاجة للمواقع التي يشغلها هؤلاء العاملون من أجل تعيين المحاسيب فيها . وقد اعترفت هيلاري كلينتون نفسها بأن العاصفة التي هبت على مكتب السفريات بالبيت الأبيض وأطاحت بالكثيرين من العاملين في هذا المكتب كان هدفها إخلاء بعض المناصب من شاغليها . والحق أن العاملين في مكتب السفريات كانوا على درجة عالية من الكفاءة الخبرة ، والأهم من ذلك أنهم كانوا على علاقة طيبة بالصحافة ووسائل الإعلام حيث كانوا يتعاملون مع الصحفيين المرافقين للرئيس في رحلاته الخارجية بكل الاهتمام والعناية ويقومون بتنظيم رحلاتهم بالطائرات وكأنهم من كبار المسئولين المعاونين للرئيس الأمريكي . وكان مكتب السفريات بالبيت الأبيض يتدخل لحل أي مشكلة يواجهها أي صحفي مرافق للرئيس في رحلاته الخارجية .

وقد أبلغني كريج إيفنجستون مدير الأمن في البيت الأبيض أنه اعترض على قرار كلينتون وزوجته هيلاري بتكليف مكتب التحقيقات الفيدرالي بعمل تحريات حول شائعات تتردد عن حدوث تجاوزات وأخطاء في مكتب السفريات بالبيت الأبيض .. حيث لم تكن هناك جرائم كبرى مثل الاختلاس أو فساد الإدارة رغم أن مثل هذه الجرائم رددها البيت الأبيض في وقت لاحق كمبرر لإقالة سبعة من العاملين في مكتب السفريات .

ووصف ليفنجستون فكرة إقحام مكتب التحقيقات الفيدرالي في هذا الموضوع بأنها فكرة حمقاء . وكان الجميع يشعرون أن هناك خطة وضعها كلينتون وهيلاري للإطاحة بسبعة من العاملين في مكتب السفريات وكانت هذه الخطة تقضي بإقحام مكتب التحقيقات الفيدرالي لعمل تحريات حول جرائم مزعومة وأعمال غير مشروعة ارتكبت خلال حكم الرئيسين رونالد ريجان وجورج بوش .

وبعد ذلك يتم التخلص من بعض العاملين في المكتب وبالتالي تحصل هيلاري كلينتون على المناصب والوظائف الخالية ، التي تحتاجها لأصدقائها ، دون أن تكون هناك أي فرصة للاحتجاج أمام من يتم طردهم من وظائفهم .

وإلى جانب ذلك فلم يكن هناك من هو مستعد للدفاع عن سمعة موظفين متهمين بارتكاب جرائم حقق فيها مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي .

وقبل أن يصل كلينتون إلى السلطة ، كانت التحقيقات في أي تجاوزات محتملة من جانب العاملين في البيت الأبيض تتم وسط مناخ من السرية وبواسطة جهاز المخابرات . وقد رفض كلينتون وزوجته هيلاري أن تتولى المخابرات التحقيق مع بيلي دال وغيره من العاملين في مكتب السفريات بالبيت الأبيض لسبب بسيط هو أن رجال المخابرات والخدمة السرية يعرفون جيداً جميع العاملين في مكتب السفريات ويدركون أنهم يمارسون عملهم بشكل محترم ، وبالتالي فإن فرص التشويش على سمعة هؤلاء العاملين ستكون محدودة على عكس الوضع إذا تدخل مكتب التحقيقات الفيدرالي في القضية لأن مجرد تدخله المعلن سيحمل معنى الإدانة قبل صدور أي حكم نهائي .

هكذا يشير الدريتش إلى أن سلوك كلينتون وزوجته هيلاري ومساعديه في هذه النقطة بالتحديد كان أشبه بسلوك العصابات التي تلفق التهم للشرفاء لتحقيق أهدافها دون وازع من ضمير أو أخلاق .. كانت التهمة الأساسية الموجهة لبيلي دال هي أنه وضع بعض الأموال المخصصة لنفقات الوفود الصحفية التي ترافق الرئيس كلينتون في رحلاته الخارجية في حسابه الخاص بأحد البنوك . وكان دفاع بيلي دال هو أنه لجأ إلى ذلك لتسهيل صرف هذه الأموال في أي وقت دون المرور بأية خطوات بيروقراطية ، باختصار اتهمت الحكومة بيلي دال باختلاس مبلغ ٥٠ ألف دولار .

وقد جرت محاكمة بيلي دال في خريف عام ١٩٩٥ بعد ٣٠ شهراً من التحقيقات والتحريات وكنت على ثقة من أن بيلي إنسان شريف . وقد تأكدت من ذلك ، عندما التقيت بأحد أقاربه في المحكمة وحكى لي هذا القريب قصة لا تترك مجالا لأي شك في نزاهة بيلي دال فقد كان بيل يقوم بزيارة لهذا القريب ومعه أطفاله ، وعندما حان موعد العشاء فكر الجميع في تناول وجبة من فطائر البيتزا وطلب بيلي دال له ولأطفاله بيتزا بالجبنة وقال إن أطفاله يحبونها ولكن عند وصول الفطائر فوجئ الجميع بأن أطفال بيلي يلتهمون البيتزا باللحم ولا يأكلون بيتزا بالجبنة .

وسأل القريب بيلي دال عن سبب قوله إن أطفاله يحبون البيتزا بالجبنة رغم أن ذلك غير

صحيح فقال بيلي الحقيقة وهي أنه لا يحضر لأطفاله عادة البيتزا باللحم لأن ثمنها يزيد دولارين عن ثمن بيتزا الجبنة ! ومن الواضح أن رجلاً يسلك هذا السلك لا يمكن أن يكون مختلساً أو لصاً حتى لو اتهمه كلينتون بذلك .

لذلك لم يكن غريباً أن يصدر المحلفون خلال جلسة واحدة استغرقت ساعتين ببراءة بيلي دال من كل الاتهامات الموجهة إليه .

□□□

في صيف ١٩٩٣ وبعد حوالي ثلاث سنوات من دخول البيت الأبيض توجهت إلى رئيسي في العمل وألقيت على مكتبه بالكارنيه الخاص بي وقلت له إني سئمت العمل في البيت الأبيض أريد النقل من هذا المكان . وكنت أول عميل لمكتب التحقيقات الفيدرالي يعمل في مقر الرئيس الأمريكي ويطلب نقله . فقد كان لدي إحساس عميق بأني يجب أن أبتعد عن هذا المكان حتى لا أصبح في يوم من الأيام ضحية جديدة لبيل كلينتون وزوجته هيلاري وحتى لا أتحول إلى مجرد أداة يستخدمها كلينتون وزوجته في قهر الأبرياء وتغطية الأخطاء .

ورغم ذلك رفض مكتب التحقيقات الفيدرالي طلبي بالنقل من البيت الأبيض . ولكن تم تعديل مهامي بحيث لا أكون مسئولاً عن عمل تحريات حول الموظفين الجدد الذين أحضرهم كلينتون بل أصبحت مهمتي تنحصر في متابعة سجلات العاملين الدائمين بالبيت الأبيض . وقد كان هذا العمل يلائمني تماماً بل ويبعث السرور في نفسي .

وذات يوم التقيت بشخص يدعي بيلي بيرت شادوكس وهو ضابط سابق بالبحرية ويعمل الان مصوراً بالبيت الأبيض وكان يشعر بالاستياء الشديد من التدهور الذي لحق بمقر الرئاسة الأمريكية مع وصول بيل كلينتون .

وقد أبلغني شادوكس أنه استدعي للعمل في البيت الأبيض بعد الانتخابات - أي انتخاب كلينتون - لكي يقوم بتنظيم قسم التصوير . وقال إن البيت الأبيض تحول إلى فوضى في عهد كلينتون بشكل لم يسبق له مثيل فأصدقاء كلينتون وهيلاري الذين تولوا وظائف المساعدين والمعاونين لا يدركون حساسية المكان الذي يعملون فيه ولا يبدون أي احترام لأي شيء بما في ذلك الرئيس الأمريكي نفسه الذي ينادونه باسم الدلع «بيل» وهم أقرب لمجموعة من الهيبيز

منهم للموظفين المحترمين في مكان هام مثل البيت الأبيض .

وقال شادوكس إنه حاول أكثر من مرة أن يشرح لهم معنى عملهم في مقر الرئيس الأمريكي وما يفرضه عليهم ذلك من سلوكيات وأخلاقيات دون جدوى وكان مساعدو كلينتون يكلفون مصوري البيت الأبيض بمهام خاصة مثل تصوير حفلاتهم وأعياد ميلادهم رغم أن مصوري البيت الأبيض يحصلون على أجورهم ومرتباتهم من الحكومة ومن أموال دافعي الضرائب وكان أقل ما يوصف به ذلك هو إساءة استعمال السلطة وإهدار الأموال العامة واستخدام موظف الحكومة وكاميرات الحكومة وأفلام الحكومة في تصوير أصدقائهم وأقاربهم.

وتحدث لي شادوكس عن خبرته في العمل كمصور مع رؤساء سابقين من أمثال جونسون ونيكسون وفورد وكارتر وريجان وقال إنه كانت هناك اختلافات عديدة بين كل هؤلاء الرؤساء، ولكن كان هناك شيء واحد يتفقون فيه جميعاً وهو احترام البيت الأبيض وتوقير الرئاسة الأمريكية .

أما بالنسبة لكلينتون نفسه ، فهو يعشق تشبيه نفسه بالرئيس الأسبق جون كنيدي رغم الحقائق التي تؤكد عدم وجود أي تشابه بينه وبين كينيدي .

والحقيقة أن كلينتون أقرب للرئيس السابق ليندون جونسون منه لأي رئيس أمريكي آخر فقد كان جونسون هو أوقح رؤساء أمريكا . وكان زير نساء كما كان يذهب إلى بيوت أصدقائه للعب البوكر بل كان يلتقي بصديقات من النساء في مواعيد غرامية .

نعم كان جونسون إنساناً فجاً للغاية فلم يكن هناك شيء يمكن أن يكبح جماح نزواته أو يقيد غرائزه ولم يكن يهتم أين هو ؟ أو من سيراه ؟ عندما يقرر الترفيه عن نفسه وقضاء أوقات من المتعة ، وقد ذكر لي أفراد الخدمة السرية الذين عملوا مع جونسون أنه في بعض الأحيان كان يشعر بالرغبة في التبول أثناء سيره في طرقات البيت الأبيض وفي هذه الحالة لم يكن ينتظر عودته لمكتبه البيضاوي لكي يلبي نداء الطبيعة بل كان يتبول فوق الأعشاب الخضراء بالحديقة الوردية دون أن يجد أدنى حرج في ذلك .

وأكد لي أحد الحراس أن جونسون كان يودع بعض الضيوف ذات يوم عند بوابة مقر الرئاسة وبمجرد أن تحركت بهم السيارة اندفع إلى أحد الأركان ليتبول وكانت الرياح شديدة لدرجة أنها

دفعت بالمياه لتغرق أقدام أحد الحراس المرافقين له الذي قفز بعيداً وهو يصرخ قائلاً : «سيدي الرئيس لقد تبولت على قدمي» ورد جونسون علي حارسه قائلاً |: «لا تقلق يا بني فهذا شرف لك ربما يجعلك تدخل التاريخ» !!

وقد أكد لي شادوكس الذي عمل مصوراً مع ليندون جونسون أن جونسون كان مدمناً للخمر وأنه كان يحتفظ بالخمور في مكان خاص بالمكتب البيضاوي الخاص بالرئيس الأمريكي وكان لدى جونسون جرسون فلبيني يشرف على تقديم الخمر له ، وكانت لدى هذا الجرسون تعليمات مشددة من جونسون بألا يقدم له أكثر من كأسين من الخمر وبأن يرفض أوامره إذا طلب منه أكثر من ذلك مهما كانت الظروف حيث كان يغلق البار الصغير الذي توضع فيه زجاجات الخمر ويضع مفتاحه في سلسلة حول رقبته .

وقد أكد شادوكس أن كلينتون ربما لا يكون مدمناً للخمر ولكن ذلك الاحمرار الدائم لخديه لا يمكن أن يكون سببه الوحيد هو إصابته بحساسية ولذلك يؤكد الكثيرون أن وجه كلينتون يمثل نموذجاً كلاسيكياً لوجه الرجل السكير أو مدمن الخمر .

وقد تذكرت الكثيرين من مساعدي كلينتون الذين التقيت بهم وكانوا من مدمني الخمر بل وكان الكثيرون منهم أصحاب تجارب عميقة وعريقة في عالم المخدرات .

ففي شهر مارس ١٩٩٣ ، توجهت لمقابلة أحد معاوني الرئيس كلينتون ويدعى مايك لافرانو وكان مسئولاً عن ترتيب مواعيد الرئيس . وقد لاحظت أن مكتبه نموذجاً مثالياً لمكاتب مساعدي كلينتون . فقد كانت الجدران عارية وقبيحة .. وهناك صناديق تنتشر في المكان بشكل عشوائي ، وعلى المكتب كانت هناك خوذة من النوع الذي يستخدمه راكبو الموتوسيكلات وبجانبه بعض الفناجين والأكواب وبها بقايا القهوة والشاي باختصار ، كان المكان كله أقرب لغرفة طالب جامعي مهمل منه لمكتب موظف مسئول في مكان هام ومحترم مثل البيت الأبيض .

وقد تحدث مايك لافرانو كثيراً ولكن لاحظت أن كلماته بدون أي معنى لدرجة أني تصورت أنه شخص مخبول ولكن اكتشفت أنه لا يتحدث إليّ بل إلى شخص آخر عبر جهاز يضعه على رأسه مثل السماعات التي يضعها موظفو التليفونات . وهممت بالانصراف ولكنه أشار إليّ طالباً مني الانتظار .

واستمر لقائي به فترة قصيرة وعلمت خلاله أنه من أصدقاء كلينتون وهيلاري . وقد عمل

في البيت الأبيض بناءً على طلبهما . وبعد فترة من هذا اللقاء اتصل بي لافرانو وطلب مـ
الحضور إلى مكتبه حيث سألني سؤالاً غريباً حول المعايير التي يجب أن تتوافر في العامل
بالبيت الأبيض وعندما حاولت الإجابة قاطعني قائلاً : «أؤكد لك أنه لا توجد أي معايير
فقد التقيت بأشخاص كثيرين هنا أعرف كل شيء عن حياتهم لدرجة تجعلني أتعجب من مجر
السماح لهم بدخول البيت الأبيض» .

وقد كان هذا الرجل صادقاً في إحساسه لأني في أحيان كثيرة كنت أرغب في الخروج مـ
البيت الأبيض لكي أتمكن من استنشاق بعض الهواء النظيف .

وقد عمق من هذا الشعور بداخلي ما حصلت عليه من معلومات حول فريق العاملين مـ
كلينتون وهيلاري وكانت النقطة المشتركة بينهم جميعاً هي تورطهم في تعاطي الخمـو
والمخدرات خلال مراحل مختلفة من حياتهم .

□□□

ولأن بيل كلينتون ما زال رئيساً للولايات المتحدة فإن تاريخه الجنسي خلال سنوات رئاسته
- من يناير ١٩٩٣ حتى الآن - لم يكتب بعد ، وبالتالي فإن المعروف فقط هو علاقاته
الجنسية قبل أن يصل إلى البيت الأبيض .

وقد ولد كلينتون في أركانصو عام ١٩٤٦ وظهر ميله للسياسة مبكراً خاصة بعد أن زا
البيت الأبيض وهو طالب في الثالثة عشرة من عمره ، وكان معجباً بشخصية كيندي ، ولذلك
وضع نفسه في هذا الإطار .

وقد درس كلينتون في اكسفورد ببريطانيا ، والتقى بـ «هيلاري رودام» - زوجته - لأول
مرة في مدرسة «بيل» للقانون وتبادلا الإعجاب من أول لقاء .. وفي عام ١٩٧٤ ذهبت
هيلاري إلى أركانصو لتدير حملته الانتخابية لعضوية الكونجرس ، وبينما كانت تؤدي عملها
بكل إخلاص كان هو قد أنشأ علاقة جنسية مع إحدى العاملات بالحملة .

وتزوج كلينتون من هيلاري في العام التالي ، ووقفت إلى جانبه وهو حاكم لأركانصو لست
فترات متوالية .

ولم يكن كلينتون معروفاً على المستوى القومي كثيراً ، عندما قرر خوض انتخابات الرئاسة
عام ١٩٩٢ عن الديمقراطيين ، لكن مظهره العام الذي يذكر الأمريكيين بكيندي الذي أحبه

دفعه للأمام .

لكن ترشيحه للرئاسة دفع الصحف إلى فتح ملفه الجنسي ، وكانت صحيفة «النجم» المتخصصة في الفضائح سباقة إلي نشر أول فضيحة ، عندما صدرت بمانشيت في صدر صفحتها الأولى يقول : كلينتون يخدع ملكة جمال أمريكا ، وذكرت الصحيفة اسماء خمس نساء ، بينهن ملكة جمال سابقة ، قالت إن كلينتون كان على علاقة بهن .

ثم ظهرت جينفر فلاورز ، مغنية النوادي الليلية في ليتل روك بأركانصو لتعلن أنها كانت عشيقة لكلينتون لمدة ١٢ سنة ، وتضيف في مؤتمر صحفي : مارسنا الجنس معاً في كل مكان، على الأرض ، وفي السرير وفي المطبخ وفي المكتب .

وأدت هذه الفضيحة إلى تحويل اتجاه حملة كلينتون الانتخابي لفترة ، وفي مؤتمر صحفي له خلال الحملة ترك الصحفيون الحاضرون مناقشة مواقفه من القضايا الداخلية والخارجية إلي توجيه أسئلة من نوع آخر تماماً مثل : هل يستخدم كلينتون العازل الطبي ؟!

لكن كلينتون استطاع بمهارة أن يجد طريقاً وسط هذه السحب ، فقد استطاع مساعدوه أن يرتبوا له لقاء في تليفزيون «سي . بي اس» في وقت يعتبر ذروة المشاهدة ، وظهر كلينتون على الشاشة وبجواره هيلاري ، واعترف أن زواجهما واجه مشاكل طارئة . لكنه قال : إن كل شيء وراء ظهره الآن .

وعندما سئلت هيلاري في البرنامج إن كانت هذه المشاكل تعني الخيانة الزوجية ، ردت في برود : إن أي زوجين مضى على زواجهما وقت طويل يعرفان ماذا تعني .

ونجح كلينتون وأصبح رئيساً للولايات المتحدة ، رغم هذه الفضيحة .. ورغم أشياء أخرى لاحقته خلال الحملة ، مثل اعترافه بأنه دخن الماريجوانا ، وإن لم ينتهك القوانين الأمريكية لأن ذلك حدث خلال دراسته في بريطانيا ، ومثل رفضه الذهاب إلي فيتنام .

لكن الدعاوى الجنسية لم تتوقف ضد كلينتون فقد شهد اثنان من حراسه من أركانصو ، عندما كان حاكماً لها بأنه كان يستضيف النساء في مقره في أوقات غياب زوجته وأنه لم يكن يترك أي فرصة تتاح له لممارسة العلاقات غير الشرعية .

وكشفت شهادة الرجلين أن من بين من مارس معهن كلينتون هذه العلاقات ، زوجة أحد القضاة وصحفية محلية ، وموظفة سابقة بالإدارة ، وكاتبة مبيعات في أحد المحلات ، ومومس

سوداء اسمها بوبي آن ويليامز قالت إن كلينتون هو والد طفلها ، وإنها حملت به في مرة من بين ١٣ لقاء لها مع كلينتون .

ثم ظهرت سالي بيردو ، وهي ملكة جمال سابقة لأركانصو لتقول إنها كانت على علاقة بكلينتون عام ١٩٨٣ عندما كانت تعمل مذيعة في ليتل روك ، وإنه بعد أن أنهى العلاقة ، عرض عليها عملاً يدر عليها دخلاً ٤٠ ألف دولار في السنة حتى تلتزم الصمت ، وإنه بعث إليها بأحد المسئولين من الحزب الديمقراطي ليهددها بأنها إن لم تتصرف بتعقل فسوف يكسرون رجليها .

واتسعت القائمة لتشمل كوني هامزي ، من فرقة الروك التي قالت إن أحد مساعدي كلينتون رتب لها لقاء معه ، وجو جينكنز المديرة بشركة الكهرباء التي أثبتت التسجيلات التليفونية لكينتون ، أنه حادثها في يوم واحد ١١ مرة .

وأخيراً جاءت باولا جونز ، التي اتهمت كلينتون بالتحرش بها جنسياً عندما كانت تعمل في أحد المؤتمرات بأركانصو ، فقد أخبرها أحد مساعدي كلينتون بأنها مطلوبة لأمر مهم في غرفة الحاكم بالفندق ، وعندما ذهبت وجدت كلينتون ، الذي أغلق وراءها الباب وبدأ التحرش بها .

وجاء آخر تطور في ملف فضائح كلينتون الجنسية عندما حكمت المحكمة الأمريكية العليا بإجماع قضاتها التسعة برفض الاستشكالين اللذين تقدم بهما محامو كلينتون في قضية باولا جونز .. وكان الاستشكال الأول يقوم على أساس وجوب مد الحصانة للرئيس الأمريكي طوال فترة رئاسته بينما كان الاستشكال الثاني يستند إلى قانون الفصل بين السلطات وعدم التداخل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية الأمر الذي قد يحدث في حالة مثول الرئيس أمام المحكمة ..

وهكذا ، أصبح من حق باولا جونز أن تواصل قضية التحرش الجنسي ضد كلينتون بعد توقف استمر حوالي ثلاث سنوات وجاء في الحكم أن بيل كلينتون مواطن عادي لا يتمتع بأي وضع خاص أمام القانون والقضاء والعدالة ..

□○□

٥

من المسئول عن الفساد في واشنطن ؟!

إن الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية السائدة في الولايات المتحدة خلال التسعينات هي بكل تأكيد نتاج لمراحل سابقة تطور خلالها المجتمع الأمريكي ليصل إلى الشكل الذي أصبح عليه في التسعينيات .

ولاشك أن إلقاء اللوم كله على شخص واحد يعد موقفاً لا يمكن وصفه بالموضوعية .. فمهما كانت التركيبة الشخصية للرئيس الأمريكي الحالي بيل كلينتون ، ومهما كانت نوعية المساعدين الذين استعان بهم وتوجهاته إلا أن الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية السائدة في الولايات المتحدة خلال فترة التسعينيات هي بكل تأكيد نتاج لمراحل سابقة تطور خلالها المجتمع الأمريكي ليصل إلي الشكل الذي أصبح عليه في هذه الفترة ..

ويكتسب هذا الرأي أهمية أكبر في ضوء حقيقة أن الولايات المتحدة ليست من بلدان العالم الثالث التي يستطيع زعيمها أن يغير كل شيء فيها بسهولة وفقاً لمعتقداته وقناعاته الشخصية .. ولذلك فليس بوسع الرئيس الأمريكي أن يغير اتجاه مجتمعه مائة وثمانين درجة ولكن أقصى ما يستطيعه هو أن يتيح الفرصة للأفكار والممارسات والمعتقدات الكامنة في العقل الباطن للمجتمع لكي تنطلق وتعبر عن نفسها .. وهذا في تقديرنا هو ما فعله بيل كلينتون بالتحديد حيث استجاب للقوى الاقتصادية والاجتماعية الأمريكية وتفاعل معها وعمل على إزالة كل القيود التي تعترضها .

ونتيجة لذلك ، كان هناك توافق هائل بين شخصية الرئيس بيل كلينتون التي تحددت ملامحها وسلوكياتها حتي قبل أن يصل إلى الرئاسة وبين ميكانيزمات المجتمع الأمريكي في هذه المرحلة والتي كانت تتطلب تشجيع صناعة الجنس ليس فقط باعتبارها صناعة تدر ملايين الدولارات ولكن أيضاً كعنصر فعال في تحقيق نتائج أشد خطورة على الصعيدين السياسي والاجتماعي ..

فقد كان أشد ما أثار انتباهي ولفت نظري خلال جولتي بالولايات المتحدة هو ذلك الإقبال الهائل الذي تحظى به صناعة الجنس من جانب الشباب الأمريكي .

فقد كانت فكرتي بل وقناعتي أن الشاب الأمريكي لا يعاني من مشكلة جنسية بالمعنى

المتعارف عليه في الدول الشرقية مثل مصر لسبب بسيط هو أن حرية الممارسة الجنسية سواء بالنسبة للشاب أو الفتاة متاحة في الولايات منذ المراحل السنية المبكرة ولذلك فإن مدى إقبال الشبان الأمريكيين على السلع الجنسية التقليدية لابد وأن يكون محدوداً مع توافر خيار الممارسة الكاملة في أي وقت .

□□□

وأعترف أني أصبت بالدهشة ، عندما دعاني الصحفي الباكستاني البارز امتياز علام إلى زيارة لأحد الأندية التي تقدم عروضاً راقصة عارية بهدف دراسة هذه الظاهرة والتعرف على طبيعة من يرتادونها .

كان ذلك في مدينة شيكاغو وفي أحد الأندية التي يطلق عليها اسم «البيب كلوب» ..

يقع هذا النادي واسمه «الأدميرال» في واحد من أطول وأفخم شوارع شيكاغو وهو شارع لورنس .. وقد اخترناه من كتيب سياحي موجود في مكتب الاستقبال بالفندق .

وفي المساء توجهنا بسيارة تاكسي إلى هذا النادي الذي كان يسبح وسط موجات من الأضواء الملونة .. على الباب ، كان هناك عدد من الشباب الزنوج ذوي الأجسام الضخمة وكان من الواضح أنهم الفتوات أو «البودي جاردز» الذي يتولون مسئولية حفظ الأمن والنظام في داخل المكان حيث كان كل منهم يحمل جهازاً لاسلكياً وينظر بعين فاحصة للمترددين على المكان .. وكانت الخطوة الأولى هي دفع ثمن تذكرة الدخول وهو عشرون دولاراً تشمل تقديم مشروبين خفيفين (مشروبات غازية أو عصير أو بيرة) أما الكحوليات الثقيلة فهي محظورة داخل النادي .

وبجوار شباك قطع التذاكر ، كانت هناك قائمة مكتوبة بالممنوعات التي يحظر على الزبائن ارتكابها وهي :

١ - محظور تماماً لمس جسد أي فتاة من فتيات العرض .

٢ - محظور تماماً محاولة الحصول على موعد من أي فتاة .

٣ - محظور تماماً التصوير سواء العادي أو بالفيديو .

٤ - محظور تماماً إحضار أي مشروبات أو مأكولات من الخارج .

٥- محظور تماماً حمل أي أسلحة سواء نارية أو بيضاء .

وبعد قراءة قائمة الممنوعات يتوجه الزبون إلى غرفة تسليم المعاطف والقبعات . وقد فوجئنا بضرورة تسليم الجاكت أو البلوفر أيضاً بحيث يكون الدخول فقط بالقميص الخفيف والبنطلون..

وفي الداخل ، كانت القاعة تشبه صالة ضخمة من صالات العرض السينمائي ولكن بدون الكراسي أو مقاعد السينما التقليدية .. وبدلاً منها كانت هناك مقاعد وثيرة (فوتيه) كل ثلاثة أو أربعة منها وضعت معاً لتشكل جلسة مستقلة لمجموعة من الأصدقاء .

كان المكان مزدحماً بالرواد لدرجة أننا عثرنا على مقعدين بصعوبة بالغة .. الموسيقى صاخبة بدرجة لا تحتمل والأضواء ملونة مع تركيز كشافات الإضاءة على مسرح ضخم في وسط القاعة .. وعلى خشبة المسرح كانت هناك حوالي ثلاثين فتاة من أجمل ما شاهدت عيناي فهن بالفعل ملكات جمال لا يتجاوز عمر الواحدة منهن عشرين عاماً .. كانت بينهن البيضاء والسمراء والخمرية والشقراء والزنجية .. النحيفة والممتلئة كلهن يرقصن رقصات شديدة الإثارة وهن كما ولدتهن أمهاتهن .

هذا العدد الكبير من الفتيات ساحرات الجمال كان يسبب نوعاً من التشتت وعدم التركيز حيث تنتقل العيون من هذه إلى تلك بسرعة .. فهذه تتلوى على الأرض والأخرى تؤدي حركات حسية مثيرة والثالثة ترقص بجنون .. وهكذا ..

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد .. فخلال عرض هذه الرقصات والحركات المثيرة على خشبة المسرح، كانت مجموعة أخرى من الفتيات تتنقل بين مقاعد المتفرجين لتأدية رقصات خاصة !! فمقابل عشرة دولارات فقط يضعها الزبون بين سوتيان أو جورب الفتاة ، تقوم بخلع ملابسها تماماً وتؤدي له عرضاً خاصاً أمامه مباشرة فتتلوى وتتأوه وترقص لمدة خمس دقائق ثم ترتدي ملابسها وتنتقل إلى زبون آخر وهكذا .. وقد لاحظت أن عدداً كبيراً من الزبائن كانوا حريصين على التمتع بهذه الرقصات الخاصة من جميع الفتيات ، كل ذلك يحدث دون أي محاولة للمس الفتاة أو الحديث معها .

وكان من الواضح أن كل فتاة تؤدي دورها بشكل آلي أو ميكانيكي وهي تعتبر نفسها تودي عملاً روتينياً ... وقد رأيت شاباً أسيوياً يمد يده للمس ساق إحدى الفتيات وإذا بها تحذره بأن ذلك ممنوع . واعتقدت أن الموضوع انتهى عند هذا الحد ولكن بعد دقائق رأيت ثلاثة

من «البودي جارد» الزنوج يحضرون إلى هذا الشاب الأسيوي ويطلبون منه بأدب أن يرافقهم.. وخرج الشاب معهم وهو يرتعد ولست أشك في أنه تعرض للضرب والإهانة ثم الطرد من المكان ..

المهم ، استمر العرض قرابة خمس ساعات . وفي النهاية ، أخذ المذيع الداخلي يعلن بصوت جهوري عن المفاجأة الكبرى التي أعدتها إدارة نادي الأدميرال لروادها .. وبعد خمس دقائق من الموسيقى الصاخبة والكلمات الرنانة التي تدفقت بحماس منقطع النظير من فم المذيع ، ظهرت على خشبة المسرح كل الفتيات اللاتي شاركن في العرض وتم تقديم كل واحدة باسمها وتاريخها الحافل في عالم الاستربتيز والرقص العاري الفاضح ..

وأخيراً ، قال المذيع إن المفاجأة هي إتاحة الفرصة لكل زبون لكي يتمتع برقصة خاصة من أي فتاة يريدها مقابل دولار واحد فقط !! وبالفعل ، نزلت جميع الفتيات من على خشبة المسرح وانتشرن بين الرواد يقدمن رقصاتهن الخاصة لكل زبون لمدة دقيقة مقابل دولار واحد .. واستمرت هذه الفقرة عشرين دقيقة جمعت خلالها إدارة النادي أكثر من ألفي دلار بحيلة ذكية لم تكلفها شيئاً .. واعتبر الكثيرون هذه الفقرة مسك الختام ..

□□□

كان السؤال الهام الذي ألح على ذهني بقوة أثناء عودتي إلى الفندق هو : لماذا يقبل الشبان الأمريكيون على مثل هذه العروض الجنسية ؟ ولماذا يدفع الشاب الأمريكي هذه الأموال لمجرد مشاهدة مجموعة من الفتيات العاريات بينما في وسعه أن يتعرف على أي عدد من الفتيات الجميلات في المدرسة أو الجامعة أو الشارع أو النادي أو العمل أو أي مكان وأن يمارس معهن العلاقة الكاملة دون قيد أو شرط !!

نعم ، لقد كان أكثر من تسعين بالمائة من رواد هذا العرض من الشبان الأمريكيين البيض الذين لا يجد الواحد منهم مشكلة حرمان جنسي من النوع الذي يواجهه شباب المجتمعات الشرقية .

وفي تقديري أن تفسير هذا الوضع الغريب لا يخرج عن أحد أمرين .. الأول أن هؤلاء الشباب يعانون من شذوذ يجعلهم يفضلون التمتع بالحرمان على الارتواء بمعنى أنهم بعد أن

تحقق لهم الإشباع الجنسي الكامل في مجتمعاتهم أصبحوا يبحثون عن بعض القيود حتى ولو كانت وهمية .

في إطار هذا التفسير ، فإن الشاب الأمريكي يجد متعة أكبر في كبح مشاعره الغريزية من إطلاق العنان لهذه المشاعر من خلال علاقة جنسية سهلة للغاية مع صديقة تسمح له بكل شيء ويقبل المجتمع أي سلوك جنسي قد يفعله معها ..

أما التفسير الثاني ، فهو أن مثل هذه الأندية تلعب دوراً شديد الأهمية في ترويض الشباب الأمريكي وتعليمه كيفية الخضوع للسلطة حتي ولو كانت ممثلة في عدد من الفتوات أو «البودي جاردز» التي تقمع حتى الحيوان الكامن بداخله وتجبره على أن يكون مهذباً بل وأن يمارس «نوم العازب» و"عجين الفلاحة» كتأكيد للسيطرة وإمعاناً في القهر الاجتماعي من خلال ممارسة القهر الجسدي والحرمان الجنسي ولو للحظات هي تلك التي تستغرقها فترة العرض ..

□□□

وقد خطرت لي فكرة غريبة أثناء مشاهدة هذا العرض الفاضح في الأدميرال كلوب بشيكاغو ونفذت هذه الفكرة على الفور عندما وجهت سؤالاً لأقرب شاب أمريكي يجلس في المقعد المجاور حيث وجهت حديثاً لهذا الشاب قائلاً :

- هل تعرف شيئاً اسمه فلسطين ؟

ونظر الشاب إليّ في استغراب شديد وقال :

- هل هو نوع جديد من الويسكي ؟

قلت له :

- هل تعرف إسرائيل والعرب ؟

وكان رده :

- بالطبع أعرف إسرائيل واليهود .

وسألت مرة ثالثة :

- ما رأيك في الصراع بالشرق الأوسط .. ومشكلات العالم الثالث ؟

ورد الشاب الأمريكي بكلمة تعني الفضلات البشرية وقال :

- لا أحب السياسة .. دعنا نشاهد هؤلاء الفتيات الجميلات الساحرات !!

□□□

ولا شك أن هذا الشاب يمثل قطاعاً كبيراً من الرأي العام الأمريكي الذي يتفق جميع الخبراء على أنه غير مسيس ولا تعنيه السياسة رغم أن حكومته تتخذ باسمه أخطر القرارات وتمارس أخطر السياسات .

وشعرت بالحزن لأن الكثيرين من سياسيينا يعلقون قضايانا المصيرية على هذا الرأي العام الأمريكي وينتظرون اللحظة التي يتحرك فيها شبان أمريكا لكي يعيدوا لنا حقوقنا السليبة .

لقد أبدى الرأي العام الأمريكي اهتماماً شديداً بعدة قضايا أو جرائم يمكن اعتبارها مؤشراً لتوجهات المجتمع الأمريكي خلال السنوات الأخيرة .

القضية أو الجريمة الأولى هي تلك التي اتهمت فيها الفتاة بولا جونز الرئيس بيل كلينتون بأنه تحرش بها جنسياً عندما كان حاكماً لولاية أركانصو .. وقالت بولا إن كلينتون أصدر أوامره لأحد الضباط المرافقين له بأن يحضرها إلى غرفته في الفندق حيث فوجئت الفتاة به وقد خلع بنطلونه وطلب منها أن تقوم معه ببعض المداعبات الجنسية ولكنها صدته بشدة مما دفعه لارتداء ملابسه .

وقد ثار نزاع كبير حول هذه القضية .. وتدخلت المحكمة الدستورية العليا لكي تحدد موعد المحاكمة فقط لأن الرئيس الأمريكي ليس رجلاً فوق القانون . فقد رأى البعض أن محاكمة كلينتون وهو يشغل منصب الرئيس سوف تسيطر على تفكيره واهتماماته وبالتالي فلن يكون متفرغاً لأداء مهامه وإدارة شئون الدولة وبالتالي تتعرض المصالح العليا للبلاد للخطر ولذلك فإن المطالبة بالمحاكمة الفورية للرئيس تعد بمثابة مؤامرة ضد الوطن .

وعلى الجانب الآخر ، طرحت الفتاة بولا جونز وأنصارها فكرة أن جميع المواطنين سواء أما القانون وأن تأجيل محاكمة كلينتون على فعلته الشنعاء هو مجرد محاولة لحمايته من يد القانون .

وطلب محامو كلينتون تأجيل القضية إلى عام ٢٠٠١ أي بعد أن تنتهي فترة الرئاسة الثانية والأخيرة لكلينتون وساند المحامي العام في الولايات المتحدة هذا الرأي عندما طالب

المحكمة بأن تعطي الأولوية لتمكين الرئيس من أداء مهامه وليس لنظر اتهام موجه ضده وقد يكون اتهاماً كاذباً .

ورغم ذلك ، قال القاضي أنطوني سكاليا قاضي المحكمة العليا إن الرئيس الأمريكي لديه صلاحيات غير متوافرة لدى الكثيرين لأنه يستطيع أن ينيب عنه من يقوم ببعض مهامه وإن حجة عدم توافر الوقت للمحاكمة غير مقبولة لأن الرئيس لديه فراغ يقضيه في ممارسة رياضاته المفضلة مثل الهرولة والجولف وركوب الخيل الصيد وغيرها .

لقد كان الاتهام الصريح الذي وجهته بولا جونز إلى كلينتون هو التحرش الجنسي بها وانتهاك حقوقها الدستورية وطالبته بتعويض مبدئي قدره سبعمائة ألف دولار .

ولم تكن المشكلة بالطبع هي مبلغ التعويض بقدر ما كانت هي مثول الرئيس الأمريكي أمام المحكمة ليجيب على أسئلة مثل : أين كنت مساء يوم ٨ مايو ١٩٩١ وهو اليوم الذي أكدت المدعية أنه تاريخ تحرش كلينتون جنسياً بها .

ومن الأسئلة التي كان كلينتون سيواجه بها أمام المحكمة : هل تحرشت جنسياً بالمدعية .. وهل كنت تطلب من رجال الشرطة في أركانصو إحضار النساء لك ؟

وقالت بولا جونز إنها ستدلي بعلامات خاصة في جسد الرئيس الأمريكي لتؤكد أنه خلع ملابسه أمامها .

وانطلقت الصحف الأمريكية لفتح ما اسمته بملف العلاقات الجنسية للرئيس كلينتون وقالت إنه ارتبط بعلاقات غرامية مع العديد من النساء منهن زوجة أحد القضاة التي كان يتسلل ليلاً خارجاً من البيت الأبيض لكي يقضي الليل معها ..

وتحدثت الصحف أيضاً عن قصة كلينتون أو فضيحته مع الفتاة جنيفر فلاورز التي أكدت بأنها كانت عشيقة له طوال فترة عمل كحاكم لولاية أركانصو والأكثر من ذلك أن جنيفر فلاورز قدمت شرائط تسجيل لأحاديث غرامية مع كلينتون وأعدت نسخاً منها لتبيعها في الأسواق بل وطرحت عدة كتب من تأليفها حول هذه القضية أحدها بعنوان «قصتي مع الرئيس» وآخر بعنوان «ممارسة الجنس مع الرئيس» .

ولا شك أن بيل كلينتون ليس هو الرئيس الأمريكي الوحيد الذي تورط في علاقات

وفضائح غرامية مثيرة .. فالعالم كله يعرف ما تردد عن علاقة الرئيس الأمريكي الراحل جون كيندي بممثلة الإغراء الشهيرة مارلين مونرو التي قيل إن المخابرات الأمريكية قتلتها بعد أن هددت بكشف تفاصيل علاقتها بالرئيس . وهناك فضائح كثيرة ترددت أيضاً حول فضائح الرئيس ليندون جونسون الذي وصف بأنه زير نساء رهيب ..

وربما يكون الجديد بالنسبة لكلينتون هو أنه جاء كرئيس دون جوان في ظروف تجتاح فيها أمريكا حمى الجنس . وربما لعب سن كلينتون الصغير نسبياً دوراً ما في إلقاء المزيد من الأضواء على نزواته وفضائحه . ولكن في كل الأحوال فإن ما يعنينا هو ارتباط هذه السلوكيات بظاهرة بارزة في المجتمع الأمريكي خلال التسعينيات .

وربما كان الفارق بين رؤساء أمريكا السابقين والرئيس الحالي كلينتون في مجال العلاقات الغرامية هو نفس الفارق بين مارلين مونرو ممثلة الإغراء في الخمسينات والستينات وبين شارون ستون ممثلة الإغراء الأمريكية في التسعينات .. فقد كانت مارلين رغم كل العري والإثارة رمزاً جنسياً راقياً بينما شارون ستون تمثل الجنس الرخيص الذي يشمل الشذوذ الجنسي .

كانت مارلين مونرو إلهة للجنس على طريقة آلهة الإغريق بينما شارون ستون لا تمثل سوى أحط الرغبات الغريزية الحيوانية .. وإذا كانت مارلين مونرو فتاة ليل فهي من طراز أرستقراطي بينما شارون ستون تنتمي للطراز الرخيص الذي يعكس كل عيوب وسلبيات تجارة الجسد ..

وقد جاء اهتمام الرأي العام الأمريكي بمتابعة القضايا المعلقة بغراميات كلينتون لكي يضع فارقاً آخر بين فضائح الرؤساء الأمريكيين السابقين وفضائح الرئيس الحالي .

فخلال حكم الرئيس كيندي كانت المؤسسات الأمريكية كلها حريصة كل الحرص على إخفاء تفاصيل علاقته بمارلين مونرو .. ولم تظهر هذه التفاصيل إلا بعد سنوات من وفاة كيندي ومارلين أيضاً وتم ذلك بطريقة جعلت هذه العلاقة محل شك وجعلت كل ما يتردد عنها من قبيل الأنباء والحكايات غير المؤكدة .

وهذا الحرص يعكس بوضوح خوف المؤسسات الأمريكية في عصر كيندي من الآثار والنتائج السلبية التي يمكن أن تترتب على معرفة الرأي العام بالعلاقة الغرامية بين رئيسه وممثلة

الإغراء .. وبمعنى آخر فإن المجتمع الأمريكي لم يكن ليتقبل بسهولة تورط رئيسه في فضائح أخلاقية .

أما بالنسبة لغراميات كلينتون ، فقد كان الوضع مختلفاً تماماً بدليل التغطية الإعلامية الهائلة في الصحافة والإذاعة والتليفزيون التي تبارت فيما بينها على كشف أشد التفاصيل إثارة بهدف إمتاع الرأي العام الحالي في أمريكا بالعبارات والقصص الجنسية التي لم تجد شخصاً واحداً يعرب عن احتجاجه على أن يكون رئيسه على هذه الدرجة من المجون التي تدفعه لخلع بنطلونه ومطالبته فتاة لا يعرفها بأن تقضي معه فترة «مداعبة جنسية» .

وهكذا يمكن القول إن متابعة المجتمع الأمريكي الحالي لغراميات وفضائح رئيسه كانت بهدف المتعة والإثارة وليس من أجل تقييمها واتخاذ موقف أخلاقي منها ..

نفس الشيء تكرر بالنسبة لقضية شهيرة أخرى تفجرت في الولايات المتحدة خلال منتصف التسعينيات وهي قضية لاعب الكرة الشهير «أ . جي . سيمبسون» وكان سيمبسون قد اتهم بقتل زوجته نيكول وصديقها رون بارن ولكنه تمكن من إخفاء كل أدلة الجريمة حتى صدر الحكم ببراءته .

وقد نشرت الصحف والمجلات الأمريكية عشرات الألوف من الصفحات وخصصت محطات الإذاعة والتليفزيون الاف الساعات وظهرت عشرات الكتب التي تتناول هذه القضية التي أصبحت حديث كل اثنين أو مجموعة في أمريكا دون سبب مفهوم خاصة وأن أو . جي . سيمبسون لم يكن شخصية مشهورة من الدرجة الأولى .. واعتبر علماء الاجتماع هذا الاهتمام غير العادي من جانب الرأي العام الأمريكي بقضية قتل زوجة اتهمها زوجها بالخيانة ، ظاهرة تستحق الدراسة . وقال البعض إن سبب الاهتمام بهذه القضية هو أنها أبرزت مرة أخرى الخلافات العنصرية بين البيض والسود في الولايات المتحدة لأن المتهم أسود وقد اتهم الشرطة بتلفيق الاتهامات ضده ورغم براءة سيبمسون في الشق الجنائي للقضية إلا أنه أدين في القضية المدنية المرفوعة من أسرة زوجته التي اتهم بقتلها .

واعتبر البعض أن مناورات فريق الدفاع عن سيمبسون استطاعت أن تخدع محكمة الجنايات بل وسخرت من العدالة الأمريكية كلها ..

ومن أغرب الظواهر الجديرة بالدراسة أن المحكمة المدنية كانت تنظر دعوى التعويض ، التي رفعتها أسرة عشيق الزوجة القتيلة الذي قتل أيضاً ويدعى رون براون ، في نفس توقيت خطاب الاتحاد الذي يلقيه الرئيس الأمريكي بيل كلينتون والذي يعتبر من أهم خطابات رئيس الولايات المتحدة كل عام . وخشي المسئولون في البيت الأبيض من عدم اهتمام وسائل الإعلام بخطاب الرئيس نظراً لتفرغها لمتابعة قضية أو . جي .. سيمبسون واتصل هؤلاء المسئولون بالصحف ومحطات التليفزيون للمطالبة بعدم نسيان خطاب رئيس الولايات المتحدة في خضم الاهتمام الجارف بقضية سيمبسون . ورغم ذلك ظهر الرئيس الأمريكي كلينتون في بعض محطات التليفزيون وهو يشغل نصف الشاشة فقط بينما خصص النصف الآخر لسيمبسون ورأت محطات أخرى أن قضية سيمبسون أهم من خطاب كلينتون بالنسبة للرأي العام الأمريكي ولذلك تجاهلت تماماً خطاب الاتحاد .

وقد صدر الحكم في النهاية ضد سيمبسون بدفع ٨ ملايين دولار كتعويض لأسرة رون براون العشيق القتيل ثم صدر حكم آخر بعد أيام بأن يدفع لاعب الكرة الشهير تعويضاً قدره ٢٥ مليون دولار لأسرة زوجته وعشيقها .

□□□

وبعد أن انتهت قضية أو . جي . سيمبسون ، ظل السؤال حائراً .. ما هو سر كل هذا الاهتمام بهذه القضية التافهة في مجتمع تحدث فيه كل ساعة عشرات بل ومئات الجرائم من جميع الأنواع ؟

هل السبب هو علاقة هذه القضية بالتفرقة العنصرية ؟

هل السبب هو ارتباطها بالجنس والعنف وهما أبرز ملامح المجتمع الأمريكي في الوقت الراهن ؟

هل السبب هو ببساطة محاولة شغل الرأي العام الأمريكي بمسلسل مثير بينما كانت حكومته تمارس سياسات خارجية وتتخذ قرارات خطيرة من وراء ظهره ؟

كل هذه الآراء ترددت خلال محاكمة أو . جي . سيمبسون وبعدها ولكن الإجابة على السؤال الحائر ربما تكمن فيما أعلن بعد ذلك عن الملايين التي حققها البعض من وراء القضية.

فإلى جانب الرواج الذي حظيت به الصحف والمجلات ومحطات التليفزيون التي تناولت القضية، حصل الكثيرون علي ثروات من ورائها بما في ذلك القضاة ورجال الشرطة والمحامون الذين تفرغوا لإصدار كتب بالملايين عن القضية وتفاصيلها ..

ومرة أخرى ، إنها العلاقة بين الجنس وصناعة الملايين .. وهي نفس العلاقة بين العنف وصناعة الملايين .. ففي الولايات المتحدة يكون كل شيء ممكناً بل وطبيعياً إذا كان يصلح كوسيلة لإنتاج الدولارات .. ففي هذه الحالة يمكن نسف أي منطق وإلغاء أي عقل ويمكن حتى أن يتحول المجتمع كله إلى قطيع يجري في اتجاه واحد دون أن يدري الهدف الذي ينطلق إليه .

□○□

٦

وصمة عار :

حمى الجنس ..

وأطفال العالم

من الجرائم التي ليس لها مثيل في

تاريخ الإنسانية اعتداء أب على

طفلته التي لم يتجاوز عمرها

ثمانية شهور !!

من أبشع ملامح حمى الجنس التي اجتاحت العالم في العقد الأخير من القرن العشرين استخدام الأطفال كأدوات للمتعة الآثمة وانتهاك براءة الطفولة في ممارسات حيوانية تتناقض تماماً مع كل قيم التحضر والمدنية ..

ورغم أن دعارة الأطفال ، أو استخدام الأطفال الإناث والذكور في تجارة الجنس ، منتشرة ومعروفة منذ الحرب العالمية الثانية في بلدان جنوب شرق آسيا وخاصة الفلبين وتايلاند إلا أن هذه الظاهرة المروعة اتسعت واكتسبت أبعاداً غير مسبوقة خاصة في الدول الغربية الولايات المتحدة وأوروبا !!

فمن الجرائم التي أعتقد أن ليس لها مثيل في تاريخ الإنسانية تلك الجريمة التي ارتكبها مواطن ألماني اعتدى على طفلته التي لم يتجاوز عمرها ثمانية شهور !!

وقد يرى البعض أن أمثال هذه الجرائم تعكس سلوكيات شاذة ولكنها لا تعبر بالضرورة عن ظاهرة وأن المجرم في مثل هذه الحالات لا يكون إنساناً سوياً يمكن القياس على سلوكياته بل هو في الغالب ضحية لمرض نفسي يدفعه للإقدام على مثل هذه الأعمال الجنونية .

ومع كل الاحترام لهذا الرأي ، إلا أن حكاية سفاح بلجيكا التي تفجرت في نهاية عام ١٩٩٦ جاءت لتؤكد أن هذا الوباء اللا أخلاقي الذي اجتاح العالم الغربي في السنوات الأخيرة ليس ظاهرة هامشية بل هو تعبير صادق عن مدى التردي الذي تدهورت إليه هذه المجتمعات.. فالمسألة ليست مجرد خطيئة فردية بقدر ما هي توجه قطاعات عريضة وهي في كامل وعيها نحو الكارثة .. وحكاية هذا السفاح البلجيكي مارك دوترو تتعلق بشبكة عالمية لدعارة الأطفال .. وأكدت التحقيقات أن عشرات الأطفال تعرضوا للخطف والتعذيب والقتل في إطار الممارسات الإجرامية لهذه الشبكة .

لم يكن دوترو هو المجرم الوحيد في قضايا خطف وتعذيب الأطفال لإجبارهم على العمل

في الدعارة .. فقد كانت هناك شبكة كاملة تضم زوجته ميشيل مارتن ٣٦ سنة وصديقه جون نيهول ٥٤ سنة ومارك لوليانز ٤٨ سنة ..

واعترف دوترو بخطف الفتيات والأطفال الصغار واحتجازهن داخل قبو بمنزله .. وكان يقدم الطفلة لعشاق ممارسة الجنس مع الأطفال مقابل ٨٥٠٠ فرنك فرنسي. وقد اكتشف أن شبكة الدعارة عندما اختطفت الطفلتين جولي وميليسيا (٨ سنوات) كان ذلك يوم ٢٤ يونيو عام ١٩٩٥ وفي ديسمبر ١٩٩٥، تم القبض على مارك دوترو في جريمة سرقة وسجن لمدة ٣ شهور تاركاً الفتاتين دون طعام أو شراب في القبو مما أسفر عن موتهما بسبب الجوع والعطش !!

الغريب أن هذا المجرم القواد مارك دوترو يعتبر من الناحية الرسمية عاطلاً عن العمل ولكنه كان يعيش كأصحاب الملايين بسبب الأرباح التي يحصل عليها من دعارة الأطفال ..

وكان أسلوبه في اختطاف الفتيات الصغيرات سهلاً .. حيث يتوجه مع زوجته وشريكته بالسيارة إلي إحدى مدارس أو أندية الأطفال ويختار طفلة يسألها عن عنوان ، وبينما تحاول الصغيرة الإجابة يجذبها داخل السيارة ويكتم صرخاتها ثم يذهب بها إلى بيته أو الوكر الخاص بشبكة الدعارة . وهناك يقوم المجرم باغتصاب الطفلة بينما يصور أحد شركائه عملية الاغتصاب بكاميرا فيديو . وبعد ذلك ، فإما أن يترك الفتاة لمصيرها التعس في مكان مهجور أو يضمها لشبكة دعارة الأطفال التي يديرها .

وقد وسعت الشبكة نشاطها بعد ذلك ليشمل تصدير الأطفال إلى دول أخرى وأيضاً استيراد فتيات صغيرات من أندونيسيا والفلبين وتايلاند للعمل في دعارة الأطفال .

وشمل النشاط أيضاً أفلام الفيديو الإباحية التي يظهر فيها الأطفال .

وتقول فتاة اسمها ليتيال (١٤ سنة) اختطفتها شبكة الدعارة لعدة شهور وأنقذتها الشرطة إنها تعرضت للاغتصاب مرات عديدة وكانوا يهددونها بالقتل كلما بكت أو حاولت الاعتراض على ما يفعله هؤلاء المجهولون بها .

□□□

إذا كانت هناك حقيقة هامة كشفت عنها جريمة اختطاف واغتصاب وقتل الأطفال في بلجيكا فهي ببساطة أن العالم المتحضر لم يغضب ويكشر عن أنيابه ضد مرتكبي هذه الجريمة

إلا عندما تأكد أن ضحاياها ليسوا فقط هم الأطفال الفقراء في بلدان العالم الثالث وأن أطفال الغرب الأثرياء يمكن أيضاً أن يدفعوا ثمن هذا الصمت الغريب والمريب الذي قابلوا به صرخات أطفال آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وهم يتعرضون لأبشع الانتهاكات والاعتداءات الإجرامية !!

فقد أوضحت الجرائم التي ارتكبها البلجيكي مارك دوترو أن استغلال الأطفال في تجارة الجنس لا يقتصر على أزقة بانجوك في تايلاند وحواري ساو باولو في البرازيل بل تمتد مخالب الوحوش التي تدير هذه التجارة تنهش الأطفال في قلب العالم الصناعي المتقدم وتنزعهم بقسوة من وسط حياة الرفاهية التي يعيشونها لكي يذوقوا طعم الجحيم كغيرهم من أطفال الدول الفقيرة . ولكن ولكي يجبروا الجميع على السعي بكل قوة وجدية لمواجهة وصمة العار التي تدمغ جبين حضارة العقد الأخير من القرن العشرين ، فمسئولية ما يحدث منذ عشرات السنين للأطفال في مختلف أنحاء العالم تقع على عاتق كل الدول بلا استثناء لأنها وقفت تتفرج على عمليات خطف الأطفال وبيعهم واستغلالهم في الدعارة والأعمال الشاقة واللاإنسانية .

□□□

وقد أشارت إحصائيات صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونيسيف) أن مليوني طفل يتعرضون للإيذاء والاعتداء والاستغلال الجنسي في جميع أنحاء العالم بما في ذلك ممارسة الدعارة مع البالغين والصور والأفلام الفاضحة .

لقد ولدت تجارة استغلال الأطفال في الجنس في جنوب شرقي آسيا وبالتحديد أفقر دول هذه المنطقة حيث يمكن شراء كل شيء وحيث لا يلقى الأطفال أي رعاية أو عناية وحيث لا يوجد قانون يحمي الضعفاء من شراسة ونذالة الأقوياء .. وهكذا أصبحت هذه المنطقة مزاراً غير مقدس للسياح الأثرياء الذين يبحثون عن متعة جنسية شاذة ورخيصة مع طفلة أو طفل في عمر الحفيد أو الحفيدة .

وتدفق شواذ العالم الغربي على تايلاند وكمبودياً وسري لانكا والفلبين حيث يبيع الأباء ابناءهم مقابل ثمن الخبز .. وكثيراً ما نشرت الصحف ووسائل الإعلام العالمية صوراً لأمهات يقدمن بناتهن للسياح في سوق المتعة والشذوذ وتكرر هذا المشهد كثيراً في أمريكا اللاتينية بل وفي أوروبا أيضاً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانهيار سور برلين وتقدر الإحصائيات

الدولية عدد الأطفال في سوق الدعارة بمدينة موسكو وحدها بحوالي ألف طفلة وتسيطر على هذا النشاط الإجرامي المافيا الروسية ..

ونفس الشيء يحدث في عواصم أخرى بشرق أوروبا مثل وارسو وبراغ وبوخارست وبودابست وجمهوريات البلطيق .

ويرجع انتشار دعارة الأطفال في هذه العواصم إلي عدة عوامل أهمها الفقر وتزايد نفوذ عصابات المافيا بالإضافة إلى القوانين السائدة هناك والتي تسمح بحرية ممارسة الجنس اعتباراً من سن الرابعة عشرة .

وتشارك الدول الغربية بدور هام في تجارة استغلال الأطفال في الجنس حيث تقدم هذه الدول الزبون أو السائح الثري القادر على دفع الثمن المطلوب ..

وتشير الإحصائيات إلى أن ٢٥٠ ألف سائح غربي يتدفقون على جنوب شرقي آسيا كل عام بهدف واحد هو ممارسة الجنس مع الأطفال .

وخلال السنوات الثماني الماضية تم اعتقال ومحاكمة ٢٤٠ شخصاً في الغرب بتهمة الاعتداء على الأطفال وكانت نسبة ٢٤ ٪ من هؤلاء في أمريكا و ١٦ ٪ في ألمانيا و ١٣ ٪ في استراليا وهناك مؤشرات عديدة آخرها فضيحة بلجيكا تؤكد أن المجتمعات الغربية ليست محصنة ضد جريمة استغلال الأطفال في الجنس .

وقد أعادت جريمة السفاح البلجيكي دوترو الأذهان لجرائم مماثلة أخرى شهدتها بلدان أوروبا مثل قضية فردريك وروزماري وست في انجلترا حيث تعرض ١٣ طفلاً وطفلة للاغتصاب والتعذيب والقتل منذ سنوات .. وفي أمريكا يتذكر الكثيرون مأساة الطفلة ميجان كانكا ٧ سنوات التي اغتصبها وحش في منطقة نائية ثم قتلها عام ١٩٩٤ وقد أدت هذه المأساة إلي صدور قانون يحمل اسم قانون ميجان يطالب السلطات بإبلاغ المواطنين عند الإفراج عن أي شخص كان مسجوناً في جريمة جنسية حتي يلتزم الجميع بالحذر خاصة وأن المعتدي على الطفلة ميجان كان مسجوناً قبل ذلك بتهمة الاعتداء على طفلة أخرى ..

ولقد اضطرت السلطات المعنية في الولايات المتحدة إلي الاعتراف بحقيقة حاولت تجاهلها لسنوات وهي أن مرتكبي جرائم الاعتداء الجنسي على الأطفال ليسوا من المهوسين جنسياً أو

المختلين عقلياً أو المعقدين نفسياً .

وبعد تردد شديد بدأت أجهزة الإعلام في الغرب تتحدث عن تجارة استغلال الأطفال في الجنس التي أصبحت تدر أرباحاً تقدر بمليارات الدولارات وتنافس تجارة السلاح والمخدرات .

وتقول مصادر البوليس الدولي إن أفلام الفيديو الفاضحة التي تقدم لقطات جنسية للأطفال تعد جزءاً من نشاط عصابات وشبكات استغلال الأطفال في البغاء ..

ومعظم هذه الأفلام تتضمن اسماء وعناوين ، يستطيع من يريد الاتصال بها ، لتدبير لقاءات جنسية مع أطفال ، وقد كانت أفلام الفيديو جزءاً من نشاط سفاح الأطفال البلجيكي دوترو وتم العثور لديه على آلاف الشرائط الفاضحة .

وحكاية البريطاني جون ستامفورد تلقي المزيد من الضوء على استغلال الأطفال في الجنس والدعارة ...فقد اعتقل ستافورد عام ١٩٩٤ بتهمة استغلال دليل سياحي كان يصدره باسم «سبارتاكوس» في تقديم معلومات للشواذ جنسياً وهواة ممارسة الجنس مع الأطفال .

وقد عثرت سلطات الأمن البلجيكية عند مهاجمة منزل ستامفورد في بروكسل على صور ومجلات لأطفال في أوضاع مشينة . وقالت منظمات حماية الأطفال أن ستامفورد كان يدير شبكة لدعارة الأطفال مقرها أحد الأندية الاجتماعية هو نادي سبارتاكوس وعدد أعضائه ٣٠ ألف عضو كلهم من الشواذ وممارسي جريمة الاعتداء الجنسي على الأطفال . وقد مات ستامفورد بأزمة قلبية بعد اعتقاله في ديسمبر الماضي قبل تقديمه للمحاكمة ..

□□□

ولا شك أن بعض الدول تتحمل مسئولية أكبر عن تفجير مشكلة الاستغلال الجنسي للأطفال وتحويلها إلى مأساة مروعة تؤرق ضمير الإنسانية .. ففي السويد واليابان والمجر لا يعد امتلاك الأفلام والصور الفاضحة للأطفال جريمة وفي بلجيكا لا تتجاوز عقوبة الاتجار في هذه الأفلام والصور السجن لمدة عام واحد .. وفي المكسيك تعتبر حيازة هذه الأفلام والصور مشروعة بشرط ألا يكون بغرض الاتجار ولكن الشرطة المكسيكية اكتشفت مؤخراً شبكة لتصوير الأطفال في أوضاع جنسية وبلغ عدد زبائن هذه الشبكة في الولايات المتحدة ٤٥٠٠ من الزبائن الدائمة .

وهناك بعض الدول التي لا تفضل شبكات وعصابات استغلال الأطفال في الأفلام الجنسية الفاضحة العمل فيها .. وتأتي ألمانيا على رأس هذه الدول حيث صادرت السلطات الألمانية حوالي ١٢ ألف شريط ومجلة وكتاب فاضح خلال عام ونصف فقط .

وقال المسئولون الألمان إن بعض هذه الأفلام تتضمن لقطات واقعية لأطفال تم قتلهم بالفعل خلال الممارسات الجنسية الشاذة .

وقالت صحيفة بيلد الألمانية إنه تم العثورعلي فيلم فيديو يصور عمليات اغتصاب جماعية لفتيات صغيرات في البوسنة . ويعد هذا الفيلم هو أغلى الأفلام الفاضحة للأطفال حيث يصل إلى أكثر من ٨ آلاف دولار في أسواق ألمانيا ..

وكان ظهور شبكة الانترنيت وسيلة جديدة لنشر الأفلام والصور الفاضحة في جميع أنحاء العالم دون أن تستطيع الشرطة عمل أي شيء . وأصبحت كل المعلومات المتعلقة باستغلال الأطفال جنسياً متاحة لأي شخص من خلال جهاز الكمبيوتر وأصبحت شبكة الانترنيت وسيلة اتصال بين العاملين في هذا المجال الإجرامي والمهتمين بأنشطته الشيطانية .

ومن الواضح أن هذه المعاهدة التي وقعت عام ١٩٨٩ لحماية حقوق الطفل والتي وقعت عليها ١٨٧ دولة تمنع كل أشكال العنف بما في ذلك العنف الجنسي ضد الأطفال .

ومن الواضح أن هذه المعاهدة تحتاج لتعديل في ضوء تطور الأساليب الإجرامية لاستغلال الأطفال وانتهاك حقوقهم والتي وصلت إلى استخدام الكمبيوتر والأقمار الصناعية وأحدث ما في العصر من تكنولوجيا .

□□□

ويطالب الخبراء بضرورة تغليظ العقوبات في جرائم الاعتداء على الأطفال أو استغلالهم ويقول إيفان سميث مؤلف كتاب أطفال للإيجار إن المسألة ليست مجرد معاقبة مرتكبي هذه الجريمة البشعة بل كيف ألا يكرر المجرم جريمته مع أطفال أخرين. والمطلوب الآن هو توجيه ضربة كبرى لكل الهياكل والنظم والقوانين التي ساعدت على انتشار تجارة استغلال الأطفال في الجنس، ويطالب بعض هؤلاء الخبراء بأن تمتنع شركات الطيران والفنادق والمؤسسات السياحية عن خدمة سياح الجنس الذين يسافرون من مكان إلى آخر بحثاً عن ضحايا جدد من الأطفال .

وفي نفس الوقت يجب شن حملة لمقاطعة الشركات والمكاتب السياحية التي تنظم رحلات السياحة الجنسية الخاصة بالأطفال في جنوب شرقي آسيا وأوروبا الشرقية وغيرها ..

والأكثر من ذلك لا بد من عزل هذه العناصر الشاذة المجرمة التي تستمتع بانتهاك براءة الطفولة بحيث يلفظ المجتمع أي شخص يرتكب هذه الجريمة . وقد أعلن ديفيد مالكين وزير داخلية بريطانيا أن بلاده ستقوم بإعداد دليل يشمل اسماء جميع من ثبت إدانتهم في جرائم جنسية ضد الأطفال ولا شك أن جميع دول العالم مطالبة بالانضمام إلى هذه الحملة من أجل إنقاذ الأطفال والتصدي لهؤلاء المجرمين الذين يحولون أحلام الطفولة البريئة .

شملت حملة الاعتقالات في قضية شبكة دعارة الأطفال الأوروبيين بعض الأشخاص الذين لا يرتكبون هذه الجريمة بشكل مباشر ولكنهم يشاركون فيها بعلمهم وخبراتهم ومراكزهم الاجتماعية المرموقة .

ومن بين هؤلاء المتهمين كليف فيزر ٣٥ سنة وهو مشرف بإحدى المدارس ورب أسرة ، لديه شركة كمبيوتر تعمل في نشر الصور الجنسية للأطفال . ويقول فيزر إن شركته تقدم خدمة خاصة مقابل اشتراك قدره ٢٥ جنيهاً استرلينيا كل شهر لمن يريدون مشاهدة صور الممارسات الجنسية للأطفال وذلك عبر شبكة الكمبيوتر .

ويقول فيزر إن هذا النشاط لا يمثل أي انتهاك للقانون رغم اعترافه بأن شركته تقدم صوراً وأفلاماً للأطفال في الثامنة من العمر يتعرضون للاغتصاب . ويرد فيزر على ذلك بقوله إن لديه ٦٥ ألف مشترك يتلقون خدمات شركته ، وإن مطالبة الشرطة البريطانية بإلغاء هذه الخدمة من شبكة الانترنيت تعد نوعاً من «الرقابة» على حرية النشر !! وقال فيزر إن إلغاء هذه الخدمة من شبكة الانترنيت لن يؤدي إلى الحد من جرائم الاعتداء الجنسي ضد الأطفال ، على العكس من ذلك سيبقى هؤلاء لممارسة الجنس مع الأطفال بشكل حقيقي وواقعي ..

أما المتهم الثاني فيدعى جون هلينجوس وهو خبير كمبيوتر ومن أبرز المتهمين في شبكة دعارة الأطفال . ويقول هلينجوس إنه يقدم خدماته العلمية فقط حيث يساعد من يستغلون الأطفال في الأنشطة المتعلقة بالجنس على استخدام شبكة الانترنيت دون أن يفتضح أمرهم .

□□□

في فرنسا ٨ آلاف قاصر وقاصرة يعملون في سوق تجارة الرقيق الأبيض والدعارة منهم ٦٠٠ في باريس وحدها معظمهم من الهاربين من ذويهم ، لكن بعضهم يتم استغلالهم في هذه المهنة القذرة بموافقة أهلهم ، بل يصطحبهم أولياء أمورهم للأماكن المشبوهة بالعاصمة .

وهؤلاء القصر الهاربون من مختلف المستويات منهم ابناء الطبقة الراقية سفراء ومحامون ورجال أعمال ، ومنهم ابناء الطبقة الفقيرة ، وتختلف وجهة نظر كل منهم في إقدامه على امتهان الدعارة لكنهم جميعاً يتفقون في أن المال الوفير السهل هو أول الأسباب وهناك عدد كبير من هذه الفئة من أصل يوغسلافي وتتراوح أعمارهم بين ٦ - ١٤ سنة . ورغم ذلك يمارسون الدعارة ،، ودائماً ما يحوم القوادون حول هذه الأماكن يفرضون سيطرتهم على هؤلاء القصر مقابل مبلغ كبير من المال يدفع لهم يومياً . دينيس (١٧ سنة) واحد من الذين امتهنوا الدعارة وهو يقول : «نعم هناك أخطار في هذه المهنة ولكنني اعتدت عليها . وأنا أكسب الكثير من المال فيمكنني الحصول على ١٥٠٠ فرنك في الليلة الواحدة» .

ويضيف بيير زميله في المهنة قائلاً : «في البداية كنت أشمئز من كل ما يحدث . لكنني الآن اعتدت عليها بل أدمنتها» . وبعض هؤلاء الأطفال يجد القوة والشجاعة على الهرب من مستنقع الرذيلة والعودة لأهله وهو ما حدث مع تيري (١٤ سنة) وماريا (١٥ سنة) لكنها حالات قليلة ونادرة فمن ينزلق في الهاوية صعب جداً أن يخرج منها .

□□□

في ألمانيا صدر عام ١٩٩٣ قانون يقضي بمحاكمة كل من يستغل الأطفال جنسياً حتى لو تم ذلك خارج ألمانيا . وذلك في حالة تقديم بلاغ ضد هذا الفرد من الطرف الذي تم استغلاله جنسياً . جاء هذا القانون محاولة للإيقاع بكل مستغلي الأطفال ، التي انتشرت في أوروبا .

وتعد شرائط الفيديو من أفضل الأدلة المادية التي تساعد على إقامة مثل هذه القضايا .

وقد أقيمت قبل ذلك في ألمانيا دعوى قضائية ضد أحد الألمان في شهر سبتمبر عندما ضبطت معه أشرطة فيديو لفتاة عارية تايلاندية .

أيضاً حكم على رجلين في برلين قاما بتصوير أفلام فيديو عارية مع صبيين بتايلاند .

ولكن الأمر كان مختلفاً في قضية «بيا» ذات العشرة أعوام و«مارلين» ذات الخمسة

عشرة عاما .. فبعد أن رفع لهما الأب «شاي كولن» القضية ضد السائحين اللذين قاما باستغلالهما جنسياً بالفلبين ، وهما الألماني «توماس به» ٣٢ سنة ، والهولندي «فرانكو» ٢٤ سنة في هذه القضية كان لا بد من حضور الفتاتين من الفلبين لتقديم شهادتهما في ألمانيا وسرد تفاصيل ما حدث حيث لا توجد دلائل في القضية سوى أقوال الفتاتين ضد أقوال السائح الهولندي . أما السائح الألماني «توماس به» فقد اعترف بالأمر عندما وجهت له التهمة .

وتعد رحلة بيا ومارلين هي المرة الأولى التي يطير فيها أطفال من العالم الثالث إلى ألمانيا وذلك لقيامهما بالشهادة ضد أحد السياح الألمان . وبيا بشعرها القصير وبشرتها الداكنة يقترب شكلها من شكل الأولاد . قام «توماس به» بممارسة الجنس معها وتعذيبها لمدة خمسة أيام كاملة .

وجهت «لتوماس به» تهمة الاستغلال الجنسي للأطفال بأربعة أفعال مختلفة .

ولقد هتف أحد الموجودين في المحكمة عند بداية المحاكمة بغضب قائلاً :

- اقضوا على رجولة هذا الخنزير .

ولقد صمت توماس ولم يعلق على ذلك وعندما سئل عن حياته قال إنه أنهى دراسته الثانوية وذهب إلى معهد صناعي عال وتخصص في فرع الكهرباء ومن ذلك يكسب شهرياً مبلغاً يتراوح بين أربعة آلاف وخمسة آلاف مارك . وما حدث في شهر يناير العام الماضي ١٩٩٦ أنه ذهب ليمتع نفسه في الفلبين وقد سافر مع شاب هولندي يبلغ أربعة وعشرين عاماً، وأنه لم يرغب أبداً في ممارسة الجنس مع الأطفال. ولكن لو صحت أقوال توماس لكان وفر على الطفلتين السفر الطويل إلى ألمانيا ووفر علي نفسه أيضاً كل ما حدث له .

- ولقد حكت بيا ومارلين كل ما حدث لهما للباحث الفلبيني المتخصص والذي كتب به تقريراً يوصف بشيء واحد «أمر مقزز» . وتبعاً لمحضر الشرطة فقد تعرفت بيا على السائحين توماس وصديقه الهولندي في مانيلا ، حيث تعيش بدون والديها مع جدتها التي قدمتها لتوماس مقابل مبلغ يساوي حوالي مائتي مارك . وقد تعامل توماس مع الطفلة بيا كما لو كانت عبدة له أو حيواناً فدفعها لممارسة كل أنواع الجنس ... ثم قام بتصويرها عارية بالفيديو بعد أن قيد يديها تحت رأسها وقيد ساقيها بشباك الفراش ، وقد قال لها توماس عن ذلك إنه يريد فقط أخذ ذكرى من الرحلة ولكنه أمام المحكمة اعترف أنه باع شريط الفيديو مقابل

خمسمائة مارك وأنه قام بعمل أكثر من نسخة منه بهدف بيعها .. وقد سافر توماس وصديقه الهولندي من الفندق الذي أقاما به في تايلاند إلى أحد أكواخ جزيرة النخيل في بوراساي مع الفتاتين وهناك التقت الفتاتان بالباحث الفلبيني وقصت عليه معاناتهما وهروبهما لدى الأب «شاي كولن» لحمايتهما . فمنذ عام ١٩٧٤ يقوم الأب شاي بحماية الأطفال من كل أنواع الاستغلال الجنسي الذي يتعرضون له . وعاشت بيا في مركز الحماية الذي يرعاه مع ١٤ طفلاً كلهم ضحايا استغلال جنسي . وفي هذا المركز يذهب الأطفال للمدرسة ويعالجون نفسياً .

وقد أخذ الأب شاي على عاتقه مهمة إرسال توماس إلى السجن وما زال «الأب شاي» ينتظر الحكم على توماس . وقال إنه لو كان في الفلبين لحكم عليه بالسجن ١٦ عاماً على الأقل ، وكان يمكن أن تصل العقوبة حتى الإعدام فالقانون في الفلبين في غاية الشدة في حالة استغلال الأطفال جنسياً .

ورغم العقوبة الرادعة لمستغلي الأطفال جنسياً في الفلبين إلا أن الحقائق والإحصاءات تقول إن حوالي من ٦٠ ألف طفل إلى ١٢٠ ألف طفل يتم استغلالهم جنسياً سنوياً .. خاصة من السياح الأجانب الذي يأتون لهدف واحد وهو ممارسة الجنس مع الأطفال .. إلا أنه غالباً ما تنقص الأدلة لإقامة القضايا . ولهذا يتزايد عدد الأطفال المستغَلين جنسياً في كل عام .

□□□

وفي بريطانيا جريمة قتل بشعة ضحيتها تلميذه صغيرة لا يزيد عمرها على ستة عشر عاماً ومع ذلك انخرطت الفتاة رغم مظهرها البريء في أعمال منافية للآداب وممارسة الرذيلة رغم أن والديها كانا يوفران لها كافة سبل الحياة الكريمة .

كيف حدث ذلك ؟ ولماذا قتلت الفتاة ؟ وما السبب الذي دفعها إلى ممارسة الرذيلة ؟

يؤكد والد الضحية «لوسي بورشيل» – فتاة المدارس التي سقطت في الهاوية وتحولت إلى فتاة لعوب تبحث عن زبائن ما بعد منتصف الليل – أن «لوسي» كتبت إليهم قبل اختفائها من منزلها بأيام قليلة خطاباً تعتذر فيه بشدة عن سلوكها المشين الذي أساء إلى والديها وجعلهما يتبرآن من أفعالها القذرة .

وفي الخطاب الغامض الذي سلمه الوالدان إلى الشرطة كتبت لوسي تقول : أحب كل منكما

أكثر من أي شيء في العالم ولم أقصد أن أتسبب في أي نوع من الحزن لكما ولكنني أحياناً ما أندفع إلى اقتراف بعض الأخطاء دون أن أقصد بذلك أي ضرر لأحد منكما ومضت تقول في رسالتها الخطية الأخيرة : وأعتقد رغم ذلك أنه لا شيء يدعو للقلق من جانبكما ! »

أكد الوالدان التعسان أنهما عرضا على ابنتهما شراء سيارة أو حصان وإعطائها دروساً لتعلم القيادة إذا ما تعهدت بترك صديقاتها العاهرات والتخلي عن أسلوب حياتها الذي يجلب العار إلى أفراد عائلتها ويسيء إليهم .

والغريب في الأمر أن بورشيل (١٦ عاماً) والتي خنقها مجهول كانت ناجحة لأبعد الحدود في دراستها ومنذ أيام قليلة فقط أعلنت نتيجتها في مدرستها الثانوية الواقعة في منطقة «ستافورد شاير» والقريبة جداً من منزلها وقد استطاعت النجاح في ثماني مواد وأوشكت على الحصول على شهادة إتمام الدراسة الثانوية الإنجليزية .

ولكن «لوسي» كانت قد اعتادت على قضاء سهرات حمراء في منطقة «والسال» والتي تشتهر بتصوير مسلسلات وحلقات تليفزيونية عن العاهرات ونمط حياتهن وأسلوب تصيدهن لزبائنهن الباحثين عن المتعة واللذة الزائفة .

الأب يقول وسط مشاعر الحزن الشديد والندم : إنه حاول كل ما في استطاعته لإبعاد ابنته عن المتاعب وأصحاب السوء . ولكن على غير جدوى . إنه رجل بسيط يعمل سائقاً لسيارة نقل ولقد عرض أن يشتري لها حصاناً لأنها كانت تعشق الخيل كما عرض عليها أن تتلقى دروساً في قيادة السيارات ووعدها بشراء سيارة لها بمجرد أن تبلغ الثامنة عشرة من عمرها ويؤكد أنها حصلت على كل ما تريد ..

ويعرب الأب عن اعتقاده بأن ابنته لقيت حتفها بعد أن خنقها مجهول في منطقة برمنجهام ببريطانيا ولا أحد يعرف الدافع لارتكاب هذه الجريمة حتى الآن ثم يتساءل : "ولكن أليست هذه هي نهاية كل من يسلك طريق الرذيلة من هذا الشباب الضائع» .

وتقول الأم المصدومة : إن ابنتها كانت تثق في أصدقائها إلى أبعد الحدود وتعتقد أنها كانت ضحية لهذه الثقة التي لم تكن في محلها !! وتؤكد أن هؤلاء الأشرار الذين ائتمنتهم لوسي خانوا العهد واستغلوا إدمانها للمخدرات لتسخيرها في الإتيان بأفعال مخلة للآداب .

ولكن الشرطة لم تتعرف حتى الآن على الفاعل الذي اغتال براءة هذه الطفلة مرتين .. الأولى عندما جعلها تنخرط في هذا العالم المخيف المليء بالشرور وأدى إلى انحرافها رغم تفوقها الدراسي .. والثانية عندما ضغط على عنقها الرقيق حتى لفظت أنفسها الأخيرة .

□□□

وتشير الدراسات والتقارير التي أصدرتها منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان إلى أن العاصمة التايلاندية بانكوك ما زالت هي أكبر معقل لاستغلال الأطفال في الأنشطة اللاأخلاقية . سواء الدعارة أو الأفلام والصور الإباحية . وقد ظهرت في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ظاهرة اسمها السياحة الجنسية وخاصة مع الأطفال حيث تقوم شركات سياحية رسمية بتنظيم رحلات لزبائنها إلى شرق أوروبا وجنوب شرقي آسيا للتمتع بالأشكال الشاذة من العلاقات الجنسية وعلي رأسها دعارة الأطفال !

وفي إطار ما يسمى بسياحة الجنس ، ظهرت أيضاً على خريطة المواقع السياحية في العالم بلدان في غرب أفريقيا تقدم الأطفال لعشاق هذه الممارسات الشاذة .

ومن مواقع تصوير الأطفال ، من الذكور والإناث ، لاستغلالهم في البغاء ، هناك أيضاً بلدان شبه القارة الهندية مثل بنجلاديش والهند وسري لانكا التي تخصصت في تصدير الأطفال الذكور لأوروبا وأمريكا .

وتقدر منظمة اليونسيف (صندوق الأمم المتحدة للطفولة) عدد الأطفال الذين ينضمون إلى تجارة الجنس كل عام بحوالي ألف طفل .

والمعروف أن تايلاند وحدها بها حوالي مليون طفل يتم استغلالهم في الدعارة ومعظمهم لا تزيد أعمارهم عن ٨ سنوات !

في أغسطس عام ٩٦ اكتسب المؤتمر الدولي لمنع استغلال الأطفال جنسياً ، في ستوكهولم ، أهمية خاصة نظراً لانعقاده بعد أيام من إعلان تفاصيل جريمة بلجيكا التي اتهم فيها مارك دوترو وعدد من شركائه باختطاف الأطفال وتعذيبهم والاعتداء عليهم جنسياً واستغلالهم في أنشطة غير أخلاقية وهي القضية التي تم القبض على عشرة متهمين فيها وأثارت غضب الرأي العام في بلجيكا وأوروبا والعالم كله .

وقد شاركت في هذا المؤتمر حكومات ومنظمات غير حكومية حيث اعترف الجميع بأن استغلال الأطفال في الأنشطة الجنسية مثل الدعارة والأفلام والصور الفاضحة ، أصبح تجارة مربحة في الدول الغنية والفقيرة على حد سواء .

وقد بحث المؤتمر حالات مروعة لاستغلال الأطفال في الأنشطة الجنسية في ألمانيا وبلجيكا واستراليا .

وقالت كرول بيلامي المدير التنفيذي لليونيسيف أن هذه الجريمة تحدث في جميع دول العالم تقريباً ووصلت الأمور إلى حد اتهام رجل استرالي بارتكاب ٨٥٠ جريمة جنسية ضد الأطفال .

وقال الخبراء في كلماتهم أمام مؤتمر ستوكهولهم إن عدد البالغين المتورطين في التجارة المحرمة التي تستغل الأطفال في الجنس يصل إلى ١٢ مليون شخص بما في ذلك السياح الذين يتدفقون على جنوب شرقي آسيا وأمريكا اللاتينية وشرق أوروبا في إطار ما يوصف بسياحة الجنس .

وقال هؤلاء الخبراء إن سبب انتشار دعارة الأطفال يرجع إلي أن القيم والمثل والأخلاق أصبحت كلها سلعاً في السوق وبالتالي تحول الأطفال أيضاً إلى سلعة في نفس السوق التي لا يحكمها أي شيء سوى الربح السريع بأي وسيلة ومن أي طريق ..

وأكد هؤلاء الخبراء أن الخوف من مرض «الإيدز» دفع بعض مرتادي بيوت الدعارة إلى تفضيل ممارسة الجنس مع الأطفال على أساس اعتقاد خاطئ بأن فرصة إصابة الأطفال بالإيدز أقل من الكبار وبالتالي فإن احتمال نقلهم للعدوى أقل خطورة .. ويؤكد العلماء والخبراء أن الأطفال أكثر عرضة للإصابة بمرض الإيدز بسبب بسيط هو عجزهم عن حماية أنفسهم بأي طريق من انتقال المرض إليهم .

وفي بداية مؤتمر ستوكهولم طالب زبانير ايما بوللي وزير العمل الإسباني بحملة كبرى للقضاء على هذه الظاهرة الشيطانية .

وقال الخبير البريطاني راي دايري إن استغلال الأطفال جنسياً جريمة بشعة للغاية ولكن الأشخاص الذين يتورطون في علاقات جنسية مع الأطفال ليسوا وحوشاً كما قد يظن البعض بل هم أشخاص عاديون لأن الوحوش لا يمكن أن تعتدي على الأطفال بهذه الطريقة . وقال إن

من يستغلون الأطفال جنسياً ينتمون إلى فئات مختلفة من المجتمع .. فهم رجال أعمال وسياح وبحارة ومعظمهم لديه أسرة وأبناء ولكنهم يرتكبون هذه الجريمة لإحساسهم بأنهم لن يتعرضوا لأي عقاب أو مساءلة ..

وقالت الباحثة لوكونيل ديفيد سون في تقرير لمؤتمر ستوكهولهم إن ممارس جريمة الاتصال الجنسي بالأطفال يسعون وراء ممارسة السلطة الجنسية على أشخاص ضعفاء لا حول لهم ولاقوة .

واعترف شخص بريطاني قام برحلة إلى جنوب شرقي آسيا لممارسة الجنس مع الأطفال بأنه ارتكب هذه الجريمة وقال : «لقد شعرت بأني أتمتع بسلطة فائقة وأني قادر على التحكم في حياتي الجنسية» .

وقال سائح جنسي آخر من كندا إنه يحب عجز العاهرات في الدول الفقيرة سواء من الكبيرات أو صغيرات السن وأضاف : «إنها لا تستطيع أن تفعل أي شيء حتى إذا لم تدفع لها أجرها .. على عكس العاهرات في أمريكا وأوروبا اللاتي تحصلن على كل حقوقهن بالقوة والقانون» .

وقال سائح جنسي أوروبي للباحثة جوليا ديفيد سون إنه يذهب إلى منطقة الكاريبي لإرضاء غريزته وأوضح قائلاً : «الجنس في هذه المنطقة شيء طبيعي . كل الناس يمارسون الجنس . الآباء مع بناتهن ، والأشقاء مع شقيقاتهن ، لا فارق .. ومسألة العمر لا تهمهم ، إنهم أشبه بالحيوانات ... وهذا هو التفسير الوحيد الذي أستطيع أن أقدمه لكم .

وقد أكدت الوفود الأفريقية في مؤتمر ستوكهولم أنها تفكر في تنظيم مؤتمر إقليمي حول الاستغلال الجنسي للأطفال في فبراير القادم بالكاميرون . وقد ركزت الوفود الأفريقية على أن الفقر هو أحد أهم العوامل التي تؤدي لانتشار دعارة الأطفال . وطالبت هذه الوفود بمعالجة مشكلة الديون الأفريقية التي تثقل كاهل أفريقيا وتؤدي لهذه الكوارث الاجتماعية والأخلاقية.. كما قالت الوفود الأفريقية إن أسلحة الدمار الشامل التي تبيعها الدول الصناعية إلى أفريقيا تؤدي إلى إشعال الصراعات وبالتالي انتشار الفقر وهو العنصر الأساسي في جريمة بيع الأطفال واستغلالهم في الدعارة .

وقد اتفق جميع المتحدثين أمام المؤتمر الذي استمر خمسة أيام وشاركت فيه ١٢٠ دولة ،

على أن شبكة الانترنيت من الوسائل الرئيسية لنشر الصور والأفلام والمواد الفاضحة الخاصة باستغلال الأطفال في الجنس .

وقد عارض الوفد الأمريكي في المؤتمر فرض أي قيود رقابية على شبكة «الانترنيت» .

وقال وزير الخارجية الألماني كلاوس كينكل إنه سيقوم بمبادرة لإرساء تعاون دولي على المستوى الحكومي لفرض قيود على شبكة الانترنت بهدف القضاء على أي صورة من صور الاتجار في الصور الفاضحة للأطفال أو استغلالهم في الأنشطة الجنسية غير الأخلاقية .

وخلال انعقاد مؤتمر ستوكهولم وجه بابا الفاتيكان دعوة لحماية النساء والأطفال الذين تتعرض كرامتهم الإنسانية لإهانة خطيرة بسبب صناعة الجنس واستغلالهم في أنشطة لا أخلاقية .

وعلى الرغم من أن المؤتمر قد خلص إلى بيانات تدعو إلى التعاون الدولي في مجال مكافحة استغلال الأطفال وتشريع القوانين الصارمة لمعاقبة المجرمين الذين تدفعهم الشهوة وحب المال إلى قتل براءة الطفولة فإن أهم ما أنجزه هذا المؤتمر هو تسليط الأضواء على تفشي هذه الظاهرة الخطيرة المفزعة التي تهدد براعم المستقبل .. وقد جاء الموتمر في الوقت الذي اجتاحت فيه الدول الأوروبية ثورة غضب بعد اكتشاف جرائم سفاحي الأطفال في بلجيكا .

وقد وقف جوران بيرسون رئيس وزراد السويد ليقول للمشاركين في الموتمر «إن شعوب العالم وليس فقط ابناء بلجيكا في حالة فزع ورعب للجرائم البشعة التي تم الكشف عنها مؤخراً ... »

□□□

وكان من المؤسف أن تكون جرائم بلجيكا فقط سبباً وراء الاهتمام بهذا المؤتمر وتسليط الأضواء عليه من أجل التوعية بهذه القضية الهامة.. ولولا بشاعة هذه الجرائم لكان هذا المؤتمر مجرد مؤتمر دولي يتعرض لمشكلة تحاول أغلب الدول وضعها على الرف والتغاضي عنها ..

وقد كان هذا هو الوضع في الدول الأوروبية حتى وقت قريب وكان هواة الجنس والشهوة المريضة يجدون مطالبهم في بعض الدول الأسيوية التي انتعشت بها سياحة الجنس ... ولكن مافيا تجارة جنس الأطفال لم تكتف بعملائها الذين يسافرون إلى أقاصي بلاد العالم لإشباع

أهوائهم بل سعت - وراء الرغبة في مزيد من المكاسب - إلى الانتقال إلى بعض الدول الأوروبية ووجدت في بعض دول شرق أوروبا مرتعاً خصباً لها .

وقبل انعقاد المؤتمر - الذي سلط فيه الضوء على جوانب هذه القضية على دور الوحوش البشرية أو القوانين في التعامل مع الضحايا الصغار - وقع حادث في إحدى حدائق الحيوان الأمريكية قد يجعلنا نفكر أكثر من مرة عندما نصف هؤلاء المجرمين بأنهم حيوانات .. وكان «برندون» الصغير الذي لا يتعدى عمره عامين قد اندفع إلى حافة جبلاية القرود ليشاهد ما يدور فيها .. وفي غفلة من أبيه سقط الصغير وسط القرود وقبل أن يصاب الصغير بأي ضرر أسرعت الغوريللا «بنتي» إلى حمله لمنع أي قرد من الاقتراب منه وأسرعت به بحنان بالغ إلى الجانب الخلفي للجبلاية حيث سلمته بعد دقائق إلى الحارس .. وبمقارنة ما أقدمت عليه الغوريلا «بنتي» بما نراه من جرائم ترتكب في حق أطفالنا الصغار أعتقد أن ما ذكرته التقارير عن إنسانية الغوريلا ظلماً لها .. وكانت التقارير التي طرحت للمناقشة أثناء المؤتمر أن عملية الاستغلال الجنسي للأطفال قد أصبحت تجارة رابحة وأصبح تهريب «البضاعة» أي الأطفال من دولة إلى أخرى تتم عن طريق جماعات إجرامية منظمة كما يحدث بالنسبة للمخدرات تماماً ..

وقد أكد الخبراء الذين شاركوا في المؤتمر أن هناك ضرورة للتعاون فيما بين الدول والمسئولين عن الأمن لمكافحة هذا الوباء . وفي الوقت الذي أشاروا فيه إلى أن السبب الرئيسي لتفجير هذه الظاهرة الخطيرة هو شذوذ بعض البالغين الذين يسعون دائماً إلى ممارسة الجنس مع الأطفال فقد تناولوا بعض الأسباب التي برزت في السنوات الأخيرة ومن هذه الأسباب الخوف من مرض الايدز وسعي بعض الأشخاص الباحثين عن اللذة إلى مصدر نظيف لاعتقادهم بأن الممارسة مع طفل أو طفلة أمر مأمون .

بل لقد كان من المفزع أن يكون من هذه الأسباب أيضاً اعتقاد بعض مرضى الايدز أن مخالطتهم ومعاشرتهم الجنسية للأطفال قد تساعد على شفائهم .. !!

ومن جهة أخرى أوضحت كريستين بيدو المتحدثة باسم جمعية مكافحة سياحة جنس الأطفال في جنوب آسيا وهي الجمعية التي شاركت مع اليونيسيف وحكومة السويد في رعاية المؤتمر أن إلقاء الذنب كله على السياح الذين يهربون من بلادهم لينطلقوا وراء إرضاء شهوة مريضة يخفي الحقيقة المؤسفة وهي أن أغلب الضحايا الأبرياء يتم انتهاكهم على أيدي رجال

من مواطني نفس البلد الذي نشأوا فيه وبمساعدة القوادين الذين يتميزون بالجشع والقسوة .

□□□

وفي إطار دراسة هذه الظاهرة المؤسفة لم يغفل المشاركين في المؤتمر تناول آثر الخلافات العائلية وتمزق الأسر والبيوت المحطمة كمورد هام لسوق دعارة الأطفال . ومن الأوراق التي وزعت في المؤتمر موضوع عن الطفلة «تارا» التي حكت ، في ندوة لعلاج الأطفال الذين حطمتهم الدعارة ، عن تجربتها وقالت : بعد أن تم الطلاق بين أمي وأبي ، تزوجت أمي من رجل عاطل وكانت تتركني في المنزل وكان عمري لا يتعدى التاسعة معه ومع جدتي الفقيرة .. وكان زوج أمي يستغل غيابها ليعبث بي وكنت أهرب منه لأجلس إلى جانب جدتي ولكنه كان يتغلب عليّ أحياناً ... وقد كنت أحاول أن أخفي ذلك عن أمي . وعندما وجدت أنني قد أصبحت «عبدة» لهذا الرجل قررت أن أخبر أمي . ولكنها لم تصدقني بل لقد اعتبرتني «عاهرة» لأنني أتحدث عن مثل هذه الأمور . وعندما زاد المرض على جدتي فضلت أن أبيع جسدي برغبتي ولمن أريد .. » ولم تمض أيام قليلة حتى كانت تارا واحدة ضمن قطيع أحد القوادين بالبرازيل .

ووسط نفس هذه المجموعات التي تعالج من الآثار النفسية التي تركتها خمس سنوات من التنقل من قبضة قواد إلى قبضة قواد آخر .. ذكرت ميرنا أنها كانت ضحية ذئب أغراها عندما كانت في الثامنة من عمرها بإعطائها عروسة صغيرة ، وكانت لدى ميرنا ، رغبة جامحة في اقتناء عروسة صغيرة ، فقد نشأت في أسرة فقيرة ، وعندما جلست في سيارته انطلق بها ، وبعد عدة ساعات وجدت أنها وسط غابة واعتدى عليها الوحش الأدمي .. وراحت صرخاتها دون مجيب ... وفي اليوم التالي ربطها بحبل في بدورم المنزل ، وترك لها بعض المياه في إناء قريب .. وأصبحت الصغيرة دمية محطمة ، وكانت تبكي وتطلب منه إطلاق سراحها .. وفي يوم قال لها : «إنني سأسافر وهناك صديق لي سيتولى أمرك .. » وبالفعل جاء شخص آخر وأخذها في سيارته إلى مدينة أخرى .. وفي منزل صغير التقت «ميرنا» بمجموعة من الفتيات ووجدت أنها أصبحت سلعة في سوق بيع الأجساد الصغيرة .. وظلت تبكي ولكن القواد عالجها بحقنة سريعة ، وبدأت رحلة ميرنا مع المخدرات في سن التاسعة .. انتظمت الصغيرة في إرضاء شهوات زبائن القواد .. مقابل الحقن .

□○□



تصدير الفساد ...

ماذا حدث في الجمهوريات السوفيتية السابقة ؟!

ورغم الأصوات الواهنة التي

ارتفعت تحذر من زيف هذا الحلم

الأمريكي إلا أن سكان الجمهوريات

السوفيتية السابقة منحوا ثقتهم

للعم سـام ..

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك الجمهوريات السوفيتية السابقة ، اجتاح سكان هذه المنطقة من العالم شعور عام بالتفاؤل في نهاية سنوات البؤس والشقاء والمعاناة خلال الحكم الشيوعي .

وفي مدن روسيا وأوكرانيا وجورجيا ولاتفيا وليتوانيا وغيرها كان هناك حلم يشبه كثيراً الحلم الأمريكي .. فالدولارات قادمة في الطريق والاقتصاد الحر بدأت مظاهره تهل ممثلة في الكوكاكولا ومحلات كينتاكي ومكدونالدز ، وتذوق سكان موسكو لأول مرة متعة سندوتشات الهامبورجر والهوت دوج .

ورغم الأصوات الواهنة التي ارتفعت تحذر من زيف هذا الحلم ، إلا أن سكان الجمهوريات السوفيتية السابقة وخاصة روسيا رفضوا أن يفقدوا ثقتهم في العم سام الذي يبشر بالسوق المفتوح والاقتصاد المفتوح والعقل المفتوح وكل شيء آخر مفتوح !!

وأخذ الوقت يمر دون أن يتحقق شيء من هذا الحلم .. بل على العكس من ذلك تدهورت الأزمة الاقتصادية وانهارت العملة الروسية الروبل ولم يعد سكان الجمهوريات السوفيتية السابقة يجدون قوت يومهم إلا بصعوبة شديدة .

وهنا ، جاء الحل على الطريقة الرأسمالية وهو أن تعمل النساء في الدعارة وأن ينضم الرجال إلى عصابات المافيا التي تمارس القتل والسرقة وكل أمور وصور الفساد .

وأخيراً ، أدرك مواطنو الاتحاد السوفيتي السابق حجم المأزق الذي وقعوا فيه .. واليوم فقط عرفوا معنى المصير الذي دفعتهم إليه الولايات المتحدة دفعاً وأنفقت من أجل ذلك آلاف المليارات من الدولارات ..

□□□

اليوم فقط تدق روسيا أو الاتحاد السوفيتي السابق ناقوس الخطر بعد أن غزا الايدز البلاد بشكل وبائي .. ففي عام ٢٠٠٠ قد يصل عدد المصابين بالايدز إلى مليون شخص في روسيا وحدها !

في أوكرانيا مثلاً تنتشر حقن المخدرات في الوريد بين الشباب الصغير وهو مخدر مشتق من الأفيون يعرف باسم «هيمكا» ويجتذب هذا المخدر الشباب لرخص ثمنه وشدة تأثيره «الونا مارتايفا» ٢٦ عاماً تعمل ممرضة وأمر لصبي عمره ٨ سنوات كانت تحقن نفسها عدة مرات أسبوعياً لمدة ست سنوات ، وكذلك زوجها حتى أصيب كلاهما بالايدز وتدعي «الونا» أنها كانت دائماً تستخدم حقناً نظيفة ولذلك لم تعتقد أبداً في إصابتها بالمرض اللعين وهي الآن تعالج في عيادة لمكافحة الايدز في أوديسا بينما ما زال زوجها يتعاطى المخدرات لأنها لا تستطيع إجباره على العلاج .

ويبدو أن عصر الايدز البشع بدأ في دول الاتحاد السوفيتي فهو بالنسبة لهم الآن يماثل الوضع في أمريكا وأوروبا في منتصف الثمانينات عندما بدأ الرأي العام يدرك خطورة مرض الايدز القاتل .. كان الوعي بخطورة الايدز شبه مفقود في بعض مناطق روسيا وأوكرانيا وبعض جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق .. أما اليوم فقد بدأوا تدارك خطورة الموقف ، ففي العام الماضي أعلن المسئولون أن ما يقرب من نصف عدد المدمنين (عن طريق الحقن في الوريد) وعددهم ٧ آلاف شخص في إحدى الجمهوريات السوفيتية النموذجية سابقاً قد أصيبوا بفيروس الايدز وفي أوديسا الميناء الشهير على البحرالأسود أظهرت التحاليل إصابة خمسة آلاف شخص بالمرض عام ١٩٩٦ ، أي ما يقارب من نصف عدد سكان المدينة وتعدادهم ١٢ ألف نسمة وفي المقابل لم تسجل أوكرانيا عام ١٩٩٤ سوى ٣٤٠ حالة ايدز فقط وفي روسيا يتضاعف عدد المصابين بالايدز بشكل مثير للقلق ويعلق د. «أوليج بنين» كبير أطباء علاج الايدز في أوديسا : مع كل تلك المشاكل الاقتصادية وارتفاع معدل البطالة وإدمان المخدرات لم يكن ينقص بلادنا سوى فيروس الايدز ... وهكذا لم نعد في مأمن منه .

تقول مجلة «نيوزويك» الأمريكية إن خطورة الموقف في دول الاتحاد السوفيتي السابق ترجع إلى عدم توافر الإمكانيات الطبية أو الأطباء أو العقاقير اللازمة لمواجهة وباء الايدز ففي الولايات المتحدة استغرق الأمر أكثر من عشر سنوات لتوعية الرأي العام وانفاق ملايين

الدولارات على الأبحاث حتى بدأ عدد حالات الايدز يستقر أما اليوم فإن الوضع الاقتصادي المتدهور في روسيا لا يسمح لها حتى بدفع مرتبات الجنود والمحالين على المعاش .

يقول أحد الباحثين الروس إن هذا الوباء جاء نتيجة انفجار الكبت والبحث عن المتع بعد سقوط الشيوعية ، وخلال العهد السوفيتي كان المسئولون ينكرون وجود الايدز ، وعندما يحدث في حالات قليلة كانوا يقولون إن لعنة الغرب أصابت بعض المواطنين السوفيت . أما اليوم ففي روسيا الحرة الجديدة كل شيء يشترى ويباع بما في ذلك الجنس والمخدرات ، فالدعارة انتشرت في كل مكان وحتى الحمامات الشعبية التقليدية أو «باتيا» كما يطلقون عليها تتحول في المساء إلى أوكار مشبوهة لممارسة الرذيلة ، وتقول ايرنا ايفانشينكو الباحثة المتخصصة في الأمراض الجنسية في موسكو أن الايدز ليس مشكلة طبية ولكنها مشكلة اجتماعية ونتيجة تفشي الرذيلة في المجتمع الروسي الجديد زادت حالات الأمرض التناسلية ، ومنها الزهري بشكل كبير وهو إنذار مبكر من وجهة نظر مسئولي الصحة لتفشي مرض الايدز. وقد سجلت الإحصائيات أن هناك ٢١٧ حالة زهري لكل ١٠٠ ألف شخص في العام الماضي وذلك بالمقارنة إلى خمس حالات فقط في عام ١٩٩٠ ، أي أن المعدل يزيد ٥٠ مرة عن مثيله في الولايات المتحدة وغرب أوروبا وتعلق إيرنا إيفانشينكو قائلة إن مرض الزهري يكشف عن مدى الانحراف الجنسي في الشارع الروسي .

تقول فتاة روية تدعى لينا (٢٧ عاماً) وتعمل موظفة في أحد بنوك موسكو إنها فوجئت بإصابتها بمرض الزهري في العام الماضي ، رغم ارتباطها بعلاقات عاطفية مع أكثر من عشرة رجال ولا تعرف لينا ممن التقطت المرض ، ولكنها تبدي دهشتها مما حدث وتؤكد أنها لن تفكر في أي احتياطات في المستقبل أو تغيير سلوكها المشين رغم أنها أنفقت أكثر من ٥٠٠ دولار في العلاج . وتضيف أن بلادها تدخل القرن الواحد والعشرين ومع الانفتاح يجب أن نستمتع بحياتنا .

هذه النظرة القاصرة في التعامل مع الأمور لا تكشف فقط جانب الانحلال الخلقي في المجتمع الروسي ولكنها أيضاً تعكس الجهل بخطورة مرض الايدز . وتحكي ناتاشا وهي مريضة عمرها ١٧ سنة في «أوديسا كلينك» أن فتاة عمرها ١٢ عاماً جاءت إليها ذات مرة تريد استخدام الحقنة التي ألقت بها ناتاشا ، وعندما أبلغتها ناتاشا أنها مريضة بالايدز قالت

الصغيرة لا يهمني !! وبالفعل التقطت الحقنة الملوثة !

وإذا كانت الأرقام المعروفة عن حالات الايدز في الاتحاد السوفيتي السابق ما زالت ضئيلة فإن ذلك لا يعني قلة الحالات . ولكنه ببساطة يعكس مدى الجهل واللامبالاة بالناحية الصحية.. يقول فاديم بوكروفسكي رئيس مركز أبحاث الايدز في موسكو إن الأرقام الحقيقية لحالات الايدز أعلى من الإحصائيات الرسمية بمعدل عشر مرات . فمعظم الحالات المصابة تجهل أنها مريضة والحديث هنا عن جيل ستظهر عليه أعراض الايدز بعد عام ٢٠٠٠ أي خلال ثلاث أو أربع سنوات .

من ناحية أخرى يؤكد المسئولون عن الصحة في الاتحاد السوفيتي السابق أنهم عاجزون عن توفير الإمكانيات المادية اللازمة لمواجهة هذه الأزمة الصحية أو الوباء الخطير . وفي ٢٦ مارس ١٩٩٧ صرح جنادي أونيشنكو كبير الأطباء في مركز موسكو للأوبئة أنه مع نهاية هذا القرن ستكون هناك مليون إصابة بالايدز في روسيا وذلك بالمقارنة بمائة حالة في عام ١٩٩٠ ، وعلاجهم يتطلب ٦ر٥ مليار دولار والواقع أن الميزانية الكاملة لاتحاد الدول الروسية تبلغ ٥ر١٠ مليار دولار وهذا العجز في التمويل يعني عدم نجاح حملات التوعية بمرض الايدز بشكل فعال .

تقول مجلة «نيوزويك» الأمريكية إن حاملي فيروس الايدز يلقون علاجاً بسيطاً عند الذهاب للمستشفيات لأنها فقيرة في خدماتها كما أن العاملين فيها ليسوا على خبرة بأحدث تطورات تشخيص وعلاج هذا المرض فمعظم المستشفيات الروسية لا تستطيع توفير العقاقير الفعالة لمواجهة هذا الفيروس والمتوافرة حالياً في الولايات المتحدة وفي أحسن الأحوال يعالج المرضى في روسيا بعقار «أزت» ويتأكد ذلك من خلال حالة «جنادي روشابكين» (٢٧ عاماً) والذي أسس جمعية خاصة للتوعية بمرض الايدز بعد علمه بإصابته بالفيروس منذ ٨ سنوات . يقول جنادي إنه مثل كثيرين غيره لم يعد يتناول أي دواء لأنه يشك في فعالية أي عقاقير لعلاجه وذلك بعد أن جرب عقار «أزت» مرتين دون فائدة .

وقد وضعت الحكومات الإقليمية في الجمهوريات السوفيتية سابقاً برامج مختلفة لوقف انتشار هذا المرض وعلى سبيل المثال افتتح المسئولون في أوكرانيا في ديسمبر الماضي مركزين لاستبدال الحقن الملوثة بأخرى نظيفة وهناك عربات تطوف بالمدن توزع أكياساً بها حقنتان

معقمتان ومطهر وعازل طبي للرجال وكتب مرض الايدز . وفي بيلا روسيا في صيف ١٩٩٦ وضعت برامج لعمل اختبار الايدز لمدمني المخدرات ، وخاصة الشباب العاطل وقد أكد حاملو الفيروس من الشواذ في موسكو أن أصدقائهم فوجئوا بزيارات غير متوقعة من البوليس . وفي موسكو تم الإعداد لافتتاح ٧٦ مركزاً لعلاج الايدز والذي تتركز أغلب جهوده على إجراء اختبارات الايدز والغريب أن النقاد في موسكو يجادلون أن هذه الأموال التي أنفقت على المراكز الطبية التي لا يفطن الكثيرون لأهميتها كان من الأفضل إنفاقها على توعية الرأي العام . وربما يؤدي ضعف إيمان المصابين بالايدز في حكومتهم وإمكانية مواجهة هذا الوباء إلى عدم الاكتراث بالأمر وبالتالي عدم الرغبة في تغيير سلوكياتهم المنحرفة .

وقد جاء في استفتاء حديث أجرته مجلة «ايتوجي» بالتعاون مع مجلة نيوزويك الأمريكية . أن الرجال الشواذ في روسيا يعرفون تماماً مخاطر الايدز مثل أقرانهم في الغرب ، وقال ٨٠ ٪ من هؤلاء إن عدم الالتزام بالاحتياطات الأمنية في العلاقات الجنسية يمثل خطورة كبيرة على أصحابها ، ومع ذلك أعلن ٢٢ ٪ فقط من هؤلاء أنهم يستخدمون العوازل الطبية .

أما المسئولون عن الصحة العامة في روسيا فيؤكدون مخاوفهم من أن عصر الايدز سيحصد مئات الآلاف بشكل مخيف بسبب قلة الاستعداد لمواجهته والشعور بقلة الحيلة أمام هذا الغزو الوبائي القاتل .

السوق المفتوح ... واقتصاد الدعارة

وهكذا ، حققت الدعارة في بلدان شرق أوروبا ازدهاراً رهيباً منذ بداية التسعينيات وأصبحت دول أوروبا الشرقية هي الموقع الرئيسي لتصدير فتيات الهوى إلى مختلف أنحاء العالم وذلك لسببين رئيسيين :

الأول ، هو انهيار الشيوعية في شرق أوروبا وانفتاح هذه الدول بشكل مفاجىء على العالم الرأسمالي مما أدى إلى صعوبات اقتصادية طاحنة وتحديات اجتماعية رهيبة أسقطت كل القيم والمبادئ السابقة ودفعت بفتيات ونساء هذه الدول إلى العمل في سوق البغاء وهو سوق العمل الوحيد الذي كان مفتوحاً أمامهن على مصراعيه ، وساعد على ذلك أيضاً ، تدفق القوادين وشبكات الدعارة من العالم الغربي الرأسمالي إلى هذا المنبع الجديد والرخيص للرقيق الأبيض

مع ظهور تنظيمات محلية مثل عصابات المافيا في الدول الأوربية الشرقية تشرف على صناعة البغاء والدعارة بجانب بقية الأنشطة الإجرامية الأخرى ..

أما السبب الثاني لازدهار البغاء في شرق أوروبا فكان يتعلق بانتشار الأمراض الخطيرة مثل الايدز في أسواق شرق آسيا التي كانت تعتبر بمثابة معقل الدعارة في العالم قبل التسعينيات .

ولذلك ، سعى أباطرة صناعة الجنس إلى دول أوروبا الشرقية كبديل آمن لممارسة كافة أنشطة صناعة الجنس . وبدأ العالم في مستهل التسعينيات يسمع عن فتيات ليل من المجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا السابقة وبلغاريا ورومانيا .

وأصبحت العاصمة المجرية بودابست هي المكان المفضل في أوروبا لتصوير الأفلام الجنسية.. وظهرت فروع محلية لشبكات الرقيق الأبيض الأمريكية في وارسو وصوفيا وبوخارست وأصبحت هذه الشبكات متخصصة في اختطاف فتيات دول أوروبا الشرقية لإجبارهن على ممارسة الدعارة في كل مكان ..

وقد أشارت بعض الإحصائيات إلى أن عدد العاهرات في مدينة واحدة مثل براغ عاصمة جمهورية تشيكيا وصل إلى ٥٠ ألف عاهرة .

ورغم انتشار الدعارة وسياحة الجنس في مواقع جديدة مثل شرق أوروبا وبعض بلدان الشرق الأوسط مثل إسرائيل وتركيا وأيضاً في شمال أفريقيا ، إلا أن دول جنوب شرق آسيا ، وخاصة تايلاند ما زالت تحتل المركز الأول بالنسبة لسياحة الجنس رغم كل المخاوف التي رددها البعض في أعقاب ظهور وباء الايدز .

□□□

وأهم ملاحظة ، هي أن أهم بلدان آسيا التي تعتمد على اقتصاد الدعارة مثل تايلاند والفلبين هي بلاد وثيقة الصلة بالولايات المتحدة وتعتبر نفسها مجرد ولايات أمريكية في القارة الأسيوية .. ولذلك ، انتهجت هذه الدول الأساليب الاقتصادية الأمريكية وأيضاً خرجت عن جلدها الأسيوي التقليدي لتعيش حياتها بالكامل على الطريقة الأمريكية ..

وتوصف مدينة باتايا التي تقع جنوبي العاصمة التايلاندية بالجوك بأنها أرخص وكر

لتجارة وسياحة الجنس في العالم .. عدد سكان هذه المدينة حوالي ربع مليون نسمة واكتسبت شهرتها بالتحديد في مجال تقديم الأطفال لشواذ أمريكا والعالم الغربي الذين يعشقون ممارسة الجنس مع الأطفال .

وتشير الإحصائيات الدولية إلى أن حوالي ربع فتيات تايلاند تعملن في الدعارة وأن خمسين في المائة منهن مصابات بمرض الايدز أو تحملن فيروس المرض على الأقل .

وقالت الإحصائيات الرسمية في بانجوك إن عدد العاهرات في تايلاند يصل إلى ٢ مليون عاهرة من بين ٨ ملايين فتاة في البلاد تتراوح أعمارهن بين ١٥ عاماً و٢٩ عاماً ..

والغريب أن هذا المعدل القياسي للعاهرات بالنسبة للسكان يحدث في بلد مثل تايلاند معظم سكانها من الفلاحين البسطاء الذين يخضعون لحملة غسيل مخ رهيبة تجعلهم يحلمون بالثراء والرفاهية مهما كان الثمن . ومع سيادة النمط الاقتصادي الرأسمالي ، تحولت هذه الدول الأسيوية الصغيرة إلى ماخور كبير وقدمت فتياتها وأطفالها إلى السيد الأجنبي صاحب الدولار الذي عمل الجميع في خدمة نزواته ورغباته الشاذة مهما بلغت حقارتها ووضاعتها .

والأكثر من ذلك، أن المسئولين في تايلاند ، وهم يؤمنون بكل ما هو أمريكي ، يعتقدون أن اقتصاد الدعارة الذي قامت عليه الحياة في بلادهم سوف يتحول إلى اقتصاد عصري عندما تنضم تايلاند إلى ما يسمى بنادي النمور الأسيوية .. ويقول هؤلاء المسئولون إن دولاً عديدة واجهت مشكلة تفشي البغاء والدعارة في بداية تحولها إلى اقتصاد السوق مثل اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان ولكن مع دوران عجلة الاقتصاد خفت حدة هذه المشكلة ..

والحقيقة أن مشكلة الدعارة والبغاء في بلدان العالم الثالث (آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية) تعكس قضية تحول اجتماعي أكثر منها تعبير عن تطور اقتصادي ..

فرغم العلاقات العائلية الوثيقة المعروفة في بلدان الشرق بوجه عام ، إلا أن الأب التايلاندي مثلاً أصبح مستعداً لبيع طفله أو طفلته لأي تاجر رقيق أبيض يلوح له بالأموال ..

ولا شك أن الإغراء أكبر من قدرة هؤلاء الفلاحين البسطاء على المقاومة .. فالعاهرة في تايلاند تتقاضى في ليلة واحدة نفس الأجر الذي تحصل عليه زميلتها من عمل شريف في شهر كامل .

كل ذلك يحدث ، بينما تقف السلطة أو الحكومة المفروض أنها وطنية موقف العاجز وتكتفي فقط بوضع التشريعات التي تستهدف تنظيم الدعارة وليس القضاء عليها !!

وهناك قصص لا نهاية لها حول إجبار الآباء والأخوة للبنات والأشقاء على ممارسة الدعارة ، والغريب أن العائد الذي تحصل عليه الفتاة من بيع جسدها يذهب في النهاية إلى تمويل شراء الأفيون والهيروين للآباء والأخوة والقوادين الذين يرفضون العمل في المصانع والمحال التجارية والمزارع ويكتفون باستثمار رصيد الأسرة من اللحم البشري ..

ولا يمكن اعتبار الظروف الاقتصادية الصعبة هي المسئول الوحيد عن هذا التردي الرهيب في مستوى العلاقات العائلية الذي يعتبر أكبر مصدر لتزويد مناطق سياحة الجنس بما تحتاجه من فتيات وأطفال خاصة وأن الإنسان الأسيوي بالتحديد ظل آلاف السنين وهو يعرف بأنه إنسان محدود الاحتياجات والتطلعات والطموحات .

ولكن فجأة ، تحول هذا الإنسان البسيط في قرى تايلاند والفلبين وكوريا الجنوبية إلى نموذج بشع للرأسمالي في أسوأ صوره وأخذ يتبع منهج أن الغاية تبرر الوسيلة وما دامت غايته هي الثراء والتقدم الاقتصادي فكل شيء مباح بما في ذلك العلاقات الأسرية التي كانت مقدسة والقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية .

□□□

وامتد طريق الجنس في آسيا ليصل دولة مثل نيبال عند سفوح جبال الهيمالايا التي شهدت في السنوات الأخيرة أيضاً ظاهرة بيع البنات لاستخدامهن في أسواق الدعارة .

وفي الفترة الأخيرة تم بيع الآلاف من البنات من صغيرات السن في عمر الزهور إلى رجال هنود هدفهم المعلن هو استخدامهن كرقيق يقدمن الجنس والمتعة للراغبين من الهنود الذين يفضلون تلك الصبيات الحسناوات الرقيقات ولكن ماذا بعد تلك ؟ إن هؤلاء الصبايا يلقين للمصير المحتوم وهو الإصابة بمرض بومباي أي الايدز نقصان المناعة المكتسبة والذي يسمونه هناك بهذا الاسم نسبة إلى مكان الرذيلة مدينة بومباي الهندية .

وتعجز صغيرات الضحايا بعد الإصابة بالإيدز عن العودة إلى بلادهن حيث تخور قواهن ويترنحن في الشوارع والطرقات ويفشلن في الرجوع إلى ذويهن خاصة بعد أن تتخلص

المواخير منهن لعدم الاحتياج إليهن . وحاولت الكثيرات العودة ولكن هيهات ، إن مواخير السوبر ماركت غير مستعدة لدفع تكاليف إعادتهن إلى كاتاماندو عاصمة نيبال بل القوادون مستعدون فحسب لنبذهن في العراء فلا ينتظرهن سوى الموت القادم لا محالة .

وتمتلئ مواخير بومباي بما يربو على ١٥٠٠ صبية وفتاة أرغمن على تقديم المتعة إلى الراغبين من الزبائن الذين يدفع الواحد منهم ٥٠ بنساً مقابل ١٥ دقيقة يمارس خلالها الفحشاء مع فتاة قاصر في عمر ابنته ويقال إن الهنود يعشقن هؤلاء الصبايا لأن بشرتهن أي بشرة فتيات الهيملايا تروق لهم .

ويتجاهل القوادون النيباليون البسطاء المخاطر الصحية المهلكة التي تهدد بناتهم ، لأن الكثير منهم يؤمنون بأنه ليس هناك أي خطأ فيما يفعلونه وقد اعترف أحدهم ويدعى «بشنو تامانج» بأنه قام ببيع اثنتين من بناته إلى هذه المواخير وقال إذا كان ابناؤنا الصبيان يتعبون بذهابهم للخدمة العسكرية في البلاد الأجنبية حيث يعملون كجنود في الجيوش الأجنبية فلماذا لا تعمل بناتنا كذلك في البلاد الخارجية !

وبعد أن ظهرت أعراض مرض بومباي على الضحايا الصغيرات أصبحن لا يقدرن على السفر وتحمل المشاق ولم يعد أمامهن سوى أن يحملن على المحفات بعد أن استبد بهن الضعف وأصبحن لا يستطعن صعود المرتفعات أو السير في طريق الجبال الوعرة المؤدية إلى القرى التي جئن منها من قلب جبال الهيمالايا .

ولا يعرف أحد على وجه الدقة أعداد المصابات بفيروس الايدز لكن الحقيقة التي لا جدال فيها هي أن هؤلاء المريضات العائدات لا يلقين الترحيب لدى وصولهن إلى ذويهن حيث يتحولن إلى منبوذات مكروهات ، الجميع يهرب منهن ويزهد فيهن ، خشية الإصابة بالعدوى القاتلة ، والجميع يتوجس منهن خيفة وأولهم بطبيعة الحال الآباء الذين أضاعوا فلذات أكبادهم مقابل المال الذي راح ولكن بقيت لهم المصائب والفضائح وسوء المصير !

ليس هذا فحسب بل يحرم على الهالكات من الفتيات العائدات أن يتلقين مراسم الدفن والجنازة المعمول بها هناك وخاصة إذا كان سبب وفاتهن مرض الايدز الذي يشين صاحبه ويجلله بالعار والشنار ويجعل كل إنسان يتبرأ من المصاب به حتى ولو كانت الفتاة الميتة من أقرب الخلصاء . إن الجميع يفر من الفضيحة .. ويفر الجميع أيضاً من العدوى فلا يغسلون الصبية

أو الفتاة التي ماتت متأثرة بمرض الايدز خوفاً من انتقال فيروس مرض بومباي إليهم بالتالي تلحق المهانة بالضحية سواء في حياتها الدنيا التعيسة أو فيما بعد الممات المرذول .

وهكذا فالثمن غال تدفعه فتاة نيبال مرتين ، في حياتها ، وبعد رحيلها ، ثمناً غالياً لمطامع أبويها .. المرة الأولى بالغروب المبكر من الحياة ، والمرة الثانية عندما لا تجد من يغسلها ويدفنها .. والنتيجة أن عدداً كبيراً من الفتيات النيباليات اللاتي يبلغ عددهم ٢٠٠ ألف في الهند ، يخترن عندما يعلمن بإصابتهم بالايدز البقاء في الهند انتظاراً للموت متسكعات في الطرقات حيث يمتن ميتة الفقراء أو ميتة تقترب من ميتة الحيوانات الضالة .

يقول جينا بهاوي أحد مسئولي مكافحة مرض الايدز في الهند أن هؤلاء النيباليات المسكينات لا يتمتعن بالرعاية الصحية أو التأمين الصحي في القرى التي قدمن منها ولا يجدن أي إنسان يواسيهن في محنتهن بعد ضياع كل شيء وبالتالي يجب عليهن العمل حتى ولو كن غير قادرات على ذلك لدواعي المرض اللعين وترغب بعضهن في ملاقاة الموت هنا مع أصدقائهن وصديقاتهن .

وتقول الفتاة النيبالية «كاتشي» - التي باعها أبواها مقابل ٣٠٠ جنيهاً استرلينيا للقوادين الهنود عندما كان عمرها ١٢ عاماً - اكتشفت أنني مصابة بفيروس الايدز حيث أثبتت التحاليل أنني موجبة الإصابة بفيروس «هايف» حينما بلغت الثامنة عشرة من عمري ولا أستطيع العودة الآن إلى بلادي ولسوف أبقى هنا مع صديقتي «جونت» التي ترعاني وأرعاها ولقد قررنا البقاء إلى الأبد ..

وبعد أن تتخلص المواخير من مريضات الايدز يعود القوادون ثانية إلى نفس القرى في نيبال ليأتوا بضحايا صغيرات أخريات يجندونهن كبغايا وعاهرات ويتردد أن هناك حوالي عشرة آلاف فتاة نيبالية يتم بيعها واستقدامها إلى الهند كل عام لنفس الأغراض وتتعرض بعضهن للاختطاف بالقوة والبعض الآخر يتعرض للمكائد والحيل والخداع بالوعود الوردية وإغراءات العمل والمال إلا أن الغالبية العظمى من الضحايا الصبايا يبيعهن أباؤهن بمحض إرادتهم لحياة الخزي والعار .

وأجمل صبية يمكن الحصول عليها مقابل ٤٠٠ جنيهاً استرلينياً وهو مبلغ يناهز تقريباً ثمن جهاز تسجيل فيديو وتقول الفتيات إنهن يشعرن كما لو كانت حياة الدعارة قدراً مكتوباً على

جبينهن وإنه كان مقدراً لهن أن يصبحن مومسات !!

ويستأجر القوادون رجالاً سفاحين مسلحين لضمان عدم هروب الضحايا ، ويجبرون كل فتاة أن تدفع لقوادها نصف حصيلة دخلها بالإضافة إلى مبلغ جنيه استرليني واحد كرسم للمكان الذي تمارس فيه الرذيلة .

وفي الماضي أخفقت جميع محاولات الانقضاض على تجار الرقيق الأبيض ، والتي أدت إلي فشل جهود المكافحة أو الحد من انتشار هذه المفاسد الاجتماعية ، خاصة وأن سكان بعض مناطق نيبال يعتبرون تجارة بيع البنات تقليداً غير مخل بالشرف !!

ففي غابر الزمان كانت شقراء مناطق نامانج الجبلية المرتفعة التي تتمتع بنعومة البشرة والجمال الخلاب والرقة والفتنة ، كانت تباع على مر العصور والقرون كمحظية وجارية إلى البلاط النيبالي لتزيين القصور والحظوة كمحظية الملك والأمراء والحاشية والنبلاء .

ويعتقد كثيرون من المسئولين العاملين في مكافحة انتشار مرض نقصان المناعة المكتسبة أو مرض بومباي أن الصبايا محكوم عليهن بالإصابة بالمرض اللعين بعد ستة أشهر داخل بيوت الدعارة وبانقضاء هذه المدة يعتدن على هذه الحياة التي يصبحن جزءاً منها ولا يجدن ملاذاً لذلك ، حسبما يقول أحد الأطباء ، تصبح هذه الفتيات ناقمات على أبائهن وعلى المجتمع ولا يغفرون أبداً للأب أو الأم ما اقترفا في حقهن من ظلم وإجحاف مدى الحياة !!

أخيراً بدأت الهند ونيبال في وقت واحد شن حرب واسعة النطاق ضد هؤلاء الذين يبيعون بناتهم أما العقوبة التي تنتظر مثل هؤلاء هي الحياة وراء القضبان خلال ما تبقى لهم من عمر على الأرض .

□□□

ولم يتوقف الأمر عند حد انتشار التدهور الأخلاقي والدعارة الداخلية في الجمهوريات السوفيتية السابقة بل امتد ليشمل تصدير العاهرات إلى بلدان العالم المختلفة ، وأصبحت بيوت الرذيلة وعلب الليل في كل مكان مكدسة بفتيات من الجمهوريات السوفيتية السابقة ، بعضهن يمارسن الدعارة عن اقتناع ، وتواجه الواحدة منهن مصيرها التعس بشجاعة أبطال التراجيديا الإغريقية ، والبعض الآخر سقطن غدراً في مستنقع الرذيلة من خلال شبكات الرقيق

الأبيض وعصابات القوادين التي اندفعت إلى ما كان يسمى باتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية لتنتزع فتياته من أحضان الأمهات وتدفع بهن إلى المواخير وبيوت الرذيلة دون أن تترك لهن أدنى فرص للخلاص .

وهناك قصص عديدة تكشف حجم المأساة منها قصة الفتاة «م» التي هاجرت إلى أرض الميعاد قبل ست سنوات قادمة من رابطة الشعوب السوفيتية ومن موسكو بالتحديد حيث أنهت هناك دراسة الماجستير في العلوم الموسيقية ودرست الجانب النظري والبيانو ، وكانت صدمتها كبيرة عندما لم تجد عملاً في إسرائيل يناسب تخصصها ومهنتها ، فعرضوا عليها التدريس في روضة للأطفال مقابل ألف شيكل في الشهر ، لقد جربت كل أنواع العمل فعملت اثني عشر ساعة في مطعم وكانت تحصل على دخل يقدر بألف ومائتي شيكل في الشهر .. ولكن ارتفاع مستوى المعيشة والغلاء في إسرائيل جعل من المستحيل أن تعيش هي وابنها بمثل هذا المبلغ .. إن ابنها شاب في العشرين من عمره ولد وله كلية واحدة وهو يحتاج من حين لآخر إلى فحوصات طبية إلى علاج خاص ، ولكنه يرغب أيضاً في دراسة التصوير وهي دراسة مكلفة وغالية . ولم تجد أمامها للخروج من أزمتها إلا أقصر الطرق ... إنه طريق الدعارة .. فاستأجرت شقة وبدأت تستقبل الزبائن ... وقالت إن العمل كان يستمر حتى السابعة مساء فقط .. وإنها استعانت بفتاة لكي ترد على المكالمات الهاتفية . وقالت «م» التي وجهت إليها محكمة الصلح في تل أبيب تهمة إدارة بيت دعارة لأنها عملت بالدعارة في منزلها ، إن القانون في إسرائيل يشجع النساء اللاتي يعنيهن العمل بالدعارة بالعمل تحت إشراف سمسار.

وأضافت أنه بخلاف اعتقالها وتقديم لائحة اتهام ضدها فإن موظفي ضريبة الدخل وصلوا إليها أيضاً وقد قال هؤلاء الموظفون ... إنهم نشروا إعلاناً في صحيفة عن الحاجة إلى شابة لطيفة للقيام بعمل تدليك .. هكذا وصلوا إليها وقالوا إنها يجب أن تدفع ضريبة دخل وضريبة القيمة المضافة .. وقالت لهم إذا كانت تعمل فإنها تحتاج إلى نفقات أيضاً على الملابس وعلى الماكياج والمناشف والطعام وعموماً إذا كانت تقوم بعمل غير قانوني فلماذا يجب أن تدفع ضريبة ؟ إنها لا يهمها أن تدفع ، ولكنها فقط تريد أن يتركوها تعمل في هدوء.. والآن وبسبب هذه القضية فقد ذهبت «م»للعمل في مكان يتم فيه التعارف بين الرجال والفتيات عند سمسار .. ومع ذلك فهي تشعر بالهدوء والراحة لأن شخصاً ما هو المسئول أما

هي فلها عملها فقط .. ولحسن حظها كما تقول فإن المكان الذي تعمل فيه هو مكان جميل جداً والأشخاص أيضاً الذين يرتادونه في منتهى اللطف ، والزبائن يحبونها لأنها تشعرهم دائماً بأنها قريبة منهم وهي تتصرف معهم بحب وتعاملهم بصبر وتستمع إلى قصصهم كما لو كانت صديقة مخلصة لهم .. وهناك كثير من الزبائن عرضوا عليها الزواج .. وتقول إن بيعها لجسدها لا يشكل مشكلة لأي شخص .. وفي كل العالم يعتبر هذا الشيء على ما يرام .. وهنا فقط توجد مشكلة ، يقول المحامي (حنان جولد) الذي يمثل «م» .. إن القانون الذي يحدد خمس سنوات سجناً لمن يدير مكاناً من أجل الدعارة يخالف القانون الأساسي لحرية العمل واحترام الإنسان وحريته .. فحسب هذا القانون ، فإن المرأة التي تعمل بالدعارة في منزلها في الحقيقة تخالف القانون .. رغم أن الدعارة ليست جريمة ... وهذا التفسير يجعل النساء فريسة للسمسرة . (إن العاهرة يمكن اعتبارها عاملة أجيرة في بيت الدعارة) هكذا حددت مؤخراً المحكمة الإقليمية للعمل في إعلان يعتبر سابقة عندما رفضت اعتراض صاحب بيت دعارة في بئر سبع على حكم أصدرته ضده القاضية (روث باهات) نائبة القاضي الأول في المحكمة الإقليمية في بئر سبع وألزمت القاضية صاحب بيت الدعارة بأن يدفع للمرأة التي كانت تعمل عنده سابقاً فروقاً مالية بسبب دفع أجر بسيط عن الحد الأدني من الأجر وتعويضاً عن أيام الراحة التي لم تحصل عليها من بيت الدعارة .

وأقرت المحكمة الإقليمية في جلستها في درجة الاستئناف الحكم وأصدرت أيضاً إعلاناً يعتبر سابقة بشأن وضع العاهرة كعاملة أجيرة رغم أن الدعارة وإدارة بيت الدعارة ليست أعمالاً قانونية في إسرائيل ..

وقالت العاهرة إنها كانت تقدم للزبائن خدمة التدليك الطبي وكانت تحصل على أجر قيمته ألف شيكل في الشهر .. وقال صاحب بيت الدعارة ، إنها عملت كعاهرة وإنه حسب طلبها قدم لها شيكات أجر صورية لكي يكون لها تأمين طبي .

ولم تنجح القاضية في تحديد من الذي يقول الحقيقة .. واتخذت قرارها على أساس حقيقة أنه لم تكن هناك خلافات في الرأي بين الطرفين على أن المرأة عملت فعلاً في وظيفة كاملة .

وهذه قضية تحقق فيها الشرطة الإسرائيلية واتهم فيها أربعة شركاء كانوا يمتلكون معاً معهداً للتدليك يقع جنوب تل أبيب ، ولكن نزاعاً نشب بينهم فانفصل اثنان وافتتحا معهداً

خاصاً بهما . ولكنهما لم يسلما من شريكيهما السابقين فلا يكاد يمر يوم إلا ويتعرضان للتهديدات وسوء المعاملة والابتزاز .. إلا أنهما لم يخضعا رغم كل الضغوط ووصل الأمر إلى ذروته قبل عدة أيام عندما وصل أحد المبتزين ومعه مسدس أطلق منه عدة رصاصات على الحارس الذي يحمي المكان والذي استأجره الشريكان خصيصاً لهذا الغرض .

وجددت محكمة الصلح في تل أبيب اعتقال المتهم «شالوم حين» البالغ من العمر أربعة وعشرين عاماً لمدة أربعة أيام بتهمة إطلاق النار علي حارس معهد التدليك الواقع في شارع «بوجرشوق» رقم ١٥ بتل أبيب .. صاحب معهد التدليك خرجا عن صمتهما وكشفا للشرطة الحرب الدائرة حول السيطرة على فرع المعهد الكائن بتل أبيب واتضح من المادة التي توافرت لدى محققي الشرطة في منطقة اليركون أن الشركاء السابقين حاولوا أكثر من مرة ابتزاز زميليهما اللذين انفصلا عنهما وطلبا منهما (بدل حماية) أي ما يقدر بنسبة ٣٠ ٪ من الأرباح .. وبلغة المجرمين يسمى هذا مشاركة في الأرباح ولكن ليس في الاستثمار . أصحاب المعهد الجديد رفضا الدفع رغم ما تعرضا له من تهديد على يد الشركاء السابقين الذي وصل إلى حد إطلاق النار على قدميهما أثناء عودتهما إلى منزلهما في نهاية الليل وقيام الشركاء السابقين أيضاً بتحطيم زجاج المكان وإصابة أحد أصحاب المكان بجروح .. وهنا قرر أصحاب المعهد الجديد الرد على هذه الحملة الشعواء فتوجهوا إلى شخصية معروفة ومشهورة في عالم الجريمة وطلبوا منه الحماية ... فتوجه هذا الشخص إلى الشركاء القدماء وأعلن لهما أنه من الآن عليهما التعامل معه لأنه صاحب المكان .

وهنا ارتدع المبتزون مؤقتاً ولمدة ثلاثة أشهر ، ولكنهم عاودوا الكرة مرة أخرى قبل عدة أيام وطلبوا الدخول كشركاء في الأرباح وأشهروا مسدساتهم في وجه أصحاب المكان حسب رواية الشهود وهددوا بأنهم سيقتلون صاحب المكان إذا لم يستجب لطلبهم .

وهكذا ساد الفزع في المكان ... ومرة أخرى لم يخضع أصحاب المكان واستأجروا شخصاً ضخم الجثة ومفتول العضلات ليحرس لهم المكان كما وضعوا كاميرا فيديو دائرة مغلقة حتى يشاهدوا كل من يريد الدخول إلى المكان ... لكن رجال العصابة من القادمين الجدد من «جروزيا» عادوا مرة أخرى وهددوا أصحاب المكان بأن هذا آخر إنذار لهم قبل أن يستخدموا السلاح .. ولم يخضع أصحاب المكان هذه المرة أيضاً .. وقبل أيام نزع مجهولون كاميرا

الفيديو التي كانت موضوعة بالمدخل .. ولم يقدم أصحاب المكان شكوى للشرطة هذه المرة أيضاً إلى أن جاء حادث إطلاق النار على الحارس حيث أصيب برصاصتين في بطنه ولكنه بسبب صحته القوية وضخامته لم يهتز وتحمل وجود الرصاص وخرج على قدميه وركب سيارة الإسعاف التي كانت تقف خارج المكان .. وكان شخص ملثم هو الذي أطلق الرصاص على الحار .. واتهم أصحاب المكان شركاءهما السابقين فسارعت الشرطة إلى منزل أحدهما وتم اعتقاله بتهمة إطلاق الرصاص على الحارس والتسبب في إحداث تلفيات بالمكان وإثارة الرعب والفزع بين رواد المعهد العاملين به من الفتيات ..

لكن المتهم نفى التهم التي وجهتها إليه الشرطة ولم يظهر أي تعاون مع المحققين ورغم نفي محاميه للتهم الموجهة إليه إلا أن القاضي أمر بتجديد اعتقاله بموافقة كل الأطراف لمدة أربعة أيام على ذمة التحقيق .. وهذا مجرد نموذج لحوادث يومية تحدث من المهاجرين الجدد إلى إسرائيل والتي تنتهي دائماً بالسجن أو بالترحيل من أرض الميعاد .

أكدت بيانات شعبة الآداب في شرطة تل أبيب أن فرع الدعارة يمر بحالة من الانتعاش لم يسبق لها مثيل .. ففي منطقة «جوش دان» فقط يوجد ٨٥٠ فتاة يعملن بالدعارة .. كما يوجد ما لا يقل عن ٨٥ بيت دعارة وهي ما يطلقون عليه اسم معاهد تدليك أو معاهد علاج طبيعي وهناك أيضاً خمسة عشر نادياً للاستعراضات الحية .

وتقول محاضر البوليس أن رجال الشرطة السرية هاجموا مؤخراً بيتاً للدعارة بعد أن قدم الجيران شكوى إلى الشرطة .. وحسب الإجراءات تم اعتقال العاهرات وتم أخذ أقوالهن ثم أطلقوا سراحهن بضمانات ، وأحد هذه الضمانات هو كتابة تعهد تلتزم فيه العاهرة بالتوقف عن العمل في هذه المهنة .. ورفضت اثنتان من العاهرات اللاتي تم القبض عليهن التوقيع على التعهد وعللتا رفضهما للشرطي السري بأنهما من المهاجرات الجدد وليس لهما مورد رزق يحصلن منه على المال ولا تملكان أي نقود وأنهما إذا توقفتا عن العمل في هذه المهنة فإن أطفالهما سيموتون من الجوع ولن تجدا أيضاً المال اللازم لدفع أجر السكن .

وتشير الإحصائيات إلى أن مهنة الدعارة (هكذا يعتبرها الإسرائيليون) وصلت في بداية عام ١٩٩٧ في أشهر مدينة عبرية (تل أبيب) إلى أبعاد لم تحدث من قبل ، ويقولون إن العدد الضخم من العمال الأجانب أدى إلى ازدهار لم يسبق له مثيل وإلى إقبال كبير على هذا الفرع

فخلال عامين تضاعف عدد العاملات بالدعارة وعدد بيوت الدعارة ، والعهدة في ذلك على ما أوردته صحيفة يديعوت أحرونوت التي ذكرت أيضاً إلى أنه وفقاً لبيانات من شعبة الآداب التابعة لشرطة تل أبيب فإن حوالي مائة فتاة تعملن اليوم في «جواش دان» بالدعارة في الشوارع (أي ليس لهن مقر ثابت) وتحصل العاهرة في الشارع على حوالي خمسين شيكل كأجر لها ... كما يوجد في «جويش دان» حالياً حوالي ٨٥ بيت دعارة وهي ما يطلقون عليها اسماء أخرى للتمويه مثل معاهد للتدليك . أو معاهد صحية . وهناك أيضاً خمسة عشر نادياً لاستعراضات البوب . وبالنسبة للثمن الذي تحصل عليه العاهرة نظير ما تقدمه من متعة للزبون فإنه يحدد بما يتناسب ودرجة الجمال ... فالسعر يتراوح بين ٨٠ إلى ٢٠٠ شيكل .. وحسب بيانات شعبة الآداب ، فإن حوالي ٧٥٠ عاهرة تعملن في الفرع تكسبن رزقهن بشكل غير سيئ في المعاهد الصحية .. وبالإضافة إلى المعاهد فإن حوالي ثلاثين (مكتب للمصاحبة) تعمل في تل أبيب وعن طريق هذه المكاتب يستدعون تليفونياً عاهرات لمنازل خاصة أو فنادق ويتراوح السعر ما بين ٢٥٠ إلى ٤٠٠ شيكل ويضاف إلى ذلك «بقشيش» للسيدة .

ويوجد أيضاً حل لمن يرغب في المشاهدة فقط .. ففي تل أبيب يعمل خمسة عشر نادياً للاستعراضات .. وفي هذه النوادي توجد عروض حية لفتيات عرايا وممارسة الجنس .. وسعر الدخول ثلاثين شيكلا . وقد ارتفع مؤخراً عدد نوادي (العروض الحية) في تل أبيب إلى ستة عشر تقريباً .. وخلال عام ١٩٩٦ اعتقل رجال الشرطة السرية ٣٦٨ سائحة عملن كعاهرات تم ترحيلهن جميعاً إلى بلادهن ..

وقد نشرت الصحف العالمية تفاصيل رحلة العذاب التي تقطعها فتيات الجمهوريات السوفيتية السابقة حتى تصلن إلى دولة مثل إسرائيل تنتشر فيها الدعارة بشكل لا مثيل له في منطقة الشرق الأوسط .

وأشارت هذه التقارير الصحفية إلى أن أثرياء العرب يتوجهون الآن إلى إسرائيل للتمتع بلحم الفتيات الروسيات الأبيض حيث يعبرون الحدود الأردنية الإسرائيلية وخلال ساعتين بالسيارة يكونون في قلب تل أبيب مدينة الفسق والفجور والدعارة .. فعلى امتداد ساحل المدينة المطل على البحر الأبيض ، تزدحم الطرقات بالسيارات الفاخرة التي تحمل لوحات أرقام أردنية سمع أصحابها قصص الملكات الشقراوات اللاتي تدفقن إلى إسرائيل من لاتفيا

وليتوانيا وأوكرانيا وبقية الجمهوريات السوفيتية السابقة .

وتقول الشرطة الإسرائيلية إن حوالي ثلاثة آلاف فتاة يمارسن البغاء في الفنادق ومراكز المساج (التدليك) من بيوت الدعارة التي انتشرت في تل أبيب والقدس ومنتجع إيلات على ساحل البحر الأحمر . وتؤكد الشرطة وجود مافيا محلية لاستيراد ملكات اللذة يقودها المهاجرون الروس والأوكرانيون والجورجيون ورجال الأعمال الإسرائيليون .

ويقول أحد كبار المسئولين في الشرطة الإسرائيلية إن البغاء أصبح ظاهرة في إسرائيل ، وإن هؤلاء البغايا يتم إغراؤهن بالسفر إلى إسرائيل بوعود كاذبة بإيجاد وظائف محترمة لهن يستطعن من خلالها تحصيل رواتب كبيرة . وبمجرد الوصول إلى إسرائيل تكتشف الفتيات أنهن دخلن في مصيدة ، وأن الطريق الوحيد للخلاص هو تلبية مطالب مستخدميهم العاجلة والملحة .

فقبل الوصول إلى إسرائيل يقوم عملاء الشبكة في الخارج بعرض مرتبات تصل إلى ٢٠٠٠ دولار شهرياً للعمل بتقديم المشاريب والمأكولات في المطاعم أو كعاملات تليفون أو سكرتيرات أو مدلكات بمراكز المساج . وبمجرد الوصول إلى مطار بن جوريون في تل أبيب تتغير القصة تماماً ، فيقوم القوادون بجمع جوازات سفرهن ونقلهن إلى أماكن العمل الجديدة . ثم يسمح لهن براحة لمدة ٢٤ ساعة قبل أن تبدأ المحنة أو رحلة العذاب .

وتقول سونيا (٢٣ سنة) وهي سيدة مطلقة ولها طفلان ، وكانت تعيش في منطقة ريجا بلاتفيا : «عندما دخلت المكتب قابلت ثلاث فتيات أخريات استطعت أن أتبين من وجهيهما أن هناك شيئاً غير طبيعي . ولكن قبل أن أتمكن من الحديث إليهن أمرهما أحد الأشخاص بالدخول في حجرة أخرى . وعندما قلت : متى سأبدأ عملي كمضيفة في مطعم ، جاء الرد بأن هذا الأمر سوف يستغرق عدة أيام حتى يتمكنوا من إنهاء تراخيص العمل» . وفي صباح اليوم التالي جاء رجل آخر إلى المكتب وقال إن لديه وظيفة أفضل ! سوف أرافق رجال الأعمال والسفراء ورجال السياسة . ثم طلب لي تاكسياً وأخذني إلى أحد الفنادق في تل أبيب وأمرني بالتوجه إلى حجرة رقم ٣٠٤ لانتظار زبون مهم جداً .

وعندما دخلت الحجرة فوجئت بالزبون ملتفاً في ملاءة وراقداً على السرير وبدون مقدمات أمرني بالتجرد من ملابسي لأنه مشغول جداً وليس لديه وقت يضيعه . وبالطبع رفضت ما

طلبه ولكنه اتصل بالمكتب ليشتكي وخلال دقائق دخل الحجرة رجلان لم أقابلهما من قبل صفعني أحدهما على وجهي وهدداني بالقتل إذا لم أرضي الزبون . ومنذ تلك اللحظة أصبحت مرغمة على إرضاء خمسة عشر زبوناً على الأقل كل يوم .

وتقول سونيا لم أكن أتمنى أبداً أن أصبح عاهرة ولكن الخوف هو الذي دفعني لذلك .

□□□

وتعد ممارسة البغاء من النشاطات غير المشروعة رسمياً في إسرائيل ولكن الشرطة الإسرائيلية نادراً ما تضع القوانين موضع التنفيذ . وعندما تقوم الشرطة بالإغارة على بيوت الدعارة لا يلحق الأذى إلا الأجنبيات . ولأن معظم هؤلاء الفتيات يحملن جوازات سفر وبطاقات شخصية مزيفة يتم نقلهن إلى السجون ثم ترحيلهن من البلاد بسرعة . أما القوادون والسماسرة فينجون بأحكام مخففة أو موقوفة .

وفي اعترافات هؤلاء الفتيات أمام الشرطة ، تصف الكثيرات منهن هذا العمل بأنه أحد أشكال العبودية . وتذكر هؤلاء الفتيات أنهن يتعرضن للاغتصاب والضرب المبرح من جانب القواد بجانب عجزهن عن الهرب بسبب الحراسة المفروضة عليهن لمدة ٢٤ ساعة في اليوم .

ويدفع كل زبون مبلغاً قدره ١٠٠ دولار ثمناً لساعة واحدة من المتعة ، ولكن الفتيات يحصلن على أقل من ١٠ ٪ فقط من هذا المبلغ وبالشيكل وليس بالدولار .

وحتى هذه النسبة كثيراً ما يقوم القواد بمصادرتها كمقابل للطعام والمشروبات والسكن .

وذات مرة استدعيت ناتاليا (٢٤ سنة) وهي ممرضة من كييف بأوكرانيا أمام محكمة مكونة من ثلاثة قوادين . وضُربت ناتاليا بقسوة بعد رفضها تفسير غيابها لمدة ٣ ساعات ، وقضت المحكمة بتغريمها ٣ آلاف دولار .. وهذا يعني أن ناتاليا سوف تعمل لمدة شهر على الأقل بدون مقابل وأصبح عليها الاعتماد على البقشيش الذي يدفعه الزبائن لشراء الطعام والسجائر . وقد يصل جشع بعض القوادين إلي حد ارتكاب جرائم قتل .. ففي شهر مايو الماضي رفضت أنجليكا بتروفسكي (٣٠ سنة) تسليم ١٠٠ شيكل حصلت عليها من أحد الزبائن في القدس فقتلها قوادها بمساعدة ثلاثة من أصدقائه وألقوا بجثتها بالقرب من مدينة رام الله في الضفة الغربية لكي تعتقد الشرطة أنها قتلت على أيدي العرب.

وتقـول مـيلي (٢٩ سنة) من تبليس بجـورجـيـا : «إن أفـضل زبائني هم الأردنيـون والفلسطينيون لأنهم يحسنون تقدير الجمال ويعرفون كيف ينهلون منه ، فهم يعشقون طقوس العربدة التي تضم فتاتين على الأقل . ومن بين أحسن زبائني ضابط شرطة فلسطيني كبير ، يعطي قبل انصرافه ٢٠٠٠ دولار لكل فتاة ويوزع علينا العطور والبارفانات . ومن بين الزبائن الإسرائيليين أيضاً رجال أعمال وضباط شرطة ، ولكن الفتيات تعترفن بأنهم ليسوا في كرم أثرياء العرب ... وقد شهدت ضاحية سافيون الغنية نهاية سعيدة لقصة حب طرفاها عاهرة روسية ورجل أعمال إسرائيلي انتهت بالزواج . وقد فشلت الشرطة الإسرائيلية حتى الآن في اقتحام مافيا الدعارة التي تحقق عائداً سنوياً قدره ٤٥٠ مليون دولار . وتشكو من عدم توافر الخبرة والقوة البشرية ، وكذلك عوامل التحفيز اللازمة لمواجهة القوادين المحترفين والمحنكين في هذه العمليات الإجرامية . وحتى رجال القضاء يقفون أيضاً مكتوفي الأيدي عاجزين عن فعل شيء إزاء هذه الظاهرة اللا إنسانية ، لأن الفتيات يرفضن الإدلاء بشهادتهن في محاكم علنية .

وفي إحدى القضايا ندد القاضي ناتان إيفراتي بموقف الادعاء بشدة بسبب قبوله المساومة مع أحد القوادين ويدعى سوسو ميكالا شويلي (٣٤ سنة) وهو مهاجر من جورجيا متهم باستخدام جوازات سفر مزيفة لجلب العاهرات من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق .. وبسبب هذه المساومة عدلت الاتهامات إلى الشروع في جريمة القوادة ومساعدة الأجانب على الإقامة غير المشروعة في إسرائيل ، وقد حكم القاضي بتغريم ميكالا شويلي ٤٠٠٠ دولار وقضاء شهرين في الخدمة الجماعية ، ووصف القاضي ميكالا شويلي بأنه ذو دوافع تتركز على جمع الأموال وكل ما يسيطر على تفكيره هو استيراد النساء للعمل بالدعارة . وقال إن البغاء تحول إلى صناعة وتجارة متطورة .

كان ميكالا شويلي أحد أعضاء الشبكة العالمية التي تجلب الفتيات من لاتفيا إلى إسرائيل. وعندما هاجمت الشرطة مركز التدليك الذي تمتلكه الشبكة في تل أبيب قالت السيدتان سيفيلتانا وايرينا إنهما احتجزتا كرهينتين منذ وصلتا إلى إسرائيل . وقصة سيفيلتانا تجسيد دقيق لأسلوب عمل هذه المافيا . ففي وقت مبكر من هذا العام ذهبت سيفيلتانا لإجراء مقابلة وفقاً لإعلان بطلب موظفين للعمل في إسرائيل قرأته في إحدى

الصحف في بلدة ريجا مسقط رأسها .. وأخبرتها السيدة التي أجرت معها المقابلة بأنها سوف تعمل كمدلكة في مركز مساج ووعدتها بمرتب كبير . ثم أعطت سيفيلتانا تذكرة قطار إلى موسكو ودبرت لها المافيا مسكناً في شقة هناك . وأثناء الأسبوع الذي قضته في موسكو أعطيت جواز سفر مزور وتذكرة طيران إلى تل أبيب . وقد اعترفت سيفلتانا وإيرينا أمام الشرطة ولكن أثناء استجوابهن في إحدى مراحل التحقيق تركهما رجال الشرطة بمفردهما مع ميكالا شويلي ، والتقطت كاميرات الفيديو صورة له ويداه حول عنقه كتحذير لهما بما سوف يحدث إذا شهدتا ضده وبالفعل غيرت السيدتان أقوالهما لصالح ميكالا شويلي .

ويقول الدكتور إيشر إيلام ، وهو عالم اجتماع إسرائيلي وعضو مؤسس لإحدى جماعات مناصرة المرأة تحمل اسم «نحن شرفاء» إن الشيء المؤسف هو تجاهل الشرطة لما يحدث وأن السلطات تعتقد على مايبدو أن وجود بعض العاهرات مفيد لمجتمع سليم ومعاف . ولكن من غير المعقول أن تجيز أو نسمح بالاتجار في البشر في مجتمع يزعم أنه مجتمع ديموقراطي حديث.

□○□



الشرق الأوسط ..
والاستراتيجية الأمريكية

ما دامت إسرائيل موجودة

سيظل الشرق الأوسط محل اهتمام

كل مسئول وكل مخطط سياسي

أو عسكري أمريكي .

للشرق الأوسط مكانة هامة في التخطيط الاستراتيجي الأمريكي .. ومبررات ذلك عديدة.

فهذه المنطقة تتوسط ثلاث قارات هي آسيا وأفريقيا وأوربا .. وهي مصدر ضعف وخطر بالنسبة لحلف الأطلنطي وهي المستودع الهائل للبترول الذي لا يستغني الغرب عنه وهي أيضاً المنطقة التي توجد بها إسرائيل حيث تلتزم كل الحكومات الأمريكية بتفوق الدولة اليهودية .. كما أن الشرق الأوسط كان يُنظر إليه في واشنطن على أنه أقرب المناطق للتأثر بالنفوذ والهيمنة الشيوعية السوفيتية ..

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار الشيوعية في بداية التسعينيات كانت نهاية الحرب الباردة ، اعتقد الكثيرون أن أهمية الشرق الأوسط سوف تتراجع في التخطيط الاستراتيجي الأمريكي .. وكان هذا الرأي قد تردد من قبل عند امتلاك أمريكا للصواريخ عابرة القارات وغواصات بولاريس بعيدة المدى حيث قال بعض المراقبين إن أمريكا لم تعد بحاجة لقواعد عسكرية على مقربة من الاتحاد السوفيتي بعد أن أصبح بوسعها توجيه ضربات مؤثرة من مسافات بعيدة !!

وعادت هذه النغمة للظهور في بداية التسعينيات عندما تحدث البعض عن تضاؤل أهمية إسرائيل في التخطيط الاستراتيجي الأمريكي وذلك لسببين أساسيين :

الأول : هو زوال الحرب الباردة وانتهاء التهديد السوفيتي .

والثاني : هو أن معظم الدول العربية أصبحت صديقة وحليفة لأمريكا .. ورغم ذلك ، لم تتحقق هذه التوقعات .. واستمر الشرق الأوسط يشغل مكانة أساسية في التخطيط الاستراتيجي الأمريكي وسوف يظل هذا الموقف على ماهو عليه حتى لو نفد بترول الشرق الأوسط ولم يعد الغرب يعتمد على هذه المنطقة كمصدر للطاقة .

وهنا يثور سؤال .. لماذا ؟

والإجابة ببساطة وفي كلمة واحدة هي إسرائيل ..

فما دامت إسرائيل موجودة ، سيظل الشرق الأوسط محل اهتمام كل مسئول ومخطط سياسي أو عسكري أمريكي ..

وربما يربط الأمريكيون اهتمامهم الدائم بهذه المنطقة إلى عناصر عديدة مثل الإرهاب أو الاستقرار في العالم أو أي شيء آخر . ولكن ستبقى إسرائيل هي السبب الحقيقي لهذا الاهتمام مهما حاول الأمريكيون إخفاء ذلك ..

إن لدى وزارة الدفاع الأمريكية .. البنتاجون ، خططاً جاهزة للتدخل العسكري في مناطق عديدة من العالم إذا حدثت تطورات محددة ومنها :

١ - أن تتعرض حدود إسرائيل لهجوم عربي

٢ - أن تقوم كوريا الشمالية بغزو كوريا الجنوبية .

٣ - أن تحدث تطورات خطيرة في كوبا .

٤ - أن تتعرض المصالح الأمريكية العليا لأي خطر .

□□□

إذن، فإن حماية إسرائيل وتأمينها يمثل أحد أهم عناصر التفكير الاستراتيجي الأمريكي ويعد قضية شديدة الخطورة لدرجة تدخل القوات المسلحة الأمريكية بشكل مباشر في عمليات عسكرية .

والغريب ، أن الكثيرين من عمالقة الفكر السياسي الأمريكي المعاصر ، يرون أن تدخل الولايات المتحدة بقواتها المسلحة لحماية إسرائيل يمثل عملاً يستهدف احتواء الصراع في منطقة الشرق الأوسط بل وخدمة السلام العالمي ... ويقول هؤلاء إن هذا التدخل الأمريكي يحول دون حدوث إحدى كارثتين :

الأولى : هي دمار إسرائيل .

الثانية : هي أن تلجأ إسرائيل لاستخدام الأسلحة النووية التي تمتلكها ضد العرب إذا

أحست بالخطر .

□□□

ومن هذا المنطلق كان الفكر الاستراتيجي الأمريكي وما زال يطرح بعض البدائل الأمريكية لهاتين الكارثتين ، وتشمل هذه البدائل : إرسال أحدث الأسلحة على جناح السرعة إلى إسرائيل أو تزويد المدن الإسرائيلية بغطاء جوي أمريكي من طائرات الأسطول السادس في البحر المتوسط أو قصف القوات العربية على الأرض أو تقديم معلومات شديدة الحساسية إلى الجيش الإسرائيلي لترجيح كفته في القتال أو إنقاذه من الهزيمة . وكان هذا الخيار الأخير هو ما لجأت إليه الولايات المتحدة في حرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما قدمت للجيش الإسرائيلي معلومات لا تقدر بثمن حول أفضل مكان في الجبهة المصرية يستطيع الجنرال إريل شارون من خلاله أن ينفذ خطة الثغرة الشهيرة عند الدفرسوار . وكان هذا المكان هو منطقة المفصل بين الجيشين الثاني والثالث على الجبهة المصرية ..

وفي نفس الوقت ، كان التخطيط الاستراتيجي الأمريكي وما زال يعتمد على أن تقدم الولايات المتحدة لبعض الدول العربية وخاصة مصر والأردن الأمل في الوصول إلى موقف أمريكي منصف إذا استمرت في الحوار مع واشنطن . وقد انضم الفلسطينيون مؤخراً إلى مجموعة «الحالمين العرب» التي تأمل في موقف أمريكي نزيه وغير منحاز في الصراع العربي الإسرائيلي على أساس أن مثل هذا الموقف سيكون تأثيره هائلاً في ضوء الاعتماد الإسرائيلي شبه الكامل على الدعم الأمريكي .

□□□

وهناك نظرية أخرى تتردد في أروقة الإدارة الأمريكية ولها صداها الواضح في الكونجرس والصحافة الأمريكية .. هذه النظرية ترى ببساطة ضرورة الحفاظ على قوة إسرائيل العسكرية في مستوى أعلى من القوة العربية مجتمعة . والهدف من ذلك كما يقول أنصار هذه النظرية هو ردع أي هجوم عربي على إسرائيل ، ولأن اتباع أي سياسة أمريكية متوازنة في الشرق الأوسط يمكن أن يضعف قوة إسرائيل ويقلل من قدرتها على المساومة أو التفاوض مع العرب وبالتالي تنتعش القوى المتطرفة في العالم العربي وتبالغ في مواقفها ومطالبها سواء من إسرائيل أو من أمريكا .

لهذا السبب ، يؤكد أنصار هذه النظرية أهمية دعم إسرائيل دبلوماسياً وعسكرياً حتى تستطيع أن تتعامل وحدها مع العرب وأن تحمي نفسها وأيضاً المصالح الأمريكية دون حاجة لمخاطرة أمريكا بالتدخل العسكري المباشر أو الخضوع لابتزاز القوى العربية المتطرفة . وفي هذه الحالة ، سوف يدرك العرب أن الحل العسكري مستحيل والحل السياسي لن يكون ممكناً إلا بتغيير المواقف العربية وتقديم التنازلات التي تطلبها إسرائيل .

□□□

وخلال حوار مع أستاذ أمريكي كبير في العلوم السياسية بجامعة هارفارد قال لي :

لا تصدق أن الولايات المتحدة ليست معنية بشكل السلام الذي يتفق عليه العرب والإسرائيليون . فواشنطن تريد سلاماً لا يضعف إسرائيل حليفها الأساسي في منطقة الشرق الأوسط .. وواشنطن تريد سلاماً يتيح لإسرائيل الهيمنة بشكل أو بآخر على مواقع شديدة الحساسية مثل قناة السويس والبحر الأحمر .

والأخطر من ذلك ، أن تلبية مطالب القوى الراديكالية العربية في اتفاق السلام المقترح مع إسرائيل من شأنه إضعاف موقف دول البترول العربية المحافظة التي ربما تتعرض لضغوط تشبه تلك التي كانت تواجهها في الستينيات .

إذن فالتسوية التي تريدها واشنطن ، بصرف النظر عما يريده العرب والإسرائيليون ، هي تسوية تتيح الحفاظ على استمرار التفوق الإسرائيلي وفي نفس الوقت لا تؤدي إلى انتعاش أوهام القوة والانتصار لدى القوميين أو الراديكاليين العرب بحيث تواصل إسرائيل دورها في المنطقة خلال السلام بنفس الطريقة التي مارست بها هذا الدور خلال سنوات الحرب .

وأعترف بأني أصبت بصدمة كبرى عندما سمعت من مسئول بالخارجية الأمريكية جملة رهيبة تقول «من الناحية النظرية البحتة ، يمكن القول إن الولايات المتحدة قد تعترض على اتفاق سلام يتوصل إليه العرب والإسرائيليون إذا تجاهل هذا الاتفاق أي شكل من أشكال المصالح الاستراتيجية الأمريكية» .

وسبب إحساسي بالصدمة أن هذا الاتجاه أو الموقف الأمريكي من عملية السلام في الشرق الأوسط لم يسبق تناوله بالتحليل من جانب أي سياسي أو مراقب عربي ، ولأن جميع المسئولين

الأمريكيين بدءاً من الرئيس وحتى أصغر موظف في الخارجية يتحدثون دائماً عن الحياد التام وإتاحة الفرصة كاملة للأطراف لكي يتفقوا على أي شيء ..

وأحسست أنه من الضروري لكي أفهم هذه الجملة التي قالها مسئول الخارجية الأمريكية أن أرجع إلى أوراقي لكي أبحث عن ملامح «جديدة» أو بمعنى أصح «قديمة» للدور الأمريكي في جهود السلام بالشرق الأوسط .

ووجدت أنه من الممكن ، دون الكثير من التجاوز ، اعتبار الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون هو أول رئيس أمريكي يفكر في عملية شاملة أو «ميكانيزم» للتوصل إلى تسوية سلمية للصراع في الشرق الأوسط .

ففي شهر فبراير ١٩٦٩ ، عقد اجتماع لمجلس الأمن القومي الأمريكي برئاسة نيكسون لبحث قضية الشرق الأوسط . وكانت هناك عدة بدائل أمام نيكسون .. البديل الأول هو الاستمرار في سياسة الرئيس السابق ليندون جنسون .. أي الدبلوماسية الهادئة والدعم القوى لإسرائيل في القضايا الرئيسية مثل السلاح والأرض .. أما البديل الثاني فكان هو القيام بنشاط أمريكي فعال بحثاً عن تسوية سلمية سواء شاملة أو جزئية .

وكان التصور الأمريكي في ذلك الحين هو مشاركة الاتحاد السوفيتي في هذا النشاط بحيث تستعمل واشنطن نفوذها لدى إسرائيل وتضغط موسكو على مصر .

والغريب أن الهدف الأمريكي الحقيقي من وراء إشراك السوفيت في هذا الجهد السلمي المقترح لم يكن هو توفير فرصة نجاح أكبر بل كان ببساطة هو أن تتوتر العلاقات السوفيتية المصرية ، بسبب الضغوط التي ستمارسها موسكو على القاهرة ، وبالتالي تستطيع الولايات المتحدة في مرحلة تالية أن تستأثر بالعملية السلمية برمتها وتصبح هي الوسيط الوحيد بين مصر وإسرائيل .

وكان هذا بالتحديد هو ما تحقق في كامب ديفيد بعد حوالي عشر سنوات من اجتماع مجلس الأمن القومي في وشنطن برئاسة نيكسون . وكان مهندس هذا التصور هو داهية السياسة الأمريكية هنري كيسنجر مستشار الأمن القومي وزير الخارجية الأمريكية السابق .

□□□

ويقول وليم كوانت رئيس مكتب الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي الأمريكي سابقاً إن مصر بدأت في عام ١٩٦٩ في إظهار خطورة الموقف بالمنطقة .. وتصاعدت العمليات العسكرية على طول قناة السويس في إطار حرب الاستنزاف ضد المواقع والأهداف الإسرائيلية. وتوجه أندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتي في ذلك الحين إلى القاهرة ثم عاد إلى موسكو وأرسل للأمريكيين يبلغهم باستعداد بلاده للسعي من أجل الحصول على التزام مصري بالسلام بشرط أن تعلن الولايات المتحدة أنها تؤيد انسحاباً إسرائيلياً شبه تام إلى حدود ما قبل ١٩٦٧ .. وردت واشنطن بأن ذلك يتطلب ضمانات مصرية مسبقة بأن يسود السلام مع إسرائيل في المستقبل .

ورغم معارضة إسرائيل تقدمت واشنطن في ٢٨ أكتوبر ١٩٦٩ باقتراح لتسوية مصرية إسرائيلية . وفي ٩ ديسمبر من نفس العام وصف وزير الخارجية وليام روجرز الخطوط العريضة للمبادرة التي حملت اسمه بعد ذلك وقال صراحة : «ليس في العالم اليوم منطقة أكثر أهمية من الشرق الأوسط لأنها يمكن أن تصبح بسهولة مصدراً لاشتعال الحرب . ولا يستطيع أطراف الصراع وحدهم أن يتغلبوا على ميراث الشك في سبيل التوصل إلى تسوية سياسية .

ومضى روجرز قائلاً : نعتقد أنه مع ضرورة وجود حدود سياسية معترف بها ومتفق عليها من قبل أطراف النزاع ، فإن أي تبديل في الخطوط القائمة من قبل يجب ألا يعكس ثقل الاستيلاء ويجب أن يظل في إطار تغييرات طفيفة يقتضيها الأمن المتبادل .

وهكذا ، أشار روجرز إلى انسحاب إسرائيل لخط الحدود مع مصر ثم تسوية المشكلتين الصعبتين اللاجئين والقدس .. بحيث لا تكون هناك ترتيبات خاصة سوى في غزة والقدس .

وفي نهاية ديسمبر ، طرحت الولايات المتحدة مقترحات لتسوية أردنية إسرائيلية قريبة جداً من الخطة المصرية الإسرائيلية .

وقد رفض الاتحاد السوفيتي المقترحات الأمريكية بينما كانت واشنطن منشغلة بفتح حوار مع الرئيس جمال عبد الناصر . ولكن إسرائيل بدأت غاراتها الجوية في العمق المصري وطلبت المزيد من طائرات الفانتوم وسكاي هوك الأمريكية لتستعرض بها قوتها . وتوالت تقارير السفارات الأمريكية في الشرق الأوسط تحذر من تقديم هذه الطائرات لإسرائيل لأن ذلك سيعني هجوماً واسع النطاق على جميع المصالح الأمريكية في العالم العربي .

وأخيراً أعلن روجرز في ٢٣ مارس ١٩٧٠ تجميد إمداد إسرائيل بهذه الطائرات وتعويض الإسرائيليين بمساعدات اقتصادية قيمتها ١٠٠ مليون دولار ..

وقام الرئيس عبد الناصر بزيارة سرية إلى موسكو أقنع خلالها القادة السوفيت بتزويد مصر بصواريخ سام - ٣ المتطورة مع أطقم خبراء وطيارين سوفيت للمساعدة في التصدي للعربدة الإسرائيلية .

وقررت الإدارة الأمريكية بذل جهد جديد لفتح حوار مباشر آخر مع عبد الناصر بعد أن أصيبت واشنطن بالقلق من التزايد الهائل للنفوذ السوفيتي في مصر .

وفي أبريل ١٩٧٠ ، وصل إلى مصر جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الأمريكية .. وعرض عليه أن تستأنف أمريكا جهودها السلمية في الشرق الأوسط ولكن عبد الناصر رد عليه بأن الولايات المتحدة ليست على استعداد للقيام بسياسة متوازنة للتسوية ولكن سيسكو قال : إننا نطلب فقط أن «تجربنا» !!

وفي أول مايو ، قرر ناصر أن يجرب أمريكا وألقى خطاباً ناشد فيه الرئيس نيكسون مباشرة إما أن يستخدم النفوذ الأمريكي لإجبار إسرائيل على الانسحاب أو أن يتوقف عن تزويدها بالسلاح على الأقل .

واعتبرت واشنطن أن هذه دعوة من ناصر لاتخاذ مبادرات جديدة .. وتجاوب ناصر وأبدى استعداده لقبول وقف محدد لإطلاق النار .. ولكن مع هذه المرونة ، كان عبد الناصر مستمراً في القتال .

وفي ١٩ يونيو ، استجابت واشنطن واقترح روجرز وقف القتال وبقاء القوات في مواقعها بمنطقة القناة واستئناف المفاوضات عبر السفير جونار يارنج .

وهنا ، تدخل هنري كيسنجر مستشار الأمن القومي الأمريكي ليشعل قضية الوجود السوفييتي في مصر وطالب بطرد السوفييت من مصر حتى تستطيع الولايات المتحدة أن تعمل معها .. وعاد الرئيس نيكسون للنبرة العدوانية القديمة فأدلى بحديث يوم أول يونيو ١٩٧٠ قال فيه : «إن إسرائيل لا ترغب في إلقاء أحد من جيرانها في البحر ولكنهم هم الذين يرغبون في إلقاء الإسرائيليين في البحر ولذلك فإذا تبدل ميزان القوى وأصبحت إسرائيل

أضعف منهم ، ستكون هناك حرب» .

ولا شك أن هذه النظرية التي طرحها نيكسون ببساطة كانت هي نظرية مستشاره اليهودي لشئون الأمن القومي هنري كيسنجر أو الرجل الذي لعب أخطر الأدوار في ترتيب ما يسمى بالسلام العربي الإسرائيلي .

ورغم ذلك قبلت مصر والأردن مبادرة روجرز في ١٩ يونيو وتوقفت العمليات العسكرية في أول أغسطس .

وشكت إسرائيل لواشنطن من أن مصر تنتهك الاتفاق وتدفع بمعدات عسكرية جديدة إلى جبهة القتال وخاصة مواقع الصواريخ المضادة للطائرات ذات الطبيعة الدفاعية . كان كيسنجر قد نجح في أن ينقل إدارة سياسة الشرق الأوسط من الخارجية إلى مجلس الأمن القومي والبيت الأبيض . لذلك كان من ا لطبيعي أن تستجيب واشنطن لشكوى إسرائيل بتزويدها بشحنات جديدة من الأسلحة التي بلغت قيمتها ٥٠٠ مليون دولار .

وجاء شهر سبتمبر أو أيلول الأسود لتتفجر الأزمة بين المقاومة الفلسطينية والأردن واندلاع القتال بين الجانبين . وقال نيكسون إنه يفكر في تدخل أمريكي لدعم الملك حسين إذا تدخلت سوريا والعراق إلى جانب الفلسطينيين .

وكان الزعيم عبد الناصر هو الذي تدخل سياسياً لإنهاء الأزمة ولتنتهي حياته بهذا الإنجاز القومي العربي ليترك الشرق الأوسط وجهود الوساطة الأمريكية لنائبه الذي تولى رئاسة مصر.. أنور السادات .

□□□

ولا شك أن تولي أنور السادات الرئاسة في مصر بعد عبد الناصر قد أتاح للولايات المتحدة حرية حركة أكبر بكثير مما كان الوضع عليه خلال حكم ناصر .

ولأسباب عديدة ، أخذ السادات يعد نفسه للاعتماد الكامل على واشنطن واتضح ذلك تماماً من خلال طرد الخبراء السوفييت من مصر الذي كان بمثابة رسالة واضحة لوشنطن .

وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، كان السادات قد اتخذ قراراً بينه وبين نفسه بأن تكون هذه هي آخر الحروب مع إسرائيل وانطلق الغزل بينه وبين المسئولين الأمريكيين وعلى رأسهم هنري

كيسنجر الذي وجد في أنور السادات مفتاحاً رائعاً لعودة النفوذ الأمريكي بكل قوة إلى الشرق الأوسط .. وخلال حكم كارتر تم توقيع اتفاق كامب ديفيد بين السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجن بوساطة أمريكية وحقق هذا الاتفاق لأمريكا وإسرائيل أغلى الأحلام وهو خروج مصر من ساحة المواجهة ضد الصهيونية والاستعمار والامبريالية في العالم العربي.

وخلال عهدي ريجان وبوش ابتعد الاهتمام الأمريكي بعض الشيء عن مصر رغم استمرار المعونات العسكرية والاقتصادية الأمريكية .. فقد تركز اهتمام ريجان على ما سمي بالخيار الأردني بهدف التوصل إلى تسوية بين الأردن وإسرائيل . وكان تفكير ريجان أن مصر أدت دورها بتوقيع اتفاق كامب ديفيد .

وقد أدى هذا الموقف إلى إثارة غضب السادات ، واتضح ذلك عندما سأله أحد الصحفيين قبل اغتياله بشهور عما سيفعله إذا استمرت جهود التسوية الأمريكية في الشرق الأوسط بعيداً عن مصر .. وكان رد السادات هو أنه في هذه الحالة سيقول لريجان «اذهب إلى الجحيم» .

وشهدت الفترة القصيرة التي سبقت اغتيال السادات في أكتوبر ١٩٨١ توتراً في العلاقات الأمريكية المصرية لدرجة دفعت البعض إلى الاعتقاد بأن واشنطن لعبت دوراً ما في اغتيال السادات لأنها اكتشفت أنه أصبح جواداً خاسراً خاصة بعد صدامه مع قوى الشعب المصري المختلفة وقراره بحملة اعتقالات شهر سبتمبر الذي سبق اغتياله . وكان موقف الولايات المتحدة من السادات في ذلك الحين أشبه بموقفها من شاه إيران في أيامه الأخيرة .. فقد قيل إن الكسندر هيج وكان في ذلك الحين قائداً لحلف الأطلنطي قد التقى بالشاه عندما وصلت الأزمة في إيران إلى ذروتها وأبلغه بأن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تضمن سلامته الشخصية سوى لساعات معدودة ... ونتيجة لذلك ، اتخذ الشاه قراره بالرحيل من إيران ليعود الخوميني من المنفى عودة الفاتحين إلى طهران .

□□□

وعندما تولى جورج بوش رئاسة أمريكا خلفاً لريجان ، لم يتزعزع الانحياز الأمريكي لإسرائيل قيد أنملة . وكان بوش مهتماً للغاية بمنطقة الخليج العربي . وقد وجد فرصته الكبرى في عودة أمريكا عسكرياً واقتصادياً وسياسياً بشكل هائل إلى المنطقة بعد الغزو العراقي

للكويت والذي حقق لأمريكا وإسرائيل أكثر من هدف من أهمها تدمير القوة العراقية وتمزيق العراق وفرض الهيمنة الكاملة على دول الخليج العربية بعد أن أصبح بوش هو المنقذ الذي حرر الكويت من الاستعمار العراقي !!

وبمجيء كلينتون إلى البيت الأبيض في ١٩٩٢ ، اتخذ الانحياز الأمريكي لإسرائيل شكلاً ربما لم يسبق له مثيل . وأصبحت الولايات المتحدة لا تخجل من مساندة المذابح الإسرائيلية ضد المدنيين العرب وتشكل درعاً لحماية إسرائيل من أي انتقاد على الساحة الدولية رغم تخريبها المتعمد لجهود السلام التي ترعاها الولايات المتحدة في الشرق الأوسط .

واتضح هذا الانحياز أكثر فأكثر بعد تولي اليميني المتطرف بنيامين نيتانياهو السلطة في إسرائيل . فرغم كل الممارسات العدوانية وغير المسئولة من جانب نيتانياهو ضد العرب .. ورغم انتهاكه لاتفاقيات التزمت بها إسرائيل أمام أمريكا إلا أن بيبي نيتانياهو ظل بمثابة البطل الشعبي في عيون أمريكا وانهال عليه المديح في كل مناسبة من جانب الرئيس كلينتون وكل المسئولين في إدارته .

□□□

وهناك سؤال حائر لم يستطع أحد الإجابة عليه بشكل مطلق طوال نصف القرن الماضي تقريباً منذ قيام إسرائيل .. هذا السؤال هو : لماذا هذا التأييد الأمريكي المطلق لإسرائيل ؟ ولماذا استمر الانحياز لإسرائيل نقطة أساسية في برنامج أي مرشح أمريكي سواء للرئاسة أو للكونجرس أو أي منصب آخر بصرف النظر عن التوجهات الحزبية أو التناقضات الطبيعية بين الأفراد ؟

لقد حاول الكثيرون الإجابة على هذا السؤال بطرق شتى .. فالبعض تحدث عن تأثير جماعات الضغط أو اللوبي الصهيوني في أمريكا والذي يستطيع أن يدمر أي إنسان يفكر في المساس بوضع إسرائيل المقدس ليس في السياسة الأمريكية وحدها بل في الفكر الأمريكي والثقافة الأمريكية .

وتحدث البعض الآخر عن سيطرة رأس المال اليهودي على الاقتصاد الأمريكي وعلى وسائل الإعلام الأمريكية بالشكل الذي يحول دون اتخاذ أي موقف لا يعبر عن الانحياز الأمريكي

الأعمى لإسرائيل .

وقال اتجاه ثالث إن إسرائيل استطاعت أن تقيم علاقاتها مع الولايات المتحدة على أساس المنفعة المتبادلة بمعنى أنها تخدم المصالح الأمريكية بنفس القدر الذي يعوض الانحياز الأمريكي لإسرائيل . والمقصود بالخدمات الإسرائيلية هنا الخدمات المباشرة وغير المباشرة .. فبالنسبة للنوع الأول تحصل أمريكا على تسهيلات مفتوحة بالنسبة لاستخدام موانئ ومطارات إسرائيل في أي وقت كما تقوم إسرائيل بتنفيذ أي مهمة تريدها الولايات المتحدة دون تردد ..

أما الخدمات غير المباشرة فهي عديدة ومن أهمها أن الخطر الإسرائيلي يضمن استمرار حاجة الأنظمة العربية للدعم الأمريكي وبالتالي يضمن استمرار الولاء العربي لأمريكا ..

□□□

وفي تقديري ، أن الجانب العربي يتحمل قدراً كبيراً من المسئولية من هذه العلاقات النموذجية بين أمريكا وإسرائيل .. فقد فشل العرب دائماً في إقناع أي من الطرفين - أمريكا أو إسرائيل - بأن هذا التحالف قد يأتي بأي نتائج سلبية .

والدليل على ذلك ، أن نتيجة الاعتداءات الإسرائيلية الدائمة على العرب كانت دائماً هي المزيد من الارتماء في الأحضان الأمريكية ، بصرف النظر عن بعض المواقف التشنجية القصيرة التي تنتهي بالتوقيع على بياض والاعتراف بأن ٩٩ في المائة (٩٩٪) من أوراق اللعبة في أيدي أمريكا كما فعل السادات ...

ولا شك أن العرب ما زالوا حتى هذه اللحظة عاجزين عن فهم أسس التحالفات الدولية وما زالوا ينظرون إليها في إطار الرومانسية العربية الشهرية التي تجعل الصداقة رباطاً أبدياً يقوم على الود المتبادل فقط بين الطرفين ..

وبمعنى آخر ، فقد كان بوسع الجانب العربي الاعتماد على العلاقات التجارية والاقتصادية والمالية الواسعة مع الولايات المتحدة كأساس للعلاقة بين الجانبين .. والغريب أن أحد وزراء البترول العرب وقف خلال أحد مؤتمرات منظمة الدول المصدرة للبترول يطالب بتخفيض الأسعار حتى لا تصاب اقتصاديات الدول الغربية بأضرار !!

ورد وزير البترول النيجيري على الوزير العربي قائلاً : في الحقيقة أنا لا أفهم الدولة التي

تمثلها في هذا الاجتماع .. وهل أنت تمثل بلادك أم أنك وزير البترول الأمريكي ونحن لا ندري» .

وفي إطار هذه الرومانسية العربية ، ما زال الجانب العربي ينتظر استيقاظ الضمير الأمريكي ويحلم بتحرك الرأي العام في الولايات المتحدة ليثور على حكومته ويتمرد على النفوذ الصهيوني في بلاده من أجل عيون العرب .. وانتصاراً للحقوق والمبادئ والأخلاقيات..

ولكل هؤلاء الحالمين أقول .. اطمئنوا .. وقرّوا عينا ... فالرأي العام الأمريكي نفسه صهيوني حتي النخاع ومؤيد لليهود والصهيونية حتي آخر مدى .

ولا يعني ذلك الاستسلام للتحالف الأمريكي الصهيوني باعتباره لعنة أبدية يتعين على العرب التعايش معها بقدر ما يعني ضرورة تغيير الوسائل الساذجة التي يحاول العرب منذ نصف قرن استخدامها للتأثير على الموقف الأمريكي وإقناع الولايات المتحدة بأن تفسح لنا مكاناً صغيراً في قلبها بجوار إسرائيل ...

لقد استغل اليهود كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لفرض سيطرتهم على المجتمع الأمريكي .. استغلوا الأموال والتجارة والإعلام والسينما والنفوذ ... وحتى الجنس من أجل حصار هذا المجتمع داخل إطار الانحياز الأعمى لإسرائيل .

وتكفي نظرة سريعة للمجتمع الأمريكي المعاصر لإدراك حقيقة أن الثقافة الأمريكية الحالية أصبحت ثقافة صهيونية وهي راسخة في ذهن كل أمريكي من الرئيس وعضو الكونجرس وحتى المواطن العادي في مختلف المدن الأمريكية ..

□○□

٩

الدور الأمريكي في عملية السلام

هناك ملامح خاصة للجهد الأمريكي

في عملية السلام بالشرق الأوسط

خلال عهد بيل كلينتون ..

لقد كانت هناك ملامح خاصة للدور الأمريكي في جهود السلام بالشرق الأوسط خلال عهد كلينتون . وربما جاءت هذه الملامح نتيجة لعدة حقائق ميزت سنوات حكم الرئيس الديمقراطي الشاب منذ بداية فترة رئاسته الأولى في عام ١٩٩٢ ..

فقد تولى كلينتون السلطة في الولايات المتحدة في ظروف لم تحدث لأي رئيس آخر .. فلم يكن هناك اتحاد سوفيتي ولا شيوعية أوربية ولا سور برلين .. كان هناك نظام دولي جديد يجعل من أمريكا القوة الأعظم الوحيدة في العالم !!

ورغم إيمان الكثيرين بأن ثنائية القوة في العالم كانت تتيح قدراً أفضل من التوازن إلا أن البعض راوده الحلم في عالم جديد بلا تكتلات أو صراعات بين أكثر من قوة عظمى بشرط أن تمارس القوة الوحيدة المتبقية في إطار النظام الدولي الجديد دورها في حماية الشرعية الدولية بأقصى قدر ممكن من الموضوعية والإحساس بالمسئولية .. وبمعنى آخر ، كان حلم النظام الدولي الجديد يتصور أن يكون العالم بمثابة فريق من اللاعبين تشارك فيه أو تقوده الولايات المتحدة ، ولكن كان مفهوم إدارة كلينتون للنظام الدولي الجديد هو الهيمنة .. والقوة إلى آخر مدى ..

وربما كان هذا هو السبب الذي جعل الطابع الدكتاتوري يغلب على السياسة الخارجية الأمريكية رغم الديمقراطية الداخلية التي يتمتع بها الأمريكيون .

فمن وجهة فريق كلينتون يتعين على روسيا أن تنفذ برامج الإصلاح الاقتصادي والسياسي المطلوبة منها ، ويتعين على أوروبا أن تقنع بدور التابع ، وأن تظل الصين عملاقاً مقيداً ، ويبقى النمو الياباني تحت السيطرة ، وأيضاً أن يقبل العرب الانحياز الأمريكي الأعمى لإسرائيل وأن يمارسوا دورهم المحدد في الاستراتيجية الكونية الأمريكية دون صخب أو ضجيج ..

والغريب أن هذا الموقف الأمريكي في ظل ما يسمى بالنظام الدولي الجديد لا يختلف كثيراً عن موقف واشنطن من النزاع العربي الإسرائيلي خلال النظام الدولي القديم.. نظام الكتلتين!!

وربما كان الفارق الوحيد بين الموقفين هو المزيد من الاستسلام الأمريكي لوجهة النظر الإسرائيلية .. ومزيد من العدوانية تجاه الجانب العربي .. ومزيد من اللامبالاة بالحقوق العربية لدرجة اتفاق الحزبين الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة على خطوة نقل السفارة الأمريكية في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس رغم أن واشنطن ، من الناحية الرسمية على الأقل ، ملتزمة بالموقف القائل بأن مصير القدس يتحدد خلال المرحلة النهائية من المفاوضات .

وخلال مراحل التفاوض المختلفة بين الأطراف ، التزم الوسطاء الأمريكيون في معظم الأحيان بتأييد وجهة النظر الإسرائيلية ومحاولة تسويق وجهة النظر هذه للأطراف العربية .. وكان الأمريكيون يحرصون عندما يفتضح أمر هذا الانحياز على محاولة ستر موقفهم بورقة توت هزيلة . تتمثل في مقولة إنهم لا يتدخلون لفرض مواقف على الأطراف !!

وفي إطار هذا الموقف الأمريكي المنحاز تماماً لإسرائيل، تم إبرام اتفاقيتي السلام بين الأردن وإسرائيل ، وبين الفلسطينيين وإسرائيل ، وترنحت جهود التسوية مع سوريا ثم ترنحت عملية التسوية برمتها بعد أن كشر رئيس الوزراء الإسرائيلي اليميني بينيامين نتنياهو عن أنيابه وأخذ يكثف برامج الاستيطان في كل المناطق المحتلة بما في ذلك منطقة جبل أبو غنيم شرقي القدس فيما مثّل انتهاكاً واضحاً لكل الاتفاقيات والقرارات والمعاهدات الدولية والإقليمية ..

وكان الموقف الأمريكي في مواجهة محاولات نتانياهو لإجهاض جهود التسوية السلمية أكثر من منحاز سواء من خلال الفيتو الأمريكي الشهير في الأمم المتحدة ومجلس الأمن أو من خلال عدم إبداء أدنى قدر من التحفظ إزاء ما تفعله حكومة الليكود الإسرائيلية !

□□□

والواقع أن هذا الموقف من الإدارة الأمريكية لم يكن غريباً ، فمبعوث السلام في الشرق الأوسط الذي كانت مهمته تقريب المواقف بين الأطراف كان هو دنيس روس الدبلوماسي اليهودي الأمريكي .. ووزيرة خارجية أمريكا التي حلت محل وارن كريستوفر هي اليهودية مادلين أولبرايت .. ذلك بالإضافة إلى وليم كوهين وزير الدفاع اليهودي الأمريكي وغيره من الوزراء وكبار المسئولين اليهود الذين وزعهم كلينتون على أرقى وأكبر المناصب في حكومته..

وعندما صرخ العرب ، أو بمعنى أدق ، المسئولون العرب بأن المصداقية الأمريكية أصبحت في خطر بسبب هذا الانحياز الجنوني لإسرائيل ، كان الرد الأمريكي العملي يؤكد أن واشنطن لا تحتاج لمصداقية لكي تتعامل مع العرب .. كل ما تحتاجه هو أن يكون العرب ضعفاء ، وهذا أمر تتكفل به إسرائيل ، وبعد ذلك لن يجد العرب أمامهم سوى الخضوع للواقع .

□□□

وقد لجأ أصدقاء أمريكا في المنطقة إلى أسلوب آخر للتعامل مع الانحياز الأمريكي الأعمى لإسرائيل وهو طرح فكرة أن الأنظمة الموالية للولايات المتحدة بالشرق الأوسط أصبحت في موقف حرج أمام شعوبها وجاء الرد الأمريكي في برودة الثلج وهو ببساطة أن هذه مشكلة الأنظمة التي يتعين عليها عدم اتخاذ مواقف من شأنها إبراز هذا التناقض في الموقف الأمريكي بين ادعاء الحياد بالقول ثم ممارسة كل أشكال الانحياز المطلق للإسرائيليين من الناحية العملية .

ولم يتوقف الأمر عند ذلك ، بل بدأت الولايات المتحدة تحاسب الأنظمة والحكومات العربية الموالية لها على مدى استعدادها لخداع شعوبها والتغطية على هذه التناقضات الأمريكية .

وقد نشرت مجلة «يو . إس . نيوز أند وورلد ريبورت» المعروفة بعلاقاتها الوثيقة بالجهات الرسمية الأمريكية مقالاً شديد الخطورة في عددها الصادر يوم ٢٤ مارس ١٩٩٧ وكتبه رئيس تحريرها مورتيمر زوكرمان .. تضمن هذا المقال هجوماً شديداً بل ووقحاً على مصر ونظام الرئيس حسني مبارك الذي يحاول أن يلعب دوراً قومياً في العالم العربي يعيد إلى الأذهان بعض ملامح سياسات الزعيم الراحل جمال عبد الناصر .

وقال زوكرمان في مقاله إن هناك حملة كبرى في مصر ضد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو رغم أنه نفذ اتفاقيات أوسلو في الخليل وعرض إعادة المزيد من أراض الضفة الغربية للفلسطينيين ورفع عدد تصاريح العمل في إسرائيل التي تمنح للعمال الفلسطينيين من ١٥ ألف إلى ٧٠ ألف وأطلق سراح المعتقلات الفلسطينيات !!

وأضاف أن العرب أقاموا الدنيا ولم يقعدوها لأن نيتانياهو حاول بناء بعض المنازل في القدس لليهود والفلسطينيين على حد سواء !! ولأنه حاول تنفيذ اتفاقيات أوسلو التي تقضي

بإغلاق المكاتب الفلسطينية في القدس .

وقال زوكرمان إن الرئيس المصري حسني مبارك قد تخلى عن الدور التصالحي الذي كان يلعبه الزعيم الشجاع أنور السادات الذي قاد مصر لأول اتفاق سلام مع إسرائيل .

وأضاف الصحفي الصهيوني الأمريكي قائلاً : «إن مبارك أعاد عقارب الساعة إلى الوراء وبالتحديد إلى مرحلة الستينيات والقومية العربية التي رفع لواءها جمال عبد الناصر من خلال العداء لأمريكا وإسرائيل .

وقال زوكرمان إن مصر حاولت توجيه الاستياء الشعبي لديها إلى هدف سهل هو إسرائيل وحتى الصديق الأمريكي نظراً لخوفها من أن يستغل الأصوليون المسلمون الفقر السائد ومناخ الفساد السياسي في مصر .

وأشار المقال المسموم إلى أن أمريكا قدمت لمصر ٤٨ مليار دولار كمساعدات منذ عام ١٩٧٥ ولكن نظام الرئيس حسني مبارك لا يهتم بالمصالح الأمريكية . ووصل الأمر إلى حد مساندة دول متمردة مثل ليبيا والعراق والسودان .. بل وشاركت مصر في محاولات تهرب بغداد من تنفيذ قرارات الأمم المتحدة تدمير أسلحة الدمار الشامل لديها ..

وقالت المجلة الأمريكية واسعة الانتشار والنفوذ إنه لا يمكن مقارنة أي شيء بالنفوذ الخبيث لمصر في الشرق الأوسط، فمصر تلوم إسرائيل على كل مشكلة وهي تشجع على تصعيد المطالب الفلسطينية بدلاً من دفعها نحو الاعتدال، وهي تحاول عرقلة تطبيع العلاقات بين إسرائيل وبعض الدول العربية الأخرى . وقد كانت مصر هي الدولة الوحيدة التي رفضت دعوة الرئيس بيل كلينتون لحضور مؤتمر قمة بالبيت الأبيض في أكتوبر ١٩٩٦ وحضر فقط الملك حسين ونتانياهو وعرفات لمناقشة وحل الأزمة التي تفجرت بعد حفر إسرائيل للنفق اليهودي بالقدس .

وتمضي المجلة الأمريكية قائلة : إن مصر أشعلت الأزمة في المفاوضات بين سوريا وإسرائيل عندما بدأت مناورات عسكرية لم يسبق لها مثيل موجهة أساساً ضد إسرائيل .

ويحاول الكاتب الصهيوني تبرير مزاعمه ضد مصر بقوله : إن مصر تخشى أن يسود السلام وتصبح إسرائيل هي القوة المسيطرة في الشرق الأوسط بدلاً منها .. ثم ينتقل إلى

محاولة التباكي على ما يصفه «بالسلام البارد» بين مصر وإسرائيل ، لأن مصر - على حد قوله - لم تنفذ الكثير من التعهدات التي قطعتها على نفسها في كامب ديفيد . والتي تغطي قضايا تتراوح بين التجارة والسياحة والعلاقات الثقافية .. وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه في المكاتب الرسمية المصرية لا توجد خريطة عليها اسم إسرائيل ولا يتعلم أي طفل في مصر أن إسرائيل دولة مجاورة تتمتع بالشرعية ولا توجد صحيفة مصرية تخلو من الإثارة والتحريض ضد إسرائيل واليهود ... والأكثر من ذلك أن مصر تشارك في حملة رهيبة لمعاداة السامية تقضى على أي احتمال لتطبيع العلاقات مع إسرائيل . فالصحف المصرية الموجهة التي تتحدث عن تورط إسرائيل في نشر اللبان الجنسي بين تلاميذ المدارس العرب وفي نقل فيروس الايدز إلى الأطفال الفلسطينيين المشاركين في الانتفاضة .. واليهود يستخدمون دماء الأطفال العرب في طقوسهم الدينية .

ويختتم صاحب المقال المسموم كلماته بالإعلان صراحة عن هدفه الخبيث فيقول :

«إن أمريكا تريد استفادة إسرائيل من ثمار السلام حتى تشجعها على المخاطرة بتقديم تنازلات في الأراضي التي استولت عليها بشق الأنفس . لذلك ، فلماذا تقبل أمريكا هذا التراجع المصري بسبب الدور الجوهري الذي يمكن أن تلعبه مصر في المنطقة وفي عملية السلام.. وبسبب الخوف من استيلاء الأصوليين على السلطة .. وقد استراح مبارك لهذا الوضع ولكن إذا استمرت مصر في تقويض الأهداف الأمريكية عندئذ سوف يتعين علينا إعادة تقييم علاقتنا ..

وقد وصل الانحياز الأمريكي لإسرائيل في عهد بيل كلينتون إلى أبعاد لم يسبق لها مثيل، ويكفي كأوضح مثال على ذلك التصريحات التي طيرتها وكالات الأنباء العالمية للسفير الأمريكي في بيروت ريتشارد جونز يوم ٩ يونيو ١٩٩٧ والتي هدد فيها الحكومة اللبنانية بالتعرض لعقوبات أمريكية إذا واصلت حملتها في الأمم المتحدة للحصول على تعويضات من إسرائيل عن مذبحة قانا .

فقد رأت حكومة كلينتون أن لجوء لبنان للأمم المتحدة لطلب تعويضات قدرها ١٫٧ مليون دولار عن الخسائر المادية لقصف معسكر الأمم المتحدة في منطقة قانا عام ١٩٩٦ أمراً يستوجب تدخل أكبر قوة في العالم لتهديد البلد الصغير لبنان لأنه تجرأ وطالب إسرائيل بهذا

التعويض التافه عن الخسائر المادية .

أما عندما قتلت إسرائيل عشرات الأطفال والنساء الذين حاولوا الاحتماء بمعسكر القوات الدولية ، فقد رأت أمريكا أن هذا العمل لا يستحق اهتمامها رغم أنه جريمة استنكرها العالم كله .

□○□

١٠

أمريكا .. زوج لا يصر على أن تكون العصمة بيده

الانحياز الأمريكي الأعمى لإسرائيل لغز لا يحاول أي أمريكي حله أو حتى مجرد فهمه .. !!

مهما كانت درجة الاتفاق أو الخلاف بينك وبين المجتمع الأمريكي فإنك ستجد نفسك في النهاية مضطراً للاعتراف بأنه مجتمع ديمقراطي .. حر .. مفتوح لكل الآراء والأفكار ... والأهم من كل شيء إنه مجتمع يرفض مصادرة حقك في انتقاده .. وفي تشريح كل أوجه الحياة فيه .. مجتمع مستعد للدخول في علاقة مع الإنسان دون أن يصر على أن تكون العصمة في يده .

في أمريكا المقدسات والتابوهات والمحظورات لا وجود لها تقريباً .. وإذا بذلت جهداً كبيراً لكي تتأكد من هذه الحقيقة ، سوف تكتشف أن عدد التابوهات أو المحظورات في الحياة الأمريكية بوجه عام محدود للغاية وأن أهم وأبرز وأخطر هذه المحظورات هو محاولة انتقاد تلك العلاقة الغريبة أو المريبة بين أمريكا وإسرائيل أو السعي لتفسير هذا الانحياز الأمريكي الأعمى لليهود والإسرائيليين .. والصهاينة .

والحقيقة أن محاولة الوصول إلى سر هذا الانحياز الأمريكي الأعمى لإسرائيل تعد شديدة الصعوبة لسبب بسيط هو أن غالبية الأمريكيين ، بما فيهم بعض المسئولين ، إما أنهم لا يدركون الظروف المحيطة بهذا اللغز أو لا يريدون الخوض فيه على أساس أن الدخول في مناقشة حول العلاقات الأمريكية الإسرائيلية هي بالتأكيد أمر محفوف بالمخاطر بالنسبة لأي مسئول في واشنطن خاصة إذا كانت المناقشة صريحة أو موضوعية ..

لذلك ، فكثيراً ما انتهت التساؤلات التي طرحتها على المسئولين وأساتذة الجامعات وأعضاء الكونجرس حول هذه النقطة بجملة واحدة هي أن التحالف الأمريكي الإسرائيلي إلى آخر مدى هو مسألة يتعين على الجانب العربي ، وخاصة الأصدقاء والحلفاء العرب ، تفهمها أو فهمها وإدراك أن الولايات المتحدة لا تنوي ولا تستطيع التراجع عن كل التزاماتها المتعلقة بأمن إسرائيل وقوة إسرائيل وتفوق إسرائيل .. الخ .. الخ ..

وهناك بلا شك بعض الردود الرسمية المألوفة في واشنطن على أي سؤال يبدأ بكلمة لماذا ؟

هذه الردود تتلخص في أن عملية صنع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية هي عملية شديدة التعقيد تشارك فيها مؤسسات عديدة مثل مؤسسة الرئاسة ، والخارجية ، والبنتاجون ، والكونجرس ، ووسائل الإعلام ، ... ثم جماعات الضغط «اللوبي» وهي جماعات منتشرة في كل التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأمريكية . والقرار السياسي في النهاية يكون هو محصلة توازنات القوى بين هذه المؤسسات والتيارات التي يلعب فيها اليهود دوراً شديد الأهمية خاصة بالنسبة للقضايا المتعلقة بإسرائيل والصراع في منطقة الشرق الأوسط .

وفي بعض الأحيان يكون هذا القرار غريباً ويمثل ذروة التناقضات كما يحدث عندما تستخدم الولايات المتحدة حق الفيتو في مجلس الأمن لحماية إسرائيل ويكون العالم كله في ناحية وأمريكا وإسرائيل وحدهما في الناحية الأخرى . وهكذا تصبح الولايات المتحدة التي ترفع لواء الديمقراطية هي أول من يقوض الديمقراطية في الأمم المتحدة !! وتكون واشنطن التي تعلن دعمها للشرعية الدولية هي أول من يحمي الخارجين علي هذه الشرعية !! ومهما كانت المبررات التي يطرحها الأمريكيون لتفسير هذا التناقض مثل الرغبة في حل مشكلة الشرق الأوسط عن طريق المفاوضات المباشرة ، إلا أنها تبقى مبررات غير مقنعة على الأقل بالنسبة للجانب العربي صاحب الحقوق المشروعة والذي يدفع ثمن هذه التناقضات الأمريكية بين القول الفعل .

□□□

وفي لقاء مع البروفيسور أندرو بينيت أستاذ العلوم السياسية بجامعة جورج تاون الأمريكية ، حاول هذا الأكاديمي البارز تفسير معضلة السياسية الأمريكية المنحازة للعدوان الإسرائيلي بقوله : إن هناك وجهين للرئاسة في أمريكا ، الأول هو مؤسسة الرئاسة الضعيفة بالنسبة للقضايا الداخلية ، والثاني مؤسسة الرئاسة القوية بالنسبة للسياسة الخارجية ، ومحصلة الوجهين هي التي تحدد قوة الرئيس الأمريكي الفعلية . وعلى سبيل المثال ، فقد خسر الرئيس السابق جورج بوش انتخابات عام ١٩٩٠ بسبب أدائه السيئ في مفاوضات الميزانية الأمريكية رغم أنه كان بطل حرب الخليج على صعيد السياسة الخارجية . أما على صعيد مؤسسات صنع القرار الأمريكية ، فيقول الدكتور بنينت : إن هناك عملية تفتيت

للسلطة بين هذه المؤسسات.. بين الرئاسة والكونجرس وأيضاً داخل المؤسسة الواحدة ، فالكونجرس مثلاً مكون من مجلسين وهناك اللجان الرئيسية واللجان الفرعية التي قد تتصادم مع بعضها وبالتالي فإن الإدارات التنفيذية تعاني من حالة تمزق بين هذه المؤسسات .

ويضيف الأستاذ الجامعي الأمريكي قائلاً : إن هناك عدة نقاط يمكن عن طريقها الدخول إلى عملية صنع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية . عندما تجد جماعات الضغط أن هذه النقاط مغلقة أمامها فإنها تلجأ إلى وسائل أخرى تستطيع من خلالها التأثير على القرار السياسي الأمريكي .

ويؤكد البروفيسور بينيت أن أحد أسباب التناقضات في عملية صنع القرار السياسي الأمريكي يكمن في قصر المدة التي يقضيها المسئول الأمريكي في منصبه والاحتكاك المستمر بين السياسيين المحترفين والبيروقراطية في مختلف مؤسسات صنع القرار بالولايات المتحدة .

ويصف الأستاذ الجامعي هذا الوضع بأنه يجعل الحكومة الأمريكية في بعض الأحيان حكومة من الغرباء .. هؤلاء الغرباء لا يعني الواحد منهم سوى انتصار وجهة نظره الخاصة بصرف النظر عن مدى صحة القرار السياسي من وجهة النظر العامة .

ويحلل البروفيسور بينيت موقف الرئيس الأمريكي من قضايا السياسة الخارجية فيقول : إن السنة الأولى في البيت الأبيض تكون ذات طابع تجريبي وتغلب عليها النبرة الخطابية التي كانت سائدة في الحملة الانتخابية ، والسنة الثانية تكون أكثر ميلاً للواقعية والرغبة في التعاون مع الجهاز البيروقراطي ، أما السنة الثالثة فهي التي يسعى فيها الرئيس لتحقيق نجاحات خارجية تدعم سعيه للبقاء فترة رئاسية ثانية ، والسنة الرابعة تتميز بالجمود والتركيز على الانتخابات القادمة .

أما فترة الرئاسة الثانية فتمثل سنوات الخبرة في حياة الرئيس الأمريكي ولكن مع إدراكه لأنها فترته الأخيرة كرئيس فإنه يتجنب التغييرات المثيرة للجدل حتى يكمل رئاسته في هدوء.

ورداً على سؤال حول التطورات التي يمكن أن تدفع الولايات المتحدة للتدخل فوراً بقواتها المسلحة خارج أراضيها ، قال البروفيسور بينيت أن سيناريو استخدام القوات المسلحة الأمريكية في الخارج يشمل خمسة سيناريوهات أو خطط جاهزة على سبيل الحصر هي :

أولاً : أن يحدث «غزو» عربي لإسرائيل .

ثانياً : أن تدخل قوات عراقية الأراضي السعودية .

ثالثاً : أن تغزو كوريا الشمالية كوريا الجنوبية .

رابعاً : أن تحاول روسيا غزو بولندا .

خامساً : أن يحاول الكوبيون الإطاحة بكاسترو .

سؤال آخر ، ما هي أولويات السياسة الخارجية الأمريكية في الفترة الثانية من حكم الرئيس بيل كلينتون ؟

– هذه الأولويات ببساطة هي ضمان نجاح الديمقراطية في الجمهوريات السوفيتية السابقة، ودعم الاقتصاد الأمريكي لتحسين الموقف الدولي للولايات المتحدة وتحقيق وضع أمريكي أفضل في النزاعات التجارية والاقتصادية مع اليابان ، ووقف تدفق اللاجئين على أمريكا خاصة من يهاجرون بطرق غير مشروعة ، ومواجهة تهديدات كوريا الشمالية في آسيا ، والتوصل إلى تسوية سياسية بين العرب وإسرائيل ، وأخيراً الإطاحة بصدام حسين !!

وهناك أيضاً أهداف وأوليات أخرى للسياسة الخارجية الأمريكية كما يقول البروفيسور بينيت مثل تحقيق أوضاع أفضل للعمال الأمريكيين ودعم قضايا البيئة وحقوق الإنسان وأيضاً تقوية الأمم المتحدة .

س : هل استخدامكم للفيتو من أجل حماية إسرائيل ومحاولة تسوية المشكلات العالمية خارج الأمم المتحدة يؤدي إلى تقوية المنظمة الدولية ؟

– إن الولايات المتحدة تؤمن بمشاركة الآخرين في لعب دور قيادي في العالم ، ولكنها في نفس الوقت ترى أنها صاحبة أنشط وأقوى الأدوار أو أنها صاحبة دور خاص جداً مع كل الاحترام لجميع الأطراف الأخرى .

ورغم هذه الإجابة الدبلوماسية إلا أنه كان من الواضح تماماً أن الولايات المتحدة لا تعتقد أنها مجرد لاعب في فريق أو حتى كابتن للفريق الذي يدير شئون العالم الان ، فالدور الأمريكي يكشف عن نفسه بوضوح من خلال المناقشة والممارسة وهو باختصار دور اللاعب الوحيد على المسرح الدولي !! وهذا هو سر عدم الاهتمام الأمريكي بالانعزال مع إسرائيل عن

بقية العالم في مجلس الأمن أو الأمم المتحدة .

□□□

وإذا عدنا مرة أخرى إلى الجذور الداخلية للانحياز الأمريكي الأعمى لإسرائيل فإنه من الضروري الإشارة إلى ذلك «التنظيم الأخطبوطي» للمؤسسات اليهودية أو للصهيونية في الولايات المتحدة ، فهذه المؤسسات تشمل مختلف أوجه الحياة بمعنى أنها موزعة على كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والفنية بحيث تشكل حلقة مغلقة قادرة على محاصرة المواطن وأيضاً المسئول الأمريكي لتملي عليه قناعاتها مهما كانت غريبة عليه بل ومتناقضة مع مصالحه . وتستغل هذه التنظيمات أو جماعات الضغط اليهودية في الولايات المتحدة عدم اهتمام المواطن الأمريكي العادي بالسياسة الخارجية بوجه عام لكي تطرح نفسها كوصي على موقف هذا المواطن من قضايا العالم أو حتى كبديل عنه في دوائر صنع القرار .

وهذا الوضع المسيطر الذي حققته المنظمات اليهودية الأمريكية لم يأت من فراغ أو نتيجة للصدفة ، فقد علمت من أحد أعضاء الكونجرس عن منطقة سولت ليك بولاية أوتاه أن الحملة الانتخابية للعضو الذي يرغب في دخول الكونجرس تتكلف خمسة ملايين دولار في المتوسط يدفع المرشح جزءاً منها والباقي يأتيه عن طريق التبرعات .. وهذه بالتحديد هي النقطة التي تتسلل منها المنظمات اليهودية نحو السيطرة على عضو الكونجرس منذ اللحظة الأولى التي يفكر فيها في أن يدخل البرلمان الأمريكي بمجلسيه : الشيوخ أو النواب . وحتى بعد النجاح في الانتخابات ودخول الكونجرس يظل هذا العضو تحت سيطرة منظمات اليهود التي تستطيع إثارة الفضائح حوله في أي لحظة أو حتى طرح مرشح بديل ومساندته في الانتخابات التالية .

ولا يمكن إدراك حجم السيطرة المنظمة لليهود في الولايات المتحدة دون زيارة مدينة مثل نيويورك تجعل الإنسان في بعض الأحيان يشعر أنه في مستوطنة إسرائيلية بسبب انتشار اليهود بملابسهم الدينية السوداء وغطاء الرأس الصغير الذي يستخدمه المتدينون والمتطرفون اليهود .

□□□

وبعد الدخول في عشرات المناقشات المطولة مع عناصر عديدة ذات ثقل وتأثير هائلين في المجتمع الأمريكي ، أدركت أن ما يطرحه البعض أحياناً في العالم العربي حول إمكانية تحييد

الدور الأمريكي بين العرب وإسرائيل هو مجرد وهم لذيذ أو حلم يصعب تحقيقه على أرض الواقع فقد استطاعت إسرائيل واليهود منذ وقت مبكر للغاية إقناع الأمريكيين بأنهم الحليف القادر على حماية المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط من النفط وحتى التصدي لانتشار الشيوعية في المنطقة وغير ذلك من الخدمات .

ويتذكر الأمريكيون حتى اليوم تلك الفاتورة التي قدمها الزعيم الإسرائيلي المتطرف اريل شارون لهم منذ سنوات عندما ثار الحديث عن قطع المعونات الأمريكية لإسرائيل . وهذه الفاتورة ، حدد شارون ثمن كل خدمة تقدمها إسرائيل للولايات المتحدة في المنطقة ، واستطاع في النهاية أن يجعل الولايات المتحدة مدينة لإسرائيل بمليارات الدولارات بعد خصم ثمن ما قدمته لإسرائيل من مساعدات .

ومع الاعتراف ببراعة اليهود في شئون التلاعب بالأرقام والحسابات إلا أن فاتورة الحساب التي قدمها شارون لأمريكا كان الهدف منها هو تذكرة الأمريكيين بأن علاقتهم بإسرائيل لها مزاياها أيضاً . فإسرائيل هي القاعدة الدائمة التي يمكن أن تستخدمها الأساطيل الأمريكية في أي وقت.. وإسرائيل هي التي تجعل العرب في حاجة لأمريكا وهي التي تجعلهم يشترون أسلحة أمريكية بمليارات الدولارات ويبيعون بترولهم بالأسعار التي تعرض عليهم .. الخ .

ويكون السؤال الأخير الذي يحاول مخاطبة المشاعر الأمريكية ... وماذا تنتظرون منا نحن العرب وأنتم منحازون لإسرائيل بهذا الشكل ؟

هل يصح أن نكون أصدقاء وتسمحون لإسرائيل بالاستيلاء على القدس ؟ هل يمكن أن نكون حلفاء وأنتم تدعمون إسرائيل بشتى الوسائل لتكون أقوى من كل الدول العربية مجتمعة؟ كيف تتوقعون رد فعلنا عندما تنقلون سفارتكم من تل أبيب إلى القدس ؟ تدللون «بيبي نتانياهو» بينما هو ينسف السلام ويحتل أرض العرب ويقتل أطفالهم ؟

الإجابة الأمريكية واحدة .. أنقلها بالنص كما جاءت على لسان أكثر من مسئول وخبير في الولايات المتحدة :

«إنها حقاً مشكلة .. ويتعين على العرب أن يجدوا لها حلاً من خلال السلام مع إسرائيل!! افعلوا أي شيء يرضيكم أو يريحكم ولكن فقط لا تطلبوا منا أن نفعل المستحيل» !!

□○□

١١

الخطر الإسلامي على الغرب

نمر من ورق ..

من هو العدو المجهول الذي تتوقع الولايات

المتحدة مواجهته والذي يستحق كل هذا

القدر من الاستعداد والتأهب ..؟!

لمن تحشد الولايات المتحدة هذه الترسانة الهائلة من الأسلحة النووية والتقليدية ، خاصة بعد سقوط القوة السوفيتية المنافسة وانهيار الشيوعية ؟!

لماذا يسعى الأمريكيون لتوسيع نطاق العضوية في حلف شمال الأطلنطي ليضم دولاً من أوروبا الشرقية ؟!

لماذا تواصل واشنطن رصد مليارات الدولارات لميزانيتها الحربية رغم أننا نعيش الآن في عالم القطب الأمريكي الواحد ؟!

من هو العدو المجهول الذي تتوقع الولايات المتحدة مواجهته والذي يستحق كل هذا القدر من الاستعداد والتأهب ؟!

هذه الأسئلة ، طرحتها على العديد من المسئولين في الخارجية الأمريكية ، ووزارة الدفاع «البنتاجون» والكونجرس ، وكان من الغريب أن كل الإجابات لم تخرج عن تصور واحد وهو باختصار أن انهيار الشيوعية الأوربية سواء في الاتحاد السوفيتي أو شرق أوروبا لا يعني أنه لم يعد هناك خطر يهدد الولايات المتحدة !! وكان هناك ما يشبه الإجماع بين هؤلاء المسئولين على أن الخطر الأكبر على أمريكا ، من وجهة نظرهم، يكمن فيما أسموه بالأصولية الإسلامية!!

وعند المحاولة الأولى للبحث عن تفاصيل هذا المفهوم وجذوره العميقة داخل الفكر والتخطيط الأمريكي يتضح أن هناك قدراً هائلاً من المبالغة في تقدير حجم هذا الخطر الأصولي المزعوم على الولايات المتحدة بالتحديد ... والأكثر من ذلك أن طرح هذا المفهوم الأمريكي على مائدة البحث يشير إلى محاولة مقصودة ومريبة لتجاهل الواقع والالتفاف حول الحقائق التاريخية الأكيدة .

إن من يدقون نواقيس الخطر في أمريكا الآن محذرين من خطر الأصولية الإسلامية على

الولايات المتحدة والغرب يتناسون عن عمد حقيقة أن الزعماء الأمريكيين قد استغلوا الأديان بوجه عام ضد الشيوعية وخاصة خلال مرحلتي المكارثية في الستينيات والريجانية في الثمانينات .

□□□

وقد أعلن جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا الشهير ذات يوم صراحة امتنانه للدور الذي لعبته الأصولية ضد الاتحاد السوفيتي وقال بالنص : «إن الأصوليين المسلمين هم أفضل حليف لنا ضد الشيوعية في قارة آسيا» أما الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان الذي لعب الدور الأكبر في هدم الشيوعية قد اعترف في أكثر من مناسبة بأن القيادات الدينية في مختلف أنحاء العالم قدمت له كل أشكال المساعدة في حربه ضد امبراطورية الشر وهي الاتحاد السوفيتي الملحد . لقد أتاحت حالة الفوضى التي تعيشها الحركات الأصولية في الشرق ، وخاصة في إيران وأفغانستان وباكستان ، الفرصة لأعداء الإسلام في الغرب لكي يشنوا حملة كبرى ضد الإسلام كديانة مؤكدين أن هذه الجماعات المتفرقة من المتطرفين الدينيين تمثل العالم الإسلامي على الصعيدين الفكري والسياسي . وهكذا أصبحت كلمة واحدة يرددها أحد المتطرفين في معسكر للإرهاب بأفغانستان مثلاً ، تعبر من وجهة نظر المحللين الأمريكيين عن العالم الإسلامي بأسره !! وأصبحت أي عملية إرهابية محدودة يقوم بها متطرف مأجور ضد المصالح الأمريكية في أي مكان بمثابة تدريب على الغزو الإسلامي المرتقب للولايات المتحدة والعالم الغربي !!

وينتهز المحللون الأمريكيون ، ومعظمهم من اليهود كل فرصة ممكنة لكي يؤكدوا للغرب أن المسلمين يستعدون لتكرار ما حدث في القرون الوسطى وأن المتطرفين الإسلاميين يتحينون الفرصة لإعادة احتلال أوروبا والاندفاع إلى العالم الغربي كما فعلوا عندما احتلوا اسبانيا عام ٦٣٢م وعندما فشلت آخر محاولاتهم لاحتلال فيينا على أيدي العثمانيين عام ١٦٨٣م !!

ورغم أن الرد على مثل هذه المزاعم المشبوهة لا يحتاج لجهود ضخمة من أجل تفنيدها وإثبات زيفها إلا أن هذه الآراء بكل أسف ، تجد لها صدى لدى الرأي العام الأمريكي والغربي بل وفي أعلى مستويات السلطة بالولايات المتحدة على وجه الخصوص .

والتفسير الوحيد لذلك هو أن الصناعات العسكرية الأمريكية تحتاج لوجود عدو أو خطر

حتى تبرر وجودها وبالتالي فهي تخلق هذا الخطر بل وتعمل على تضخيمه في المجتمعات الغربية بشتى الوسائل ، فتارة تؤكد أن الأصولية الإسلامية تهدد استمرار تدفق البترول إلى الغرب ، وأن الأمريكيين سيواجهون محنة كبرى إذا وضع الأصوليون أيديهم علي منابع البترول !! وتارة يقولون إن الإرهاب الأصولي سيحصل قريباً على أسلحة نووية من الجمهوريات السوفيتية السابقة وربما يستخدمها ضد الولايات المتحدة !! وفي بعض الأحيان تصل الأمور إلى حد إثارة احتمال جنوني وهو أن تشن القوى الإسلامية في العالم حرباً مباشرة ضد أمريكا والغرب !!

والواقع أنه لا يمكن وصف مثل هذه التصورات أو الأوهام إلا بأنها نوع من العبث المقصود ، فالمفروض أن الدول مثل الأشخاص تختار أصدقاءها ولا تختار أعداءها .. ولكن ما يحدث في الولايات الآن هو عملية اختيار عبقرية لعدو لا يشكل أي خطر في حقيقة الأمر ولكنه في نفس الوقت يلائم الدور المطلوب منه وهو باختصار أن يكون «نمراً من ورق» ويمكن أن يثير الخوف ولكنه في نفس الوقت لا يشكل أي خطر .

□□□

وفي نفس الوقت ، لا يمكن تجاهل الدور الذي لعبته الولايات المتحدة بشكل خاص في تكوين ورعاية التيارات الأصولية الراديكالية في العالم الإسلامي بما في ذلك جماعة الإخوان المسلمين في مصر والمجاهدين الأفغان وما يسمى بالجماعات الإسلامية في العديد من البلدان.

وكان الهدف الأمريكي من وراء تشجيع ودعم هذه التيارات الأصولية هو ضرب القوى الوطنية والعلمانية المناهضة للسيطرة والهيمنة الأجنبية .

أما بالنسبة للتيار الأصولي الراديكالي في إيران ، فإن هذا التيار قد نما وترعرع أيضاً في الأحضان الأمريكية الدافئة ، ولكن بعد نجاح ثورة خميني في الإطاحة بالشاه انقلب بعض الملالي وآيات الله علي الولايات المتحدة وظهرت بعض الخلافات والتناقضات الثانوية بين الجانبين ولكنها ما زالت بل وأعتقد أنها سوف تظل من النوع الذي لا يفسد للود قضية .

وهكذا ، فرغم كل الخلافات المعلنة بين واشنطن وطهران إلا أن الولايات المتحدة كانت وما زالت تنظر إلي الملالي الإيرانيين باعتبارهم «ابناء مشاغبين» يحتاجون فقط «لقرص آذانهم»

وليس أبداً قطع رؤوسهم .

والدليل على ذلك ، أن الولايات المتحدة كانت أمامها فرصة تاريخية للقضاء على الثورة الإيرانية دون أن تحتاج للتدخل بشكل مباشر ، خلال حرب العراق وإيران ولم يكن ذلك سيكلفها أكثر من تزويد الرئيس العراقي صدام حسين ببعض معلومات الأقمار الصناعية الأمريكية حتى ترجح كفته في القتال ضد إيران .. ولكن كان من الغريب ، أن تسعى الولايات المتحدة إلى الإبقاء على التوازن الحرج بين إيران والعراق ليس بهدف أن يدمر كل منهما الآخر كما اعتقد البعض بل حتى تضمن بقاء الطرفين معاً بعد هذه الحرب الضروس .. وقد أطلق الخبراء الأمريكيون على هذه الاستراتيجية اسم «الاحتواء المزدوج في الخليج» وكان من الأجدر أن يطلق عليها اسم نظرية الحماية المزدوجة لنظامي بغداد وطهران !!

ونفس الشيء ينطبق على العديد من التنظيمات الأصولية في العالمين العربي والإسلامي بما في ذلك حركة «حماس» الفلسطينية التي يعتبرها الأمريكيون من أخطر المنظمات الإرهابية رغم الحقيقة التي لم تعد سراً وهي الدور الذي لعبته إسرائيل ، وأمريكا بالطبع ، في قيام هذه الحركة .

وقد دخلت إلى قاموس اللغة الإنجليزية وبالأحرى كل اللغات الغربية ، كلمات عربية ومصطلحات إسلامية مثل «الجهاد» بهدف ترسيخ فكرة الخطر الإسلامي على الحضارة الغربية وتحرص وسائل الإعلام على ترجمة معنى كلمة الجهاد بقولها أنها تعنى «الحرب المقدسة» أو «الحرب الدينية» حتى تثير هلع الرأي العام الذي ترتبط في ذهنه كل الحروب الدينية بالدمار والدماء .

ورغم أن الفكر الغربي يتسم أساساً بالموضوعية إلا أن هذه الموضوعية تختفي تماماً عند الحديث عما يسمى «بالخطر الإسلامي» وأحلام أو أوهام استعادة «الامبراطورية الإسلامية».. فالعالم كله يعرف على وجه اليقين أن الدول الإسلامية تعيش حالة من التخلف الحضاري تجعلها لا يمكن أن تشكل خطراً على أحد قبل ألف عام على الأقل .. والعالم كله يعرف جيداً أن هذه الأصوات الأصولية المتطرفة لا تملك من أسباب القوة أكثر من حناجرها والأكثر من ذلك أنها معزولة حتى داخل مجتمعاتها حيث تضاءل وجودها إلى مجرد حجم الأداة ودور الأجير .

وإذا كان الأمريكيون يبنون استراتيجيتهم على أساس التصريحات والكلمات الجوفاء

فيجب لفت أنظارهم إلى وجود منظمات أمريكية داخل الولايات المتحدة نفسها تعلن أن هدفها الأسمى هو تدمير الحكومة الفيدرالية في واشنطن .. وهذه المنظمات التي يطلق عليها اسم «الميليشيات اليمينية» لديها السلاح والإمكانيات التي تساعدها على تنفيذ عمليات في حجم نسف المبنى الفيدرالي في مدينة أوكلاهوما ، العام الماضي والذي نفذه اليميني الأمريكي المتطرف تيموثي ماكجفيه !!

أما بالنسبة لبعض العمليات الهجومية التي تعرضت لها أهداف أمريكية داخل الولايات المتحدة وخارجها فهي لا تعدو كونها مجرد عمليات محدودة لا تتجاوز خسائرها عدد من ينتحرون في أمريكا لأسباب جنونية مثل الرغبة في الحياة علي كواكب أخرى !!

ولا يمكن أن تعتبر مثل هذه العمليات مبرراً لتوسيع عضوية حلف شمال الأطلنطي ودعم ترسانة الأسلحة الأمريكية والغربية بالمزيد من القنابل الذرية والهيدروجينية وأسلحة برنامج حرب النجوم لأننا ببساطة سنجد أنفسنا في موقف عبثي ساذج نعد فيه الصواريخ والمدفعية الثقيلة لكي نقتل بها ذبابة تافهة !!

وفي تقديري أنه إذا كانت الولايات المتحدة تشعر حقاً بوجود أي خطورة لما يسمى بالأصولية الإسلامية لكانت قد أقدمت فوراً علي خطوتين أساسيتين من شأنهما تحجيم هذا الخطر المزعوم إن لم يكن القضاء عليه قضاء مبرماً .

الخطوة الأولى : هي العمل على دعم التيارات الديمقراطية في الدول الإسلامية باعتبار أن الديمقراطية هي أفضل وسيلة لمواجهة أي شكل من أشكال التطرف وخاصة التطرف الديني .

والواضح حتى الآن أن الولايات المتحدة لا تفكر حتي مجرد التفكير في الإقدام على هذه الخطوة بل هي تقيم علاقاتها مع المجتمعات الإسلامية على أساس الولاء، بل والأكثر من ذلك أن هناك اتصالات تجري، أو كانت تجري علي الأقل ، بين المسئولين الأمريكيين وقيادات المنظمات الأصولية المتطرفة التي يصفها الأمريكيون أنفسهم بأنها منظمات إرهابية خطيرة بل وبأنها تشكل التهديد الرئيسي للولايات المتحدة والعالم الغربي بأسره في ظل النظام الدولي الجديد !!

أما الخطوة الثانية : التي كان من المؤكد أن الولايات المتحدة ستقدم عليها لو استشعرت خطراً حقيقياً من جانب الأصولية الإسلامية ، فهي بكل تأكيد تغيير الموقف الأمريكي المستفز

من القضايا العربية والإسلامية وفي مقدمتها قضية القدس ..

وليس هناك تفسير للدعم الذي يلقاه رئيس وزراء إسرائيلي مناهض للسلام مثل نتانياهو سوي أن الولايات المتحدة تثق أنها بهذا الدعم لا تخاطر بإثارة غضب أي قوة حقيقية .

وليس هناك تفسير لاستخدام الفيتو الأمريكي بشكل متكرر في مجلس الأمن لحماية إسرائيل من الإدانة بسبب مشروعاتها الاستيطانية في القدس العربية المسلمة سوى أن واشنطن ليس لديها أدنى شك في استحالة تعرضها لأي خطر بسبب هذا الموقف الذي جعلها معزولة عن العالم بأسره في الأمم المتحدة .

وليس هناك أي تفسير لموقف الحزبين الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة بنقل السفارة الأمريكية في إسرائيل إلى القدس ، سوى إدراك الأمريكيين ، حكومة ومعارضة ، لحقيقة أن رد الفعل العربي أو الإسلامي على مثل هذا الموقف يكاد يكون معدوماً وأن أقصى ما يستطيع الأصوليون المتطرفون الذين يطلقون صرخات «الجهاد» هو شن عملية محدودة لا تكون لها سوى نتيجة واحدة هي استغلالها في المزيد من الشحن ضد ما يسمى بالخطر أو التهديد الإسلامي !!

□□□

وعلى صعيد آخر ، فإن هذه التنظيمات الدينية المتطرفة في العالمين العربي والإسلامي تقوم بمهمة غاية في الخطورة داخل مجتمعاتها .. فهي تسعى إلى إثارة الصراعات الطائفية والمذهبية .. وهي تحول دون تشكيل جبهة وطنية أو قومية تكون قادرة على التصدي للتهديدات الحقيقية التي تتعرض لها المصالح والمقدسات الإسلامية كما أن هذه التنظيمات تظل دائماً خارج كل تحالف وطني من خلال ادعائها احتكار الحكمة والصواب وطرحها للمواقف المتشنجة والعصبية المشبوهة التي من شأنها الإساءة لقضايا العرب والمسلمين بدلاً من أن تدعمها وتحميها وتدافع عنها ، وفي هذه الحالة لا تجد القوى الوطنية الديمقراطية في العالم العربي الإسلامي حليفاً لها سوى الديمقراطيات الغربية التي تدعي مساندتها لحقوق الشعوب وللعدالة وللشرعية .

وهنا تكون أصوات التطرف الديني المشبوهة قد أدت أفضل خدماتها للغرب عندما قدمت له على طبق من فضة القوى الديمقراطية الوطنية لتتحالف معه بعد أن خذلها المتطرفون

والأصوليون .

إن رفع شعار التهديد الإسلامي للغرب يحقق ثلاثة أهداف رئيسية : الأول : هو تبرير استمرار وتصعيد الصناعات العسكرية .. كما ذكرنا من قبل ، والثاني : هو خدمة الموقف الإسرائيلي في الصراع مع العرب ، والثالث : هو حشد المجتمع الأمريكي أو الغربي وراء قياداته في مواجهة هذا الخطر المزعوم بعد زوال الخطر السوفيتي الذي كانت تبيعه هذه القيادات لشعوبها من أجل ضمان الولاء وإرهاب وابتزاز أي قوة داخلية تجرؤ على توجيه انتقادات حقيقية ضد قوى الاستغلال في المجتمعات الغربية كما حدث خلال فترة «المكارثية» في الولايات المتحدة والتي اتهم فيها الكثيرون من المعارضين بالشيوعية أو النشاط المناهض لأمريكا . ويمكن القول أن المجتمعات الغربية ، وخاصة في الولايات المتحدة ، تخضع لعملية غسيل مخ منتظمة لإثارة هلع مواطنيها مما يسمى بالخطر الإسلامي .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، لا تتورع وسائل الإعلام الأمريكية عن وصف الرئيس العراقي صدام حسين بأنه «الزعيم الإسلامي» بهدف الاستفادة من رصيد الكراهية لصدام لدى الأمريكيين في تعميق شكوكهم ومخاوفهم مما يسمى بالخطر الإسلامي .

والأكثر من ذلك أن بعض الأصوات ارتفعت بعد نسف المبنى الفيدرالي الأمريكي في أوكلاهوما لتتهم الأصولية الإسلامية بتدمير هذا الهجوم بعد لحظات من الانفجار وقبل انتشال جثث الضحايا !! وقد شاءت الأقدار أن يتم القبض على المتطرف اليميني الأمريكي «تيموثي ماكجفيه» بالصدفة ويتضح أن الأصولية الإسلامية لا علاقة لها بهذا الحادث الذي ارتكبته جماعات العنصريين البيض في الولايات المتحدة .

باختصار ، يمكن أن نقول أن الصرخات التي تحذر من تهديد الأصولية في الولايات المتحدة هي أول من يدرك زيف هذه الصرخات وعدم صدقها ولكنها رغم ذلك تواصل التحذير من هذا الخطر وتتعمد تضخيمه والمبالغة في حجمه حتى تحقق أهدافاً أخرى ربما يكون من أهمها ابتزاز المسلمين ودفعهم إلي محاولة تبرئة أنفسهم من هذه التهمة الظالمة الوهمية وذلك عن طريق المزيد من الخضوع للمخططات الغربية والمزيد من الارتماء في الأحضان الأمريكية الدافئة !!

الفهرس

المؤلف

- حسين عبد الواحد

- كاتب صحفى بدار أخبار اليوم .

- حاصل على ليسانس اللغة الإنجليزية كلية الألسن جامعة عين شمس عام ١٩٧٤ .

- مواليدالقاهرة فى ١٧ مايو ١٩٥٠

- بدأ حياته الصحفية كمحرر شئون خارجية بجريدة الجمهورية عام ١٩٧٥ .

- انتقل لجريدة الأخبار عام ١٩٨٠ .

- نشرت كتاباته فى جميع إصدارات مؤسسة أخبار اليوم والعديد من الصحف والمجلات العربية حيث تخصص فى الشئون العالمية الدولية .

سافر المؤلف فى مهام صحفية إلى العديد من بلدان العالم فى الشرق والغرب مما أتاح له الفرصة لكى يتعرف بشكل مباشر على الحياة الحقيقية لشعوب هذه البلدان ويدرك أبعاد المشكلات السياسية والاقتصادية والإجتماعية التى تواجهها ..

صدرت له مؤلفات عديدة منها :

* *أغرب جرائم النصب فى العالم*
* *الرقص مع الحياة .. مذكرات أنتونى كوين*
* *إمرأة من نار .. قصة حياة شارون ستون*
* *عبادة الشيطان على ضفاف النيل .. أخطر محاولات اختراق مصر المحروسة*
* *أمريكا .. حرية وجنس وبولوتيكا*

  (الإنهيار السياسى والسقوط الأخلاقى فى عهد كلينتون)
* *نساء إبليس (نساء فى مملكة الشر) .*

قائمة إصدارات مركز الحضارة العربية

العنوان	المؤلف
مخابرات ومخدرات حقيقة دور الموساد في تدمير الشباب بالمخدرات	شفيق أحمد على
فى جنازة المقاطعة العربية لإسرائيل الملف الكامل لأسرار ووثائق سلام من المقاطعة والهرولة	شفيق أحمد على
الملف السرى للسادات والتطبيع عملية الشهيد سعد حلاوة، أول شهداء مقاومة التطبيع	شفيق أحمد على
عبادة الشيطان على ضفاف النيل ومحاولات اختراق أمن مصر	حسين عبد الواحد
الماسونية (قديماً وحديثاً) دراسة في الحركة التنظيمية اليهودية وجمعياتها منذ هدم الهيكل	خليل إبراهيم حسونة
الحركات الهدامة	خليل إبراهيم حسونة
الصهيونية السياسية	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى	خليل إبراهيم حسونة
الاستيطان الصهيوني وسرقة الأراضي العربية في فلسطين	خليل إبراهيم حسونة
القدس بين الغزو الصليبي والاستيطان الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
الإرهاب الأمريكي	خليل إبراهيم حسونة
يهود ضد إسرائيل	ياسر حسين
حلف الضحية والجلاد	تادور فالبيتشروفسكي / ترجمة: [illegible]
السلام القتال سلام أشد هولاً من الحروب	محمد خليفة
البديل الإسرائيلى للعروبة	سيد زهران
مشروع للانتحار القومى !	مصباح قطب
غزة أريحا - المأزق والخلاص	عبد القادر ياسين
غزة أريحا - التسوية المستحيلة	جورج المصرى
صفقة التسوية الأردنية الإسرائيلية	د. السيد عوض
سلام أم استسلام	د. أحمد الصاوى
أوهام السلام	عبد الخالق فاروق
بروتوكولات حكماء صهيون	
التلمود	
التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة	محمد قاسم
القوة العسكرية الإسرائيلية	جمال الدين حسين
سقوط نجم مخابرات إسرائيل	جمال الدين حسين

العنوان	المؤلف
عملية السرب الأحمر «إغراق إيلات»	جمال الدين حسين
الإختراق الإسرائيلى للزراعة فى مصر	صلاح بديوى
إختراق الأمن الوطنى المصرى	عبد الخالق فاروق
المياه العربية بين خطر العجز ومخاطر التبعية	عبدالله مرسى العقالى
الإسلام والعرش	سيد زهران
من يحمى عروش الخليج (العقد والهيمنة)	د. أحمد ثابت
إعدام صحفى قصة الإلغاء بقتل كاتب	سعيد حبيب
الكرامة الضائعة	حمادة إمام
أزمة الانتماء فى مصر	عبد الخالق فاروق
التطرف الدينى ومستقبل التغيير فى مصر	عبد الخالق فاروق
كارثة المعونة الأمريكية	جمال غيطاس
العلاقات الليبية - الأمريكية	د. السيد عوض
بان أمريكان ١٠٣ (اتهام ليبيا أم اتهام أمريكا)	مجموعة مؤلفين
حلايب .. نزاع الحدود بين مصر والسودان	أحمد محجوب
الإخوان والعسكر قصة الجبهة الإسلامية والسلطة فى السودان	حيدر طه
القوى الخارجية في السودان	د. السيد فليفل
نظم الحكم العنصرية فى جنوب أفريقيا	د. السيد فليفل
الشيشان	عمرو ناصف
عبد الناصر .. هذا المواطن	سليمان الحكيم
حوارات عن عبد الناصر	سليمان الحكيم
عبد الناصر..والإخوان	سليمان الحكيم
المرأة التى أحبها عبد الناصر	شفيق أحمد على
عبد الناصر وعبد الحليم حافظ والزمن الجميل	حسن صابر
البديل الناصرى (قراءة فى أوراق التنظيم)	سيد زهران
عن الناصرية والناصريين	مجدى رياض
الأقليات التاريخية فى الوطن العربى	د.أحمد الصاوى
الناصرية والتاريخ	سيد حمدان
الناصرية .. الأيديولوجيا والمنهج	سيد زهران
التنمية المستقلة فى النموذج الناصرى	جورج المصرى
فلسطين الانتفاضة .. جدل الوطن والأمة	د. أحمد ثابت
كاريزما الزعامة الناصرية	د. السيد الزيات
الناصرية والتجديد	مجدى رياض

العنوان	المؤلف
الحركة الإسلامية فى مصر [illegible]	صالح الوردانى
الحركة الإسلامية فى مصر	صالح الوردانى
الكلمة والسيف [illegible]	صالح الوردانى
عبود الزمر .. حوارات ووثائق	أحمد رجب
المسيح فى الإسلام	ترجمة عادل حامد
المسيحية والإسلام	حسين السيد
الحكومة والسياسة فى الإسلام	طارق رجاكلين إسماعيل ترجمة : سيد حسان
الوجيز فى بداية التكوين	عبد العزيز محمد مصطفى الحرلى
رسالة التوحيد للإمام محمد عبده	تحقيق د . محمد عمارة
الإسلام والعروبة	مجدى رياض
كيف تقرأ القرآن	محمد محمود عبد الله
كيف تجود القرآن	محمد محمود عبدالله
التربية الإسلامية	محمد محمود عبد الله
القرآن : حل مشاكل الأمة	محمد محمود عبد الله
قبس من نور الأسماء	محمد محمود عبد الله
نظرات فى نزول القرآن على سبعة أحرف	محمد محمود عبد الله
الإبر الصينية في العلاج والتخدير	د . لطفى سليمان
الأعشاب الطبية	د . مرسى الخطيب
أمن وحماية البيئة	خالد بن محمد القاسمى وجيه جميل البعينى
الصوت والضوضاء	د. مصطفى عبدالمطلب
ماهى السينما	صلاح أبو سيف
قضايا المونتاج المعاصر (جـزءان)	د. علت عبد العزيز
القصص الشعبى فى مصر	إعداد:خيرى عبد الجواد
إغاثة الأمة فى كشف الغمة	
الفاشوش فى حكم قراقوش	
الحكمة المدنية	
المساجد الألفية فى الإسلام	د . أحمد الصاوى
معالم فى تاريخ حضارة آسيا الوسطى	د. أحمد الصاوى
رمضان .. زمان	د. أحمد الصاوى
كشف المستور من قبائح ولاة الأمور	د. أحمد الصاوى
النقود المتداولة فى مصر العثمانية	د. أحمد الصاوى
النقود الإسلامية فى مصر	د. رأفت النبراوى
رحلة الكلمات	د . على فهمى خشيم

العنوان	المؤلف
بحثاً عن فرعون العربى	د . على فهمى خشيم
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعوية	سليمان الحكيم
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
إينارو (روايــة)	د . على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبى (روايــة)	لوكيوس أبوليوس ترجمة د. على فهمى خشيم
الدميرة (روايــة)	د. عبد الرحيم صديق
ترانزيت (روايــة)	ليلى الشربينى
مطربة الغروب (قصص قصيرة)	جمال الغيطانى
مخلوقات الأشواق الطائرة (قصص قصيرة)	إدوار الخراط
حرب بلاد نمنم (قصص قصيرة)	خيرى عبدالجواد
حكايات الديب رماح (قصص قصيرة)	خيرى عبدالجواد
ليس هناك ما يبهج (قصص قصيرة)	عبده خال
لا أحد (قصص قصيرة)	عبده خال
هذه الليلة الطويلة (مسرحيــة)	د.أحمدمصطفى الدجانى
مملكة القرود (مسرحيــة)	محمود عبدالحافظ
أحزان رجل لا يعرف البكاء (قصص قصيرة)	خالد غازى
الشاعر والحرامي (قصص قصيرة)	عزت الحريرى
رشفات من قهوتي الساخنة (قصص قصيرة)	محمد محى الدين
قصائد حب من العراق (شعر)	البياتى وآخرون
رويدا باتجاه الأرض (شعر)	إبراهيم زولى
نصف حلم فقط (شعر)	عماد عبد المحسن
دنيا تنادينا (شعر عامية)	طارق الزيادى
صلاة المودع (شعر عامية)	صبرى السيد
من فصول الزمن الرديء (شعر)	درويش الأسيوطى
إذهب قبل أن أبكي (مزج بين الشعر والنثر)	د. لطيفة صالح
اللعبة الأبدية ... (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
غربة الصبح (شعر)	محمد الفارس
الغربة والعشق (شعر عامية)	مجدى رياض
عطر النغم الأخضر (شعر)	عمر غراب
العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر (شعر)	نادر ناشد

العنوان	المؤلف
هذه الروح لي (شعر)	نادر ناشد
في مقام العشق (شعر)	نادر ناشد
ندى على الأصابع (شعر)	نادر ناشد
عزة في الفضاء (أطفال)	أم كلثوم إبراهيم
مهرجان (سلسلة للأطفال والفتيان)	أحمد زرزور/ممدوح طلعت
العصفور (سلسلة للأطفال والفتيان)	أحمد زرزور/محمد فرج
علمني أبي (حوار حول رسالة الصلاة)	حسن أبو سليمان
ما قالته القيمة الأخيرة (شعر للصغار)	أحمد زرزور
ويضحك القمر (شعر للأطفال)	أحمد زرزور
برلنتي والمشير (القصة الحقيقية)	سيد زهران
اعترافات الأميرة جيهان [illegible]	ماجدى البسيونى
الجنس والشباب الذكى	كرلن ولسون ترجمة أحمد [illegible]
تجارة الجنس الجنس في عالم المال والأعمال	جاري جوردن ترجمة إيهاب الصباغ

العنوان	المؤلف
صناعة النجوم أسرار وفضائح هوليود	سكوت أرنولد ترجمة إيهاب الصباغ
أشهر فضائح القرن العشرين	حسن صابر
نجوم في الوحل (الملف الأسود لنجوم السينما)	حسن صابر
الأميرة العارية وعرش سيئ السمعة	حسن صابر
أمريكا .. حرية ، جنس وبوليتيكا الانهيار السياسي والسقوط الأخلاقي في عهد كلينتون	حسين عبد الواحد
نساء إبليس (نساء في مملكة الشر)	حسين عبد الواحد
التفسير الجنسي للتطرف	حسين عبد الواحد
الأطباق الطائرة	حسين عبد الواحد
الذين جاءوا من السماء لماذا عادوا التطرف والعنصرية على الطريقة الأمريكية	حسين عبد الواحد
كنز المعلومات	كمال عبد الرسول
الحرب العالمية الرابعة	ياسر حسين

خدمات إعلامية وثقافية "اشتراكات"

ملخصات الكتب : عرض وتلخيص لأهم الكتب السياسية والفكرية ، العربية والعالمية .

وثائق : تتناول نشاطات ووثائق الأحزاب والقوى السياسية في الوطن العربي.

النشرة الدولية : تتناول ما ينشر في الدوريات الأجنبية .

دراسات عربية : دراسات وأبحاث وملفات متخصصة ،تحليل سياسي لأهم الأحداث .

معلومات - ملفات صحفية موثقة : لكافة القضايا والموضوعات.



في هذا الكتاب

هناك الملايين في هذا العالم ..

ولدوا ونشأوا وترعرعوا وربما ماتوا على الطريقة الأمريكية ..

رضعوا في طفولتهم لبن الأطفال الأمريكي ..

وشاهدوا أفلام الكارتون والجنس الأمريكية ...

وتعلموا اللغة والعادات الأمريكية ..

غنوا الأغنيات الأمريكية .. ورقصوا الرقصات الأمريكية .

شربوا البيبسي والكوكاكولا الأمريكية .

والتهموا «الهوت دوج» وفراخ كنتاكي الأمريكية ..

ارتدوا «الجينز» الأمريكي .. ومضغوا اللبان الأمريكي ..

حاربوا الأسلحة الأمريكية .. أو بالأسلحة الأمريكية ...

كانت انتصاراتهم ذات ملامح أمريكية ..

وأيضاً هزائمهم ذات مرارة أمريكية ..

وكما كانت البداية أمريكية ، تأتي النهاية عادة أيضاً أمريكية .. !!

ويكتشف هؤلاء دائماً أن حياتهم كلها كانت أمريكية أو بالأحرى كانت «أمريكاني» ..

تماماً .. كالصورة الأمريكاني التي يصف بها المصريون عملية خادعة لأخذ لقطة بكاميرا لا يوجد بها فيلم !! فقط بريق الفلاش المبهر !!

